(فائدة) الرشية بفتح السين المهملة مع تشديد الياء وتخفيفها من رشى الزند فخرج ناره وقدحه ومن رشد فضل ونظم ذلك الدنوشري فقال

ورشية بلا تشديد ياء
فيخفف من رشد فضل
لنعمان الوسي زاده

الفيض الوارد على روض مرشية مولانا خالد
تصنيف علامة زمانه وفريد اوانه مجدد
وقته بلا نزاع وشيخ الاسلام بلاد فاع
ابو الثناء شهاب الدين محمود
الحسني الحسيني الآلوسي
البغدادي عليه رحمة
الغفار الهادي
امين
٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرحت اثاره الظاهرة فى مرايا الامكان * انه سبحانه القديم
الباقى ومَاسواه الحادث الفان * والصلاة والسلامُ على حبيبه الذى
اوفره بمدحه اياه الثراء * فاستغنى لذلك وحق له عن كل مدح ورثاء
وعلى اله واصحابه الذين قاموا بواجب حقه ميتا وحيا * وعرجوا فى معارج
التصدق فى خدمته حتى قبلت اخمص اقدامهم الثريا * اما بعد فيقولُ
اسير ذنبه * المتائب الى ربه * الراجى لطف مولاه القدسى * شهاب
الدين السيد محمود الآلوسى * وفقه الله تعالى للعمل فى يومه لغده *
وارشده لاصلاح حاله قبل ان يخرج الامر من يده * ان من شنشنتى
المعتادة * ونشنشتى المستجادة * رشف حميا الغرائب من ثغور الاحا
* وقطف ازهار الرغائب من رياض الآثار * لاداب لى الا توسم وفود
الاداب فى سوق عكاظها * ولا شغل لى الا استنشاق نسائم المعانى
المخبات تحت براقع الفاظها * فبينما اسير فى بيداء الادب * متطيا
مشمعلة الطلب * لعلى افوز بشئ من قصائد اهل العصر العاصرين
سلاف اللطائف * من كرم اذهانهم احسن عصر الهاصرين اعضاء

نسبة الى آلوس جزيرة
فى الفرات قرب عانات
من اعمال بغداد واليها
ينسب لجلة كثيرون
منهم المؤرخ الاديب محمود شكرى
نعام الكلام عليها يطلب
من ترجمة المؤلف عليه
ترجمة حديقة الورود
بخطه
السيد
الباقى

الظرائف

الظرائف اللطف هضر * القائلين فى رياضها * الواردين نهر حياضها *
لعلى ان فيهم من سرت كلماتهم مسرة الارواح فى الاجساد * وطارت
قصائدهم بجناحى الفصاحة والبلاغة الى اقصى البلاد * واخذوا من
الكمال باوفر نصيب * وحازوا من قداح الفضل المعلى والرقيب *
وهم وان تاخر عصرهم فلا باس * بتاخر النتيجة عن القياس * والخدم
تتقدم بين يدى السادة والسنن امر بتقديمها على فروض العبادة *
وتقدم رقم الاحاد * لا يزيد رتبة الاعداد * ولا يضر النور تاخره
عن غراس اغصانه * ولا مضاء السنان كونه فى اطراف سرانه

اوما ترى ان النبى محمدا * فاق البرية وهو اخر مرسل

اذ حظيت بقصيدة كالقمر ليلة تمامه * وكالزهر المخبوء فى كمامه *
قد حوت دقائق التصوف والعلوم * وجمعت من الفصاحة والبلاغة
ما فاقت به على قصائد امرئ القيس وعمرو بن كلثوم * انشاها اديب
عصره * واريب مصره * الفاضل الذى له فى الادب زند ورى *
ومن مورد العذب شرب ورى * السيد النجيب * والحبيب النسيب
نسل السادة الامجاد السيد محمد الشهير بالجواد كان الله تعالى لنا
وله * واصلح لكل منا عمله * راشيا بها حضرة قطب دائرة الارشاد
ودليل السبيل والسلوك الى ملك الملوك ورب العباد * العالم الذى عمل
بما علم فجمع الى العلم زهدا * وزاد على الزبد شهدا شعرا

فلى منه استاذ ولى منه مرشد * ولى منه قطب واتصال ولى ولى

فهو الجائز للحكمتين العلمية والعملية * والفائز بالرياستين الظاهرية
والباطنية * فلا ترى مكرمة الا ومصيرها اليه * ولا منقبة الا وراقها
ممدود وهى مقصورة عليه * ولعمرى ان كان الكمال بدرا فهو هالته
* او كرة فهو مركزه ودائرته * او خدا فهو توريده او صدغا فهو
تجعيده * او لفظا فهو مبناه * او جسما فهو صورته وهيولاه *

وبالجملة

لو قيل للحسن تمنى لمنى * اذن تمنى انه مثله

قرة عين البرية ومفخر مشايخ الطريقة النقشبندية * العابد الزاهد

حضرة مولانا ضياء الدين ابى البهاء الشيخ خالد الاموى الكردى * الشافعى الاشعرى النقشبندى قدس سره * وعمنا بره

صفاته لم تزده معرفة * لكنها لذة ذكرناها

فلما رايت هذه القصيدة الرقيقة * والفادة النفيسة الرشيقة * قد نظمت على نمط فى هذا الزمان غريب * وتضمنت حلاوة الفاظ ليس الضرب لها بضريب * واشتملت على رثاء هذا المولى * والفلك السامى الاعلى * الذى ارتضعت ضرع طريقته بعيد الفطام * واحتسبت حميا محبته قبل ان تعثو منى العظام * احببت ان املى عليها شرحا * وابنى على كواكب كواعبها صرحا * مع ان الهموم قد سدلت على جلبابها * والغموم قد مدت الى اسبابها * والبسنى الزمان لباس البوس * ووجه محوى وجهه العبوس * وجعلنى افرغ من يد تفت اليرمع * واذل من وتد يدق فى خلال الاربع

ولو انى استزدتك فوق مابى من البلوى لاعوزك المزيد
ولو عرضت على الموتى حياة بعيش مثل عيشى لم يريدوا

على ان اشتغالى بغائلة التدريس * شغلنى حتى عن تحيته جليس * ولكن رايت الاشتغال بكشف معانيها * وحل مبانيها * ونشر منظوم ما اثر ذلك الولى الكامل * ونشر مطوى مفاخر ذياك العالم العامل * اقوى سبب ان شاء الله تعالى فى كشف مابى * وقضاء ما ارتجى * ان يذكر امثاله تنزل الرحمة * وبصبا انفاسهم تنكشف غمائم الغمة * والى وان لم اكن من خيل هذا الميدان * ولا ممتن بعده الابطال من فرسان هذا الشان * ولكن جهد المقل * وزهد المخل *

قد يدرك المجد الغنى ورداوه خلق وجيب قميصه مرقوع

على ان غالب ما اذكره * بل جميع ما اسطره * ليس لى فيه سوى نقله * واخذه من محله * وبالله تعالى اعتضد * ومن فيضه استمد * انه على ما يشاء قدير * وبالاجابة لمن دعاه جدير * وهذه القصيدة التى شرحناها * ومن خط ناظمها نقلناها *

خدين الهوى خف الخليط المعضد * واطلال احباب هويت هوامد

معاهدهم عاف القطين قراره ... لديها وحاكتها الحمام الفواقد
واقوت عراص الانس منها كأنما ... الت بها بعد الانيس الاوابد
وان اصيحابا الفت اصطحابهم ... خلت منهم بالابرقين المعاهد
تطارحك الأرزاء فى كل آنة ... بفن ولا سفن الرحيل رواكد
تذير القنا واقى ونفسك لم تكن ... لتقنى واحكام القضاء نوافذ
لئن هتفت ورقاء سعدك بالمنا ... فلم تنف عن حد الحتوف الحدائد
هو الزمن العادى وصارمه الردى ... واجا لنا للحد منه مغامد
ترث ثياب العيش فيه كما ترى ... واثواب اعمار الخطوب جدائد
زمان به زهر اللطائف ذابل ... ودهر به سوق المعارف كاسد
عقدت الحيا فى حبك اللهو غافلا ... عن المقصد الأسنى وبيعك قاعد
تروم الغنا فى غفلة بعد غفلة ... وصرف الردى فى حظ قدرك جاهد
يخاتلك الدهر الغشوم بمكره ... وجهلك يقظان وطرفك راقد
نظرت بال الله سوء صنيعه ... وعاينت من اهواله ما تكابد
اثار رجوى الاعلاء اعلاء دينه ... بوقع له السبع الطباق رواعد
مضاب رئيس العارفين عصامها ... ومرشدها اذ اعوزتها المراشد
تهدم بيت الدين بعد عمايده ... ومادت بنا اركانه والقواعد
امن بعده يحلو الوصال لعاشق ... الا من مغيث الشا لكين اذا كبت
الا من لتد رئيس التصوف بعده ... وزلت بهم اقدامهم تتمايد
الا من لتلقين الاوامر بعده ... يفيد متى تحنى هناك الفوائد
ومن قدوة التعريف والكشف بعده ... يلقن اذ يسهو عن الذكر حافد
ومن لأبا اليئس المخائل طارد ... ومن لامارات الشهود ورمزها
وغامضها ان جاء ينشد ناشد ... ومن يرع فى عين العناية وهو فى
مراقبة والذكر من ذاك خامد ... يسوس باشخاص المريدين حيثما
بدت قبسات تجلى ومشاهد ... اخى خالد مشكاة كل فضيلة
وبدر كمال نوره متزايد ... رايناعظيم الهول فى خطبه كما
رات بشرها فى الخلد منه الخرائد ... بذا قضت الايام بين اهلها
مصائب قوم عند قوم فوائد

دعاه لصقع القدس مولاه عنده ... فلباه سرا وهو اياه قاصد
نحاه ولا يخوسواه لأنه ... اليه به منه عليه لواقد
وما امر غير الله مدة عمره ... وحاشا وما للغير في السير قائد
مراحل لم يستقصها قط ناسك ... سواه ولا يرقى لها قط زاهد
نفى ظلمة الشرك العديم وقد محا ... غياهبه كيما تصح العقائد
بصيرته القلبية استنهضت به ... الى سبل للسير فيها مراصد
تقرب من قوس الصعود حمى فلا ... يقاس به الاه والله صاعد
وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا ... يذوب بسيماه الحطى والجلامد
ومابد ليل الأين تربعاه نسبة ... اجل بطريق الالم للعلم حاشد
وما نا فع دين الهجا ئز لا مرئ ... بمرئ نهاه للجمال يشاهد
امير رياضات النفوس وان من ... اساطينها تانى اليه المقالد
عليه رحى العرفان دارت لأنه ... هو القطب والابدال فيها فراقد
فتى قصده عرفان باريه هل ترى ... تقوم به ابياتنا والقصائد
فيا كهف ابناء الطريقة والذى ... تكفل في ارشادها وهو والد
سريت من الناسوت حزما وهمة ... الى ملكوت عنده الملك خالد
مقامك جمع الجمع فيه لأنه ... مقام به للأكرمين مقاعد
بعيدا يراه الجاحدون وانا ... نراه قريبا لا يرى للحق جاحد
وجانبت اهل التيه والغى والعما ... بنور يقين صح انك ناقد
لعلمك اهل الحال عقبى مآلهم ... وصال واهل القال طرا باعد
بخوت بلاد الهند تكتسب العلا ... بتكميل نفس للتأله رائد
اخذت طريق النقشبندية التى ... بدقتها تعيى الفحول الأساود
فعادت تباهى للطرائق اذ غدت ... لها صلة من ذا الجناب وعائد
بنفسى سياح الاقاليم طالبا ... لمرضاة مولاه بحق يجاهد
وما عام في بحر السلوك موحد ... كما عمت فيه واعترتك الشدائد
وخضت باصناف العلوم مكملا ... نهاك ولم يردعك عن ذاك حائد
ولم ترض في علم التقشف راغبا ... بجوهر علم منه تبدو الفرائد
وما ظاهر تختاره ذو فطانة ... على باطن الا جهول معاند

وما القشر مثل اللب يدرك كنهه ... اخو اللب لا من حظه متقاعد
لحى الله حبا خامر الوهم عقله ... بليد جنان فى الطبيعة جامد
تعرض للانكار فينا بجهله ... ولم يجد الانكار والحق شاهد
الا اصلح الله العباد وشأنهم ... وانجههم فى الصدق ما ذاد ذائد
قد انهرت اراؤنا فيك مثل ما ... بك انتشرت بين الانام المحامد
دعوت الى الذكر الخفى وانه ... لافضل ذكر الله فيه المقاصد
لسيدنا عثمان اصلك بيننا ... فاكرم به اصلا نمته الاماجد
هو الحسب الوضاح والشرف الذى ... فضائل ذى النورين فيه شواهد
لبازخ هذا الفضل لقبك الورى ... لحق ضياء الدين والاسم خالد
ومن اجل ذا كنيت ثم ابوالبها ... بهذا اصفت للتا لكين الموارد
اجاد يراعى فى الرثاء واننى ... لجواد ولا يرقى لما انا واجد
بكاك بعين الرفق كل موحد ... لانك فرد فى الكرامة واحد
وحين بكت اهل الطريقة ارخوا ... بكى فقده اهل الطرائق خالد
ولما بكى الدرس الالهى ارخوا ... بكى فقدك الدرس الالهى خالد
وحين نوحت القدس قلت مؤرخا ... دنى بازاء القدس فى القرب خالد
ولما هويت الحق قلت مؤرخا ... هوى للقاء الحق فى القدس خالد
ووافى فعاد المجد يعلن ارخوا ... اليمك تلك العرفان بالله خالد
وفى كشف اعلا الها قلت مؤرخا ... لتبك تلك العرفان بالله خالد
ووافى فعاد المجد يعلن ارخوا ... لتبك تلك الفرسان بالله خالد
وقد جدها مالزور ساعة ارخوا ... بمقعد صدق عند مولاه خالد
وحيث اتحدنا فى الطريقة نسبة ... وقد طهرت اعراقنا والمحامد
نبغت بصدق عن لسانى ارخوا ... مقام صدق عند مولاى خالد

انتهت وهى ستة وسبعون بيتا على ما رأيناها فى نسخة ناظمها *
وفى بعض النسخ خمسة وسبعون باسقاط قوله اجاد يراعى البيت
* واعلم ان هذه القصيدة من بحر الطويل وهو اول بحور الدائرة المسماة بدائرة المختلف وهو اتم البحور استيفاء لاوسطها من الجزء والشطر والنهك ولذا سمى بالطويل ووزنه فعولن مفاعيل اربع مرات وله عروض

واحدة وهى مقبوضة حيث لا تصريع والا فهى كالضرب كما سيأتى ومجيئها تامة مع عدمه كقوله

ونحن جلبنا الخيل يوم تهاوند وقد اجمت عنا الخيول الصوارم

ومحذوفة كقوله

ثراها على طول الملاء جديد وعهد المغانى بالحلول قديم

شاذ لا يقاس عليه كما قاله البدر الدماميني وهو عيب يستحى عندهم بالتجميع وله ثلاثة اضرب الاول السالم فيكون جزء العروض مفاعلن بحذف الياء وجزء الضرب مفاعيلن باثباتها نحو قوله

ابا منذر كانت غرورا صحيفتى ولم اعطكم بالطوع مالى ولا عرضى

الثانى المقبوض نحو قوله

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وكبيت المطلع وتقطيعه

خدين ل * هوى خفضل * خليطل * معاضد * واطلال احبابن * هوت هوامد * وتفعيله * فعولن * مفاعيلن * فعولن * مفاعيلن * فعولن مفاعيلن * فعول * مفاعيلن * الثالث المحذوف فيكون مفاعيلن فيه مفاعى * فينقل الى فعولن نحو قوله

اقيموا بنى النعمان عنا صدوركم والا تقيموا صاغرين الرؤسا

ومصرع الطويل تاتى عروضه سالمة مع الضرب الاول كقوله

الا عم صباحا ايها الطلل البالى وهل يعمن من كان فى العصر الخالى

ومحذوفة مع الثالث كقوله

لمن طلل ابصرته فشجانى كخط زبور فى عسيب يمانى

وهذا الذى ذكرناه هو المشهور فيما بين الجمهور والا فقد حكى بعض العروضيين ضربا مقصورا بحذف ساكن السبب الخفيف واسكان ما قبله كقوله

ثياب بنى عوف طهارى نقية وارجلهم بيض المسافر غران

وبعضهم يحكى عروضا ثانية محذوفة لا لأجل تصريع الضرب بل اصالة ويحكى ان لتلك العروض المحذوفة باسقاط لن من مفاعيلن فيصير مفاعى فينقل الى فعولن كما تقدم ضربين * اولهما ما شابهها بكونه محذوفا

كقوله

كقوله

لقد سالا سعد وصاحب سرمد وماطلبا فى قتلها بغرامه

ثانيهما مقبوض كقوله

جزى الله عبسا عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

هذا ويدخل هذا البحر من الزحاف القبض فان كان فى فعولن فحسن اومفاعيلن فصالح وقد اجتمعا فى بيت القصيدة وكذا فى قول الشاعر

اتطلب من اسود بيشة ذونه ابو مطرو عامر وابو سعد

فان كلا من فعولن ومفاعيلن فيه مقبوض ما خلا مفاعيلن الواقع فى ضربه الكف وهو مفاعيلن قبيح عند الخليل وزعم الاخفش انه فيه احسن من القبض لاعتماده على وقد بعده وبيته

اشاقتك احداج سليمى بعاقل ففيناك للبين يجودان بالدمع

ولله در بعض الاندلسيين حيث قال

كففت عن الوصال طويل شوقى اليك وانت للروح الخليل

وكفك للطويل فدتك نفسى قبيح ليس يرضاه الخليل

وقال بعض الادباء المعاصرين من اهل البصرة

طويل صدود من خليل مؤرق ودمع متى ماكف يهمى ويرفض

ايوجب كف الوصل وهو الخليل له وما لطويل الصد من نحوه قبض

ودخول الكف والقبض انما هو على طريق المعاقبة كما ذكره غير واحد وكذا يدخله من علل النقص الثلم كما هو فى شاقك البيت والثرم كقوله

ما جعل ربع دارس الرسم بالبلوى لاسماء عفا آيه المور والعقل

وقد يدخله الخزم بخاء وزاى كقوله

لقد عجبت لقوم اسلموا بعد عزهم اما مهم للنكرات وللغدر

فزاد على الوزن لقد وروى النحاس ان ابا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس كان ذوى راس الجميم غدوة وقوله

كان السباع فيه غرنى عشية ما لواو العاطفة صدر البيت على قوله

كان ثبيرا فى عرانين وبله كبير اناس فى بجاد مزمل

وليس ذلك بعيب عندهم لان احدهم انما يأتى بالحرف الزائد فى اول الوزن اذا

سقط لم يفسد المعنى ولا اخل بالوزن وربما جاء بالحرفين والثلاثة ولم يأتوا باكثر من اربعة احرف قاله ابن رشيق في العمدة فليحفظ وتمام الكلام في هذا المقام يطلب من كتاب اعد لمثله * لا من كلام عد الايجاز من فضله * ولولا التاسي بالناس تعقد عند ذكرهم الخناصر * وتعتقد بكلامهم الضمائر * لما ذكرنا شيأ من ذلك * ولاسلكنا في هاتيك المسالك * ولكن كما قيل

ان لم تكونوا مثلهم فتشبهوا ان التشبه بالكرام فلاح

على ان الاستاذ روح الله روحه * واعلى في الجنان فتوحه * ذكر مثل ذلك في بعض رسائله * باخصر عبارة * والطف اشارة

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

وقد ان للقلم أن يشرع في شرح هذه الابيات العامرة ويتكلم فنقول قال الناظم لا فض الله تعالى فاه * ووفقنا واياه لما يحبه ويرضاه

خذين الهوى خف الخليط المعاضد * واطلال احباب هويت هوامد

اقول الخذين كما في القاموس الصاحب ومن يخادنك في كل امر ظاهر وباطن وهو منادى حذف منه حرف النداء على حد قوله تعالى يوسف اعرض عن هذا وهو كثير في الكلام * تخرج عن عده السنة الاقلام * وفي اختيار الحذف اشارة الى ضيق المقام * وانتشاع دائرة الكآبة والغرام * واستواء سلطان الهوى على كرسي الافهام * واستيلاء جيوش الاحزان على مملكة اللسان * بحيث لم يستطع ان يفوه ببنت شفة * ولم يقدر على النطق لحرف النداء فحذف * فهو من قبيل الترخيم في قوله تعالى عن هو في العذاب مقيم يامالك ليقض علينا ربك في بعض القرآت * على ما ذكره بعض السادات (والهوى) مقصور ميل النفس وهو اول مراتب الحب فقد قال صاحب الريحان والريعان ان الحب اوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والمقت في غير الله تعالى والعشق اسمها فضل عن المقدار الذي هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذا اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى المتباطن والتتيم والتبتل والهيام وهو مشبه الجنون وكثيرا ما يطلق الهوى على العشق المراد به المحبة المفرطة وقد ذكر الاطباء ان العشق من جملة انواع المالخوليا ويرسمون

بانه مرض وسواسي جلبه المرؤ الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور
وقد قيل اول العشق النظر كما ان اول الحريق الشرر ولله در من قال

ما زحته فعشقته والحب اوله مزاح

وقال ابو حاتم

ابرزوا وجهه الجميل ولاموا من افتتن
لو اراد واعفافنا ستروا وجهه الحسن

وانشد ابراهيم الوراق

تحبب فان الحب داعية الحب وكم من بعيد وهو مستوجب القرب
تفكر فان حدثت ان اخا الهوى بخا سالما فارج النجاة من الحب
فاحسن ايام الهوى يومك الذي تروع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن في الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب

وسئلت اعرابية عن العشق فقالت خفي ان يرى وجل ان يخفى فهو كامن كلمون النار في الحجران قدحته ورى وان تركته توارى وان لم يكن شعبة من الجنون فهو عصارة السحر وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصة من خواصه والتحقيق ان العشق اعم من ذلك لأن الرئيس ابا علي ذكر في رسالته التي الفها فيه انه سار في جميع الموجودات المجردات والفلكيات والعنصريات والنباتات والحيوانيات حتى ان ارباب الرياضي قالوا ان في الاعداد اعدادا متحابة واستدركوا على اقليدس حيث فاته ذلك ولم يذكره وهي الماءتان والعشرون عدد ذائد اجزاوه اكثر منه واذا جمعت كانت مائتين واربعة وثمانين والمائتان واربعة وثمانون عدد ناقص لجزاوه اقل منه واذا جمعت كانت مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين اجزاوه مثل الآخر كما لا يخفى على الناظر الستابر واصحاب الخواص يزعمون ان لذلك خاصية عجيبة في المحبة اذا جعل العدد الاقل والعدد الاكثر في شئ من المأكول واكل المحب الاكثر واطعم الاول لمن يريد محبته قيل وقد جرب ذلك فوجد صحيحا وانا لا اعقل ذلك وقد وصف الله سبحانه وتعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وانما العشق لم يرد في لسان الشرع ولا يجوز اطلاقه على الله تعالى عند الفقهاء ووافقهم الشيخ الاكبر قدس الله سره

وذكر بعض السادة الحنفية ان من قال انا عاشق لله تعالى او للنبى صلى الله عليه وسلم كفر وخرج عن الملة الحنيفية وفيه ما فيه ويشعر ظاهر الكلام السابق ان العشق اختيارى والصحيح انه اضطرارى نعم قد تكون اسبابه اختيارية فلعل اختيارية هذا الاعتبار ونحوه فى ذلك الايمان فانه كسبى باعتبار مباديه على ما قرر فى محله وقد قال بعضهم لو رزقنى الله تعالى دعوة مستجابة لدعوت الله تعالى ان يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية ويقال ان بعض العرب قال لرجل من بنى عذرة ما لاحدكم تموت عشقا فى هوى امراة الفها انما ذلك ضعف نفس وخور تجدونه فيكم يا بنى عذرة فقال اما والله لو رايتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الغلج لاتخذتموها اللات والعزى والله در الصفدى حيث قال

والهوى لو ملكت امرا مطاعا ... فى الهوى تفتى هداه العقول
لامرت العيون ترنوا و دراك ... ثغر يفتر والقوام يميل
ثم ادعوا العذال اذ ذاك حتى ... ان راوعندهم فضولا يقولوا
وهو والله داء عجيب ... تعسر مداواته على كل طبيب
ان الهوى داء عياه ... يعجز عن برئه المسيح

فهو كما قال كالنار اذا حكم ايقادها عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل مدها تعذر صدها * واحسن ما يهون امره * ويقلل شره * تذكر مساوى المحبوب وتفكر فيه من العيوب * لو فكر العاشق فى منتهى حسن الذى يسبيه لم يسبه * لكن يحكى ان قيس بن ذريح قد عنى بلبنى * حتى اسره الغرام * واوقعه فى هوة السقام فوصف له الطبيب هذا الدوا لينقذه من هاويته البلوى * فقال له ان ما يسليك عن هذه العشيقة * والغادة الرشيقة * ان تتفكر فى مساويها * وتذكر الاهوال التى تعانيها فانشد يقول

اذا عبتها شبهتها البدر طالعا ... وحسبك من عيب لها شبه البدر
لقد فضلت لبنى على الناس مثل ما ... على الف شهر فضلت ليلة القدر

فانظر ما حيلة هذا المسكين وما دواء هذا الداء الدفين وقصارى طبه تفويض امره الى ربه * وقيل ايضا ان مما يزيل الهوى ويذهب البلوى التولع بسوء محبوبه * والصبر الطويل على نوائب هجره وكروبه قال الشاعر

سألت المحبين الذين تحملوا بتاريخ هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم ماذا هب الحب بعدما تبوء ما بين الجوانح والصدر
فقالوا شفاء الحب بيزيله من اخر اوناءى طويل على هجر
او اليأس حتى تذهب النفس بغدما رجت طمعا واليأس عون على الصبر

وانا الا ارتضى شيئا من ذلك ولا ارى راحة للسالك في هاتيك المسالك اللهم الا بمحض القدرة الربانية والعناية الصمدانية وما اصدق ما قيل

وقد زعموا ان الحب انا دنا يمل وان الناءى يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وهذا ما ذكره بعض العلماء الاعلام في الكلام على العشق والهيام * وقال بعض السادة الصوفية نفعنا الله تعالى بنفحاتهم القدسية العشق سر يوجب اقتران العرشين واقتراب قاب قوسين * وان العاشق في قبضة العشق كالمكرة في قبضة الصولجان وهو محل لا يصل نظر الفهم اليه ولا يقع ظل العلم عليه ولعل هذا اشارة الى مقام الفناء المشار اليه بالحديث القدسي لا زال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فافهم ذلك والله تعالى يتولى هداك وسيأتي ان شاء الله تعالى لبحث العشق تتمة وقوله (خف) اعار تحمل سريعا والخليط يطلق على الشريك والزوج وابن العم والقوم الذين امرهم واحد والواحد منهم وهو المناسب هنا ظاهرا والمعاضد الناصر والمعين وفي وصف الخليط بالمعاضد اشارة الى ان الاعانة هي اللائقة بحاله والمرشحة بمس كماله والا فصاحب السوء لا ينبغي ان يصحب بل ينبغي ان يرغب ويتجنب ولقد احسن رافع بن هريم اليربوعي حيث يقول

وصاحب السوء كالداء المغيض اذا يرفض في الجوف يجري هاهنا وهنا
يبدي ويظهر عن عورات صاحبه وما رأى من مقال صالح دفنا
كم سوء اذا سكنت سيرته رام الجماح وان رفعته سكنا
ان عاش ذاك فما بعد منك سيرته او مات ذاك فلا تضرب له مجنا

وما احلى قول علقمة بن لبيد لابنه يا بني ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان اصابتك خصاصة اعانك وان قلت سدد قولك

وان صلت شددصولك * وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سددها * وان رأى منك حسنة عدها * ان سألته اعطاك وان سكت عنه ابتداك * وان نزلت بك احدى الملمات واساك فمن لاتاتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق * ولا يخذلك عند الحقائق انتهى * وكان مراد علقمة بذلك ترك ابنه معاشرة الناس * وتقديم الوحشة على الاستئناس والاسفل هذا لا يوجد فى العباد * ولا يرى فى عالم الكون والفساد * ولما سمع المأمون علوية تغنى وتقول

عذيرى من الانسان لا ان خفوقه ... صفا لى ولا ان صرت طوع يديه
واني لاشتاق الى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال يا علوية خذ الخلافة واعطينى هذا الصاحب فليت شعرى ماكان يقول لو سمع كلام علقمة الذى هو الطف من نغمات الغيد * وارق من الوجنات ذات النور يد ولكن كما قيل

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء فخرا ان تعد معايبه

ويعجبنى قول مؤيد الدين الطغرائى

اخاك اخاك فهو اجل ذخرى ... اذا ناتيك نائبة الزمان
واذا رأيت اساءته فهبها ... لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لا عيب فيه ... وهل عود يفوح بلا دخان

ولقد اجاد الصفدى بقوله

صديقك مهما جنى فعطه ... ولا تخف شيئا اذا احسنا
وكن كالظلام مع النار اذ ... يوارى الدخان ويبدى السنا

وقد ذكر العلما للصحبة شروطا واركانا غالبها يندرج فيما ذكره بعض السادة الصوفية فانه ذكر ان الصحبة يلزمها عشرة خصال ترك الخلاف والمعاملة بالانصاف وادمان الرضى والعفو عن ما مضى والمسامحة فى الخطاب والتغافل عن رد الجواب وحفظ الغيب وستر العيب واكل ما حضر وتقديم ما تيسر ثم ان قوله خف الخليط الخ خبر والمقصود منه اظهار التفجع والتحسر على حد قوله تعالى حكاية عن امراة عمران رب انى وضعتها انثى

وقول الشاعر

قومى هم قتلوا اميم اخى فلئن رميت يصيبنى سهمى
واذا عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمى

وهل الكلام يصير بهذا القصد انشاء ام يبقى على حقيقته خبرا الذى قرره عبد الحكيم السالكوتى الثانى قال فيما حكى عن امراة عمران ان اللفظ مستعمل فى معناه لكن لا للاعلام بل للتحسر فان اظهار المرء خلاف ما يرجوه يلزمه التحسر ومعنى قول العلامة الثانى ليس باخبار انه ليس باعلام لكون الخبر ولازمه معلوما الا انه انشاء انتهى بادنى تغيير فليحفظ فانه مهم ثم ان اظهار التفجع والتحسر هنا قد صادف المحز فان فراق الاحبة امر عظيم وخطب والله جسيم ولله در من قال

لولا مفارقة الاحباب ما وجدت لها الخطوب الى ارواحنا سبلا

وقيل لصوفى لم تصفر الشمس عند الغروب فقال لحذار الفراق وانشد بعضهم

لا تركنن الى الفرا ق فانه مر المذاق
فالشمس عند غروبها تصفر من الم الفراق

وقال اخر

انا ابكى خوف الفراق لانى بالذى يفعل الفراق عليم
انا مستيقن بان مقامى ومسير الحبيب لا يستقيم

وقال مجنون عامر

سلبت عظامى لحمها فتركتها معرقة تضحى لذاك وتحضر
واخليتها من محنها فكانما قوارير فى اجوافها الريح تصفر
اذا سمعت ذكر الفراق تقطعت علائقها مما تخاف وتحذر
خذى بيدى ثم امضى تتبينى بى الضر الا اننى استتر

وقال ايضا

امزمعة ليلى لبين ولم تمت كانك عما قد اضلك غافل
ستعلم ان شطت بهم غربة النوى وزالوا بليلى ان قلبك زائل

واطلال جمع طلل وهو كما فى القاموس الشاخص من اثار الدار وجمع ايضا على طلول ولقد ولعت الشعراء قديما وحديثا فى وصفها وقال البيد

ابن ربيعة

عفت الديار محلها فمقامها ... بمنى تابد غولها ورجامها
فرابع الذياب عرى رسمها ... خلقا كما ضمن الوحى سلامها
دمن تجرم بعد عهد انيسها ... حجج خلون حلالها وحرامها
درقت مرابيع النجوم وصابها ... ودق الرواعد جودها فرهامها
من كل سارية وغاد مدجس ... وعشية متجاوب ارزامها
فعلى فروع الايهقان واطفلت ... بالجهلتين ظباؤها ونعامها
والعين ساكنة على اطلالها ... عوذا تاجل بالقضاب لحامها
وجلا السيول على الطلول كانها ... زبر تجد متونها اقلامها
اورجع واشمة اسف نؤورها ... كفا تعرض فوقهن وشامها

وقال طرفة بن العبد

لخولة اطلال ببرقة ثهمد ... تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وقال محمد بن وهيب الحميرى

طللان حال عليهما الأمد ... درسا فلا علم ولا نهد
لبسا البلا فكأنما وجدا ... بعد الاحبة مثل ما اجد
حيينا طللين حالهما ... بعد الاحبة غير ما عهدوا
ايها طلول سلوغانية ... فهواك لا ملل ولا فند
ان كنت صادقة الهوى فردى ... فى الحب منهله الذى ارد
ادمى هرقت وانت امنة ... ان ليس لى عقل ولا قود
ان كنت فت وخاننى نشب ... فلربما لم يخط مجتهد

ولكم نرتاح اليها قلوب العاشقين * وتشتاق لها افئدة المشتاقين * وما ارق قول برار بن هباش الطائى

سقى الله اطلالا لاياخيلة الحمى ... وان كن قد ابدين للناس ما بيا
منازل لو مرت بهن جنازتى ... لقال صداى حامل اى نزلا بيا

(والاحباب) جمع حب بالكسر بمعنى المحبوب والجمع على حباب وحبوب وفى حبيبة محركة وحبب بالضم عزيز او اسم جمع (وهوينى) حببت (وهوامد) جمع هامد على خلاف القياس كفارس وفوارس والهامد البالى المستوى المتغير

واليابس من النبات ومن المكان ما لا نبات فيه والمعنى الاول هو الانسب بالمقام كما لا يخفى على ذوى الافهام وحاصل المعنى يا السيف الغرام وحليف العشق والهيام قد رحل عنا الخليل المساعف والمساعد والخليط المعاون والمعاضد وقبضت خيام الوصال * وتقطعت منا القلوب والاوصال * وها اطلال الاحبة هامدة * ونيران اثارهم خامده *

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

فالحيلة فى ذلك * وكيف الخلاص من شباك هاتيك المهالك * التى يصدع لها الصفا * وينقطع لاجلها السرور والصفا * ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك او يسليك او يتوجع * ثم لا يخفى ما فى هذا البيت من براعة الاستهلال * حيث دل على الغرض الذى بنيت القصيدة عليه وانا خت مطايا مطلوبها الديه وهى معترك افكار الادباء * ومشتبك اسنة افهام الشعراء * وقد كثرت فى كلامهم * وانتشرت فى طى نثرهم ونظامهم * فمن ذلك فى النظم قول ابى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب * حيث كان بناؤه على ذكر الفتح والتحريض على الحرب * وكقول ابى الطيب * لا خيل عندك تهديها ولا مال * حيث كان بناؤه على الاعتذار عن حمل تقدمة * وفى النثر كما كتبه القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن لسان السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الفارقانى جوابا عن مكاتبة بفتح شوس من بلاد السودان وقد استهلها بقوله تعالى * وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا اية الليل وجعلنا اية النهار مبصرة * ثم قال صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامى على عزائمه التى وافت كل امر رشيد * واتت على كل جبار عنيد * وحكمت بعدل السيف على كل عهد سوء * ومارتك بظلام للعبيد * وكذا ما كتبه الشيخ كمال الدين ابن عبد الرزاق الاصفهانى فى رسالة القوس * وقد استهلها بعد البسملة بقوله تعالى * وليسألونك عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض واتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا * ثم قال شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه * مارد لا يصلح الا بتعزيك اذنيه * صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها او الحوايا او ما اختلط بعظم * وما كتبه القاضى جمال الدين بن نباتة فى رسالة السيف والقلم

وبناها المفاخرة بينهما * ولما انتصب القلم لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون * واستهل بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة السيف وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز * واستهل بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظل السيوف * وشرع حدها فى ذوى العصيان فانصبتهم ماء الحتوف * الى غير ذلك مما لا يحصيه قلم * ولا يستقصيه ناطق بفم * وفيما ذكرناه كفاية * لمن رزق الدراية ومنح الهداية * قال الناظم

معاهدهم عاف القطين قرازه ... لدنها وحاكتها الحمام الفواقد

اقول المعاهد بفتح الميم المنازل وضمير الجمع للأحباب وعاف اى كره * قال الشاعر

انى وقتلى سليكا ثم اعقله * كالثور يضرب لما عاف البقر

واصله عيف قلبت الياء الفا وفاءً بالقاعدة والقطين كنديم المقيم بالدار والساكن المستوطن فيها يستعمل مفردًا وجمعًا على ما فى الصحاح والقاموس والقرار الاستقرار من قر يقر مكسورا ومفتوحا قرارا وقرورًا وقرا اذا ثبت وسكن ولديها اى عندها وذهب جمع ان لدى اخص من عند حيث وضع للدلالة على مزيد القرب ويؤذن لذلك كثير من موارد استعمالاته * وفى اسناد العياف الى القطين اشارة الى انه قد حل بالدار امر عظيم * وخطب جسيم بحيث ان المستوطن عاف بها القرار * لما اعتراه فيها من الاحزان والاكدار * ولولا ذلك لاقام * ولو ترك القطا ليلا لنام * كيف والوطن محبوب * والمنشاء مألوف * والمليب يحن الى وطنه * حنين النجيب الى عطنه * والكريم لا يجفو ارضا بها قوابله * ولا ينسى بلدا فيها مراضعه * حتى قيل من علامات العاقل بره لاخوانه * وحنينه لاوطانه * ومدارته لاهل زمانه ولله در ابى هلال حيث قال * واحسن فى المقال

اذا الاشتياق ارض عشيرتى	فليس مكانى فى النهى بمكين
من العقل ان الشوق اول منزل	غنيت بخفض فى ذراه وكين

وروض رعاه بالاصائل ناظرى	وعصن ثناه بالغداة يسقى
واني لانسى العهود اذا اتت	بنات الهوى دون الخلط ودونى
اذا انا لم ارع العهود على النوى	فلست بمأمون ولا بامين

وقد جاء فى الحديث حب الوطن من الايمان * وقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصفت له مكة قبل الفتح ولا بد عند الفراق الوطن * الا النوائب والمحن * ولله در ابن عنين حيث يقول

لو يخلى القطا لنام ولو خليت	ما رمت عن وجارى ووجارى
ولو انى خيرت فى هذه الدنيا	لما اخترت غير قوى ودارى

ولما سمع الوليد لف قول القائل

لا يمتعنك خفض العيش فى دعة	نزوع نفس الى اهل واوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها	اهلا باهل وجيرانا بجيران

قال هذا المختوبيت قالته العرب وذلك لانه يدل على قلة رعايته وكثرة قساوته اذ لا يقوم مقام الاوطان * الا رياض الجنان * ولا ينسى الأهل والجيران الا الحور والولدان *

فما اغتاض المفارق عن حبيب ولو بعطن الشآم مع العراق

قال بعض الادباء كان الناس يتشوقون الى اوطانهم ولا يفهمون العلة فى ذلك الى ان اوضحها ابن الرومى فى قصيدته لسليمان بن عبد الله بن طاهر يستعديه على رجل من التجار يعرف بابن ابى كامل اجبره على بيع داره وغصبه بعض حدودها فقال

ولى وطن آليت ان لا ابيعه	وان لا ارى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة	كنعمة قوم اصبحوا فى ظلال لكا
وحبب اوطان الرجال اليهم	مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم	عهود الصبى فيها فحنوا لذلكا
فقد لفته النفس حتى كانه	لها جسد ان بان غودر هالكا

انتهى كلامه وانا اقول قد نظم هذا المعنى كثير من الشعراء فقد انشد ابو نصر صاحب الاصمعى الاعرابى

الا ليت شعرى هل ابيتن ليلة	باكناف نجد وهى خضر متونها

وهل اشربن الدهر من ماء فرتنة	بحسرة ليلى حيث فاض معينها
بلاد بها كنا نحل فاصبحت	خلاء ويرعى هامع الادم عينها
تفيئت فيها بالشباب وبالصبا	قليلا بما اهوى على عضونها

وانشد الاصمعي لصدقة بن نافع الغنوي

الا ليت شعري هل تخبن ناقتي	ببيضاء نجد حيث كان مسيرها
فتلك بلاد حبب الله اهلها	اليك وان لم يعط نصفا اميرها
بلاد بها انضيت راحلة الصبا	ولانت لنا ايامها وشهورها
فقد نابها الهم المكد رشربه	ودار علينا بالنعيم سرورها

وانشد ابراهيم بن اسحاق الموصلي

الا يا حبذا احياء سلمى	وجاد رياضها جود السحاب
خلعت بها العذار ونلت فيها	مناى بطاعة او باعتصاب
اصون بباطلي طلبات لهوى	ويعذرني بها عصر الشباب

وكل هؤلاء قد افصحوا بان سبب حنينهم الى الاوطان ما لبسوه فيها من لباس الشباب واستظلوه من ظله وانضوه من رواحله وانه كان يعذرهم ويحسن قبائحهم فلا معنى لتعلق الناس في قول ابن الرومي وزعمهم انه سبق فيما لم يسبق اليه ولم يات ذهن شاعر قبله عليه لان قوله وان كان جيد المعنى سلس المبنى لكنه لم يزد فيه على ما تقدم ولا ابدع فيما نظم ولقد احسن البحتري في قوله في هذا المعنى ايضا

شفقا الغضا والساكنيه وانهم	شبوه بين جوانح وقلوب
وقصار ايام به شرقت لنا	حسنا تها من كاشح ورقيب
حضر تساقطها الصبا فكانها	ورق يساقطه اهتزاز قضيب
كانت فنون بطالة فتقطعت	عن هجر غانية ووصل شبيب

الى غير ذلك مما لا يحصى بل لا يكاد يستقصى * وعند السادة الصوفية ايضا الحنين الى الوطن امر مطلوب * ومثنى محبوب * ولكن الوطن عندهم غير ما هو المعرف * عندنا والمالوف * وتاولوا قوله صلى الله عليه وسلم السابق * وقالوا المراد بذلك حب النفس وطنها الاول وعالمها القديم * وكانه المشار اليه بقول قائلهم اى الغزالي عليه الرحمة

زكت هوسعدى وسلمى بعزل وعدت الى مصحوب اول منزل

ومحبة هذا الوطن محبة سنيه * ومرتبة سنية * فلله دره من رجال لا تميل قلوبهم الا لما هو من اعلى المراتب والكمال وقوله وحاكيها اى شابهتها والضمير راجع الى المعاهد او الى الاطلال على بعد وابعد منه رجوعه الى القطين على معنى الجماعة ويوشك ان لا يجوز ذلك لما فيه من التفكيك كما لا يخفى فليتأمل والحمام قال الجوهرى هو عند العرب ذوات الاطواق نحو الفواخيت والعتارى وساق حر والقطا والوراشين واشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى لان الهاء انما دخلته لانه واحد من جنس للتانيث وعند العامة انها الدواجن فقط الواحدة حمامة قال حميد بن ثور الهلالى

وماهاج هذا الشوق الا حمامة دعت ساق حر ترجه وترنما

والحمامة هاهنا قمرية وقال الاصمعى فى قول النابغة

ولحكم الحكم فتات الحى اذ نظرت الى حمام شراع وارد الثمد

هذه زرقاء اليمامة نظرت الى قطا * الا ترى الى قوله

ليث الحمام له الى حماماته ونصفه قديه ثم القطا منه

وقال الاموى والدواجن التى تستفرخ فى البيوت حمام ايضا

وانشد

انى ورب البلد المحرم والقاطنات البيت عند زمزم

قواطنا مكة من ورق الحمى والقاطنات البيت غير الريم

يريد الحمام فحذف الميم وقلب الالف ياء ويقال انه حذف الالف كما يحذف الممدود فاجتمع الميمان فلزمه التضعيف فقلب احدهما ياء كما قالوا تظنيت وجمع الحمامة حمام وحمامات وحمائم * وربما قالوا حمام للواحد كما قال الشاعر

حماما فقرة وقعاوطارا

وقال جران العود

وذكرنى الصبا بعد الشتاء حمامة ايكة تدعو حماما

انتهى * ونقل الازهرى عن الشافعى رضى الله تعالى عنه ان الحمام كل ما عب وهدر وان تفرقت اسماؤه والعب شدة الجرع للماء من غير تنفس * قال ابن سيده يقال فى الطائر عب ولا يقال شرب والهدير ترجيع الصوت ومواصلته

من غير تقطيع له قال الرافعي والاشبه ان ماعب هدر * فلو اقتصر في تفسير الحمام على العب لكفاه يدل عليه ان الشافعي رضي الله تعالى عنه قال في عيون المسائل وماعب من الماء عافهو حمام وما شرب قطرة قطرة كالدجاج فليس بحمام ذكره العلامة الدميري وفيما نقله عن الرافعي نظر ذكره بعض المتاخرين فانظر وتامل وقوله (النحو اقد جمع فاقدا وفاقدة والفاقدة هي التي تفقد اولادها وزوجها تطلق على المراة وغيرها والحمام اذا فقد الفه ناح وحرك الاشجان والاطراح * وقد تلاعبت الشعراء بذلك وتشعبوا في سلوك هاتيك المسالك ونظموا في نوح الحمام * ما تنساق له الاوراق وتميل منه اغصان الاقلام * فمن ذلك قول عوف من قصيدة

وارقني بالرى نوح حمامة	فبحت وذو البين الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذرد معة	ونحت واسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما	ومن دونها فراخي مهامه فيح
الا ياحمام الايك الفك حاضر	وغصنك ميادفهم تتوح
افق لا تنح في غير شئ فانني	بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوع وشطت غربة دار زينب	فها انا ابكي والفؤاد قريح

وانشد ابو حاتم الاصمعي لحميد بن ثور

اذا نادى قرينته حمام	جرى لصبابتي دمع سفوح
ترجع بالدعاء على غصون	هتوف بالضحى غرد فصيح
هفا هديله حتى اذا ما	تغرد ساجعا قلب قريح
فقلت حمامة تدعو حماما	وكل الحب نزاح طموح

ولله در القاضي الارجاني حيث يقول

صوت حمام الايك عند الصباح	جدد تذكاري لعهد الصباح
علمتنا الشجو فيا من راعي	عجبا يعلمن رجالا فصاح
الحان ذات الطوق في غصنها	تذكرني ازمان ذات الوشاح
لا اشكر الطاشران شاقني	على نوى من سكنى والنشراح
وانما اشكر لوانه	اعارني ايضا اليهم جناح

وانشد الرياشي

الا قاتل الله الحمامة غدوة	على الغصن ماذا يهيج حين غنت
تغنت غناء اعجميًا فهيجت	نوای التی کانت ضلوعی اجنت
نظرت بصحراء الغریقین نظرة	لجاریة لو جن طرف لجنت

وانشد فستجمع بين نهار لرجل من بني الصيداء

دعت فوق افنان من الایك موهنا	مطوقة ورقاء فی اثر الف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت	وشبت ضرام النار تحت الشراسف
بکت بجفون دمعها غير ذارف	واغرت جفونی بالدموع الذوارف

ولابن لؤلؤ الذهبي

وتنبهت ذات الجناح بسحرة	بالوادیین فنبهت استواقی
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن	یعقوبها واللحن عن اسحاق
انی تباریني جوا وصبابة	وکآبة واسی وفیض مآقی
وانا الذی املی الهوی عن خاطری	وهی التی تملی من الاوراق

ولابن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا	واراها فی الحزن لیست هنالك
خضبت کفها وطوقت بجید	ذو غنت وما الحزین کذلك

ولنبهان التقفسي

حمام الاراك الا اخبرینا	لمن تندبین ومن تعولینا
فقد شقت بالنوح منا القلوب	وابکیت بالندب منا العیونا
تعالی نقم ما تشما الهموم	ونعول لخواننا الظاعنینا
ونسعدکن ونسعد ننا	فان الحزین یواسی الحزینا

الى غير ذلك وحاصل معنى البيت ان معاهد الاحباب ومنازل الاصحاب تذكره المستوطن بها قراره * واحب الساكن فيها فراره * لأمر دهم * وحادث عظيم هجم * وقد صارت هاتيك المعاهد * لاجتماع اسفها وفراق الفها بحال يشبهها فيه الحمام الفواقد * فهي ابدا تحن الى سكانها * حنين الابل الى اعطانها * وفي البيت على هذا التقرير * من المبالغة ما لا يخفى على خبير * بل لا يبعد ان يكون فيه الغلو المقبول * الذي ترقص له الاذهان والعقول * فهو من قبيل قول المتنبي في ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا لو ينبغي عنقا عليه لامكنا

واذا رجع الضمير المنصوب الى القطين كان فيه ايضا مع المبالغة الاستخدام * الذى تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامي المرام * ولكن ماتاتى له بسلاسة وسهولة كما تاتى لبعض المتاخرين * الذى سما على كثير من المتقدمين * حيث قال

وللغزالة شئ من تلفته ونورها من ضياخديه مكتسب

ولعله عفى عنه لم يرده * وصد عنه لما راه سرابا ولم يرده * لما ذكرنا فيه مع التفكيك * الذى لا يميل اليه الاكل مائل الذهن ركيك * فافهم ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك * قال الناظم

واقوت عراص الانس منها كانما المت بها بعد الانيس الاوابد

اقول اقوت اى خلت كقويت والعراص جمع عرصة وتجمع على اعراص وعرصات ايضا والعرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء والانس خلاف الوحشة وهو مصدر قولك انست به بالكسر انسا وانسة * قال الجوهري وفيه لغة اخرى انست به انسا مثل كفرت به كفرا * وقال علماء العربية الانس مجالسة الحي برفع الوحشة وثبوت الوحدانية برفع الاينظر والضمير في منها راجع الى المعاهد والمت اى نزلت يقال المت به المراى نزل به * قال الشاعر

الى اذا ما حدث المما اقول يا اللهم يا اللهما

وضمير بها راجع الى العراص وقوله بعد الانيس على حذف مضاف واقامة المضاف اليه مقامه اى بعد ارتحال الانيس او ماشاكله والانيس فعيل من الانس وهو المجانس الذى يوجد به الانس ويركن اليه * ولا يستوحش منه وفقدان الانيس مما يصعب على النفوس * ويجزعها كما سات البؤس * الا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ما خرج منها الا وابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه معه ليكون له انيسا في الوحدة * ورفيقا في الغربة * وقد علمت ما كان معه عليه في الغار من الذب عنه وحراسته من الافاعي وتلقي الاذى دونه * وسياتي ان شاء الله تعالى قريبا ما ينفعك هنا * ولهذا توجع الطغرائي من

فقدانه حين خلا بهمه واحزانه فقال

فلا صديق اليه مشتكى حزنى ولا انيس اليه منتهى جذلى

وقال السراج الوراق

افردتنى الايام من كل خل وانيس وصاحب وصديق
فلوانى مشيت فى شمس آب لابى الظل ان يكون رفيقى

وكثير من الناس من يقدم الوحشة على الاستئناس * ويتأخر عن كل انيس * ويستغنى بالوحدة عن كل جليس * لما ان المؤانس فى هذه الازمان مخالس والمجالس فى هذه الاوقات غير مجانس * ورضى الله تعالى عن القائل * الذى هو فى ظلال العرفان قائل * وعن طرق الرشاد غير مائل *

عفى الله عن هذا الزمان فانه زمان عقوق لا زمان حقوق
وكل رفيق فيه غير موافق وكل صديق فيه غير صدوق

وقال آخر

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحه
كلهم اروغ من ثعلب ما اشبه الليلة بالبارحة

وقال الصفدى

وجدت فى عشرة صحبتى اذى لما لزمت البيت فى الوقت زال
يا عجبا من اشعرى غدا بجد راى الناس فى الاعتزال

وقال عند الحسن الصورى

انست لوحدتى حتى لوانى رايت الانس لاستوحشت منه
ولم يدع التجارب لى صديقا اميل اليه الا ملت عنه

وقال المعتصم بن صمادح عفى عنه

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا لسرنى مبادية الاساءة فى العواقب
ولا قلت ارجوه لكشف ملمة من الدهر الا كان احد النوائب

وقد اختلف العلماء فى العزلة والخلطة ايهما افضل فذهب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه والاكثرون الى تفضيل الخلطة لما فيها من اكتساب الفوائد وشهود الشعائر وتكثير سواد المسلمين وايصال الخير اليهم واهتمام الشارع صلى الله عليه وسلم بالاجتماع والخلطة امر معلوم ولهذا قال الفقهاء يجوز

نقل اللقيط من البادية الى القرية ومن القرية الى البلد ولا يجوز العكس وروى المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن الذى لا يخالط الناس * وذهب جماعة اخرون الى تفضيل العزلة لما فيها من السلامة المحققة لكن بشرط ان يكون عارفا بوظائف العبادة التى تلزمه وما يكلف به * وقال صلى الله عليه وسلم لعقبة بن عامر رضى الله تعالى عنه لما سأله ما النجاة * املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك * وقال الحسن رحمه الله تعالى كلمات احفظهن من التوراة * قنع ابن ادم فاستغنى * اعتزل الناس فسلم * ترك الشهوات فصار حرا * ترك الحسد فظهرت مروءته * صبر قليلا فتمتع طويلا * والقلب الى هذا اميل * لا سيما فى هذا الزمن الذى هو عيبة البلا والمحن * وايم الله لئن حصل بالخلطة ذرة خير * فلا يبعد ان يحصل منها جبل ضير فهى كالحمرة فى طبعها اثمها اكبر من نفعها * ولله در من قال

هذا الزمان الذى كنا نحاذره	فى قول كعب وفى قول ابن مسعود
دهر به الحق مردود باجمعه	والظلم والبغى فيه غير مردود
ان دام هذا ولم يحدث له غير	لم يبك ميت ولم يفرح بمولود

فعليك بالاعتزال فهو فى هذا الزمان خير سنه وارفض مخالطة الانام فهى تشعر بكل محنه ولله در فتح الله البيلونى حيث يقول

يقولون وافق او فنافق فانما	على مثل ذا فى العصر كل الورى درج
فقلت وامر ثالث وهو اوفضا	رق وهذا الامر فيه للحرج

ولا تظن ان الخمول عار * والاختفاء شنار * وانظر الى ما قاله ابو العباس بن خصيب * فانه لغرض الصواب مصيب *

ليس الخمول بعار	على امرئ ذى جلال
فليلة القدر تخفى	وتلك خير الليالى

ويعجبنى فى الوحدة قول الصفدى

كففت عن الأيام فى وكنى	كانى بت فى خرس ورعشه
وكنت متيما فى كل شخص	فعندى من خيالى اليوم وحشه

ومثله قوله ايضا

لزمت بيتى كلزوم البناء	فى الفعل والحرف على الأصل

واستوحشت نفسي حتى لقد نفرت لو امكن من ظلي

والكلام في ذلك كثير والاوابد الوحش وهو كل شئ من دوات البر مما لا يستأنس به وحاصل المعنى ان اماكن الانس والسرور ومعاهد الفرح والحبور من ديار الاحباب * ومنازل الاصحاب * قد خلت من الانيس * واقفرت من مسامرة جليس *

امست خلاء وامسى اهلها ارتحلوا اخنى عليها الذى اخنى على لبد

وكان الوحوش انسوا بها * بعد صحبها * واستوطنوا فيها * بعد اهاليها * ولعمري ان دارا فقد المحب فيها احبابه * واقوت عراص الانس منها حتى صارت بها تيك الشبابه * لهي شردار * ومعدن الانكار والاكدار * واقد صدق ابو الطيب حيث يقول

شر البلاد بلاد لا انيس بها وشر ما يكسب الانسان ما يصم

واين هذه الدار التى اقوت معالمها * ودرست اطلالها ورسومها * من الدار التى وصفها الحريرى بقوله

وحبت بها ما يملأ العين قرة ويسلى عن الاوطان كل غريب

والمكان الذى وصفه الاخر بقوله

فيالك من نادغدا زينة العلا وواسطة الدنيا وفائدة العصر

فسبحانه من قادر * واذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون * ومن حكيم لا يسئل عما يفعل وهم يسألون * ثم لا يخفى ما فى قوله الانس والانيس من اللطافة التى يسيمها بعضهم بجناس الاشتقاق فهو على حد قوله تعالى اذا وقعت الواقعة وارفت الازفة وقول عمر بن كلثوم فى معلقته المشهورة

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ويعجبنى فى هذا الباب قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه لم تخط ما اوجبت القسمة
فعلك من لونك مستخرج والظلم مشتق من الظلمة

وقال الاخر ولجاد كل الاجادة

عاتبت طيف الذى اهوى وقلت له كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال انست نارا من جوانحكم يضئ منها لدى الساترين قنديل

فقلت نار الجوى معنى وليس لها نور يضيء فماذا القول مقبول
فقال نسبتنا في الامر واحدة انا الخيال ونار الشوق تخييل

وفي قوله الانيس والاوابد ما يسمونه بملحق الطباق لانهما يرجعان من الضدين فهو كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مما خطيئاتهم غرقوا فادخلوا نارا وقول الحماسي

لهم جل مالي ان تتابع لي غنا وان قل مالي لا اكلفهم رفدا

بل لا يبعد ان يكون طباقا على حد قوله

قد طال ليلي واجفاني به قصرت عن الرقاد فلم اصبح ولم انم

فتامل وافهم والله تعالى اعلم قال الناظم

وان اصيحابا الفت اصطحابهم خلت منهم بالابرقين المعاهد

اقول ان هنا لتاكيد الحكم فقط اعتناء به ومثله في الكلام كثير والاصحاب تصغير اصحاب وهو هنا للتعظيم على حد قوله

وكل اناس سوف تدخل بينهم دويهية تصفر منها الانامل

وقرينة التعظيم كثار على علم والاصحاب جمع صاحب * وقال الجوهري جمع الصاحب صحب مثل راكب وركب وصحبه بالضم مثل فارة وفرهة * وصحاب بالكسر مثل جائع وجياع وصحبان مثل جائع وجيعان * واما الاصحاب فهو عنده جمع صحب مثل فرخ وافراخ * ويجمع صاحب بمعنى صحابي على صحابة ولا يجمع فاعل على فعالة الا هذا الحرف الواحد وصحب عند الاخفش قاله شيخنا طاب ثراه والصحابي من لقي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ومات على الاسلام ولو تخللت ردة على الاصح فقولهم من لقي يعم من لم يره ولكن اجتمع معه كابن ام مكتوم ومن اجتمع معه يسير كثير من الصحابة لكن يخرج عنه من راه من بعيد مثل من كان مع ابيه فاراه النبي صلى الله عليه وسلم من بعد * ومثل ابي الطفيل عامر بن واثلة فانه لم ير الا مجرد الرؤية اما في حجة الوداع او غزوة الفتح او غزوة الحنين مع عدالة الحديث لهم في الصحابة الا ان يقال ذلك على سبيل التوسع المجازي لا على سبيل الحقيقة لشرف منزلة النبي صلى الله عليه وسلم حتى اعطوا كل من راه حكم الصحبة كما صرح بذلك ابو المظفر بن السمعاني وايدناه

بما هو مذكور في بعض كتبنا وقولهم مؤمنا به اخرج من لقيه بعد البعثة كما رآه ومن لقيه قبل البعثة ومات كذلك على دين الحنيفية كزيد بن عمرو وابن نفيل الذي قال فيه صلى الله تعالى عليه وسلم انه يبعث امة وحده وعد ابي عبد الله ابن منده له في الصحابة لعله من قبيل ما ذكرناه واخرج ايضا من لقيه قبل البعثة ثم غاب ثم ادرك زمن البعثة واسلم ولم يره بعد اسلامه كسعيد بن جبوة الباهلي فانه ليس بصحابي اجماعا ثم ان المراد بالمؤمن اعم من ان يكون بالنفس والاختيار او بالغير والاضطرار وبالايمان اعم من ان يكون حقيقة او حكما وتبعا ليدخل الاطفال الذين حكم النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن الحارث ابن نوفل وقولهم ومات على الاسلام اخرج من لقيه مؤمنا به ثم مات كافرا كابن خطل وربيعة بن امية وقولهم ولو تخللت ردة على الاصح معناه ولو وجدت ردة بين لقائه النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به وموته على الاسلام كالاشعث بن قيس فانه ارتد بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم رجع الى الاسلام بين يدي ابي بكر رضي الله تعالى عنه وزوجه اخته فانه صحابي ايضا وذلك لان الردة لا تحبط العمل الا بالموت على الكفر لقوله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم الآية وهي مقيدة للآية المطلقة ومقابل الاصح وهو الظاهر عند ابي الفضل بن العراقي والحارثي على قول مالك وابي حنيفة ان مجرد الردة تحبط العمل قيل وهو الذي نص عليه الشافعي في الام وحجتهم قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك فانها تقتضي لحباط العمل بمجرد الردة واجابوا عن متمسك الاولين بانه قد رتب في الاية المحبوط والخلود في النار والوفاة عليهما يمكن التوزيع فيكون المحبوط للردة والخلود للموت فلا يكون كل واحد من الامرين شرطا للاحباط فيبقى المطلق على اطلاقه هذا ويعرف كون الرجل صحابيا بأمور احدها الاستفاضة كعكاشة بن محصن رضي الله تعالى عنه وثانيها اخبار بعض الصحابة انه صحابي كحرملة الدوسي الذي مات باصبهان مبطونا شهد له ابو موسى الاشعري انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكم له بالشهادة واحتمال انه اراد دخوله في عموم قوله صلى الله عليه وسلم المبطون شهيد بعيد وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه تصريحه بصحبته وثالثها اخبار بعض

التابعين الثقاة بأنه صحابي رابعها اخباره عن نفسه وهو عدل عرفت معاصرته للنبي صلى الله عليه وسلم واحتمال عدم صدقه لكونه متهما بدعوى رتبة اثبتها لنفسه فهو كقوله انا عدل كما قال الامدي لا يخفى ما فيه خامسها التواتر كابي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بوصف الصحبة في الكتاب العزيز ايضا فقد اجمع للوالف والمخالف انه هو المراد بالصاحب في قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وقد امتن بهذه الاية على سائر المومنين * من اصحاب سيد المرسلين * ومما تضحك منه الثكلى * وفساده اظهر من الشمس واجلى * ما ذكره الرافضي الغالي * يوسف الكوفي الاوالي * في كتابه سلاسل الحديد * في الرد على ابن ابي الحديد * ما حاصله ان هذه الاية لا تدل على فضل ابي بكر اذ لا دلالة في قوله ثاني اثنين على شيء من ذلك اصلا لانه محرد عدد ولا في قوله اذ يقول لصاحبه لان الصاحب يطلق على الكافر كما يطلق على المسلم * قال تعالى قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بل على غير العاقل ايضا قال الشاعر

ان الحمار مع الحمير مطية ... واذا خلوت به فبئس الصاحب

ولا في قوله لا تحزن لان الحزن ان كان طاعة فكيف ينهى عنه الرسول وان كان معصية فكفى به ذما ولا في قوله فانزل الله سكينته عليه لان الضمير راجع الى النبي كما يدل عليه السياق واللحاق والا لزم التفكيك وهو خلاف الاصل انتهى وهو كلام فاسد وزعم كاسد فبلا بل هذه الاية تكثر الصدح على افنان المدح * لانها مسوقة للتوبيخ والعتاب في ترك نصرة ذلك الجناب * ولم يدخل ابو بكر فيما هنالك * ولم يعاتبه ربه بذلك وما ذلك الا لنصرته له صلى الله تعالى عليه وسلم وخاطرته بنفسه امامه * ونجدته اياه وان ادنت حمامه * وكفى به فخرا كما لا يخفى * وقوله ثاني اثنين يدل على المدح دلالة لا مرية فيها * ولا شبهة تعتريها * لان كونه صلى الله تعالى عليه وسلم ثانيا لابي بكر في ذلك الموطن الذي لا يصحب الانسان فيه الا من يعتمد عليه * ويقاتل بين يديه * ويسعفه في الشدائد * ويسعده في دفع المكائد * ويؤنسه في الوحدة * ويجود بنفسه بالنجدة اقوى

دليل على مدح الصديق * وانه خير رفيق * ولا يمكن ان يقال انما اخذه معه
خوفا من ان يدل الكفار عليه * ويرشدهم اليه لان دلالة الكفار متأتية
له * وان ذهب معه الى الغار بان يخبر اهله الذين تزعم الرافضة نفاقهم
لانه ذهب مع محمد صلى الله عليه وسلم ليخبروا بذلك اولئك الاشرار *
فتقضي له المآرب والاوطار * او بان يناديهم عند وصولهم اليه ها هنا
محمد فاهجموا عليه * بل ربما يدعى ابقاوه بمكة اولى لهذا الغرض بان
يذهب صلى الله تعالى عليه وسلم وحده بلا رفيق الى الجهة ليعلم بها ابو بكر
الصديق * ويدعه بين هؤلاء الكفار حتى لا يتفقد واعند فقده النبي المختار
* اذ يفقد الملازم بفقد الملازم وملازمة الصديق معلومة لدى العدو *
والصديق * وكذا قوله اذ يقول لصاحبه لان الاضافة في صاحبه للعهد اى
الصاحب المعهود الذى تميز حاله على اقرانه * وارتفع شانه على سائر اصحابه
فخرج معه في هذا الموطن الذى تظهر فيه السرائر * وتبرز ما اجنت الضمائر *
ويكون فيه للنفاق * نفاق واى نفاق * فان كان عنده نفاق لابداه * ولتخلف
عنه وما ولاه * فمن العهد ظهر المراد * واندفع الايراد * الصادر من محض
التعصب والعناد * ومما يدل على ذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم له في
احاديث كثيرة * واخبار شهيرة * بوصف الصحبة * والايناس له في
تلك الغربة * على ان الامير المعصوم بزعم الشيعة كثيرا ما كان يمدحه
بذلك * ويعظمه بما هنالك * وحمله على التقية * بما لا يقدم عليه ذو مروة
* وكذا قوله لا تحزن لانه اشفاق عليه من هذا الحزن الذى كان لاجله
واقتضاه مضاعف المحبة * ومزايد الالفة والصحبة * حتى صار كالامر
الضروري * والحال القهري * وشان المحب امثال هذا الكلام في امثال
ذلك المقام * ولا يعد الحزن عند هذه المعضلات من المعاصي والسيئات
* ولا يعد النهي عن هذا الامر الجبري * والحال القهري نهيا عن طاعة الامن
كثير الجهل قليل البضاعة * وقد ورد مثله في الكتاب * خطابا
للسيد ذوى الالباب * الواجب العصمة عند الفريقين * والمحفوظ لذى
الفئتين * قال الله تعالى ولا تحزن عليهم ولا يحزنك قولهم فخاطب الله تعالى
رسوليه موسى وهارون بما هو فوق وهما بالاجماع معصومان من

السلوك فى سبيل المسالك * وشيء من المقاطب والمهالك * فقال تعالى
خطابا لهما لا تحزنا فانتما معكما * وفى معاملة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم
لابى بكر رضى الله عنه كمعاملة الله تعالى له اشارة الى ان ابا بكر عنده مثله
عند ربه * مقيما على سائر اتباعه وصحبه * وكذا قوله فانزل الله سكينته عليه
لانه اذا كان الضمير راجعا الى الصاحب على ما يقتضيه انزال السكينة لانها
تخالف الحزن والحزين انما هو الصاحب كما هو نص الاية وبذلك سهل امر
التفكيك لانه عند القرينة سائغ شائع كما يدل عليه الاستعمال ويشهد
له التتبع فالامر واضح وان كان راجعا للنبى اجراء الضمائر على نسق واحد
بحسب الظاهر فالمدح اتم لان المحتاج فى هذا المقام للسكينة انما هو
الصاحب فيكون فى انزالها على النبى اشارة الى انهما كشىء واحد حتى
ان انزالها على النبى كانزالها على الصاحب وهذا مدح لا يدرك شأواه *
ولا ينال علاه وقوله تعالى ان الله معنا حيث عمم للمعية ولم يقل كما قال
موسى عليه السلام لقومه انى معى ربى سيهدين * تنبيها على ان من الفضيلة
والشرف * كما هو ظاهر لمن عرفه انصف * ولولا خوف السآمة وحذف
الملامة * ولاحظة ما يقال استوفى الجمل * وترك ما يراد منه وعدل
* لاشفينا الفؤاد * بمزيد البيان وايضاح المراد * ولكن كما قيل

ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى فؤادى ولكن للعتاب مواضع

فافهم ذاك والله تعالى يتولى هداك * واعلم انه قد شاع رواية بعض الاحاديث
عن جنى وربما يكون ممن يدعى الصحبة * فى قبول ذلك توقف عند
شيخنا الحافظ ابن حجر لان شرط الراوى العدالة والضبط * وكذا من يدعى
الصحبة شرطه العدالة على ما سمعت انفا والجن لا تعلم عدالتهم ولا ضبطهم
ومن هنا يعلم حال من يدعى انه تابعى لزعم ان صحابيا من الجن تمثل له فيراه
ويجتمع به ويأخذ عنه ولعمرى انه اذا عد ذلك حديث خرافة لم يبعد
هذا ونعود الى المقصود فنقول (قوله) الفت من الالفة وهو ظاهر
(واصطحابهم) اى مرافقتهم (خلت) اى فرغت ويقال خلا الشىء
خلوة وخلوت به خلوة وخلا والخلوة عند الصوفية محادثة السر مع الحق
حيث لا ملك ولا احد وذلك عند وسوسة النفس من الوجه الخاص اذ

لا واسطة من هذا الوجه بين تقييده واطلاق الحق قال العارف سيدى عمر بن الفارض رحمه الله

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر ارق من النسيم اذا سرى
واباح طرفى نظرة امّلتها ... فغدوت مغرورا وكنت مكرا
ودهشت بين جلاله وجماله ... وغدا لسان الحال عنى مخبرا
عنى خذوا وانى اقول واولى اسمعوا ... وتحدثوا بصبابتى بين الورى

والملاء عند المتكلمين مقابل الملاء والكلام عليه مع طوله لا يناسب هذا المقام نعم اقول الاصح امكانه بل وقوعه وان قول من قال ان ما وراء العالم لا خلا ولا ملا ليس بالمقبول وادلة الفلاسفة على ذلك وكذا على استحالة الخلاء اوهن من بيت عنكبوت فى خلاء (والابرقين) اسم مكان (والمعاهد) تقدم معناه وحاصل معنى البيت ان صحبى واحبة قلبى الذين الفت مرافقتهم فرغت منهم المنازل بالابرقين * وقرات عليهم افواه المغادير بالحبن * بعد ان كنا معهم فى روض اريض * وعيش عنه طرف الزمان غضيض

وكنا كغصنى بانة وسط روضة ... نشم جنى الروضات فى عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع ... فيا فرقة بانت تحن الى فرد

وهذا ايضا على سبيل التفجع * والتحزن والتوجع * الذى تراكضت فى ميدانه اشعار الشعراء * وافكار الادباء * فمن ذلك قول محمد بن هانى الاندلسى من قصيدة

اقوى المحصب من عاد ومن هيد ... ودعونا الطيبات عابد بيد
ما انس لا انس اخفاق الحجيج بنا ... والراقصات من المهرية القود
وموقف الظبيات الناسكات ضحى ... يعثرن فى حبرات الفتية الغيد
وذات نبل ضعاف وهى قاتلة ... وقد يصيب كميا سيف رعديد
قد كنت قناصها اذ كنت اذ عرها ... عند التوالف فى ايامها الغيد
ورابنى لون راسى انه اختلفت ... فيه العمائم من بيض ومن سود
والشيب يضرم فى فودى بارقه ... والدهر يقدح فى شمعى بتبديد

وقال ابو اسحاق بن خفاجة من قصيدة ايضا

فيض

بجمعت وقد غنى الحمام فرجعا ... وما كنت لولا ان تغنى فاسجعا
واندب عهدا بالمشعرسالفا ... وظل غمام للصبا قد تقشعا
ولم ادر ما ابكى ارسم شبيبة ... عفا ام مصيفا من سليمى ومربعا
واوجع توديع الاحبة فرقة ... شباب على زعم الاحبة ودعا
وما كان اشهى ذلك الليل موقدا ... واندى محيّا ذلك الصبح مطلعا
واقصر ذاك العهد يوما وليلة ... واطيب ذاك العيش ظلا ومكرعا
زمان تقضى عند ذكر معاهد ... تسوم حصاه القلب ان يتصدعا
تحولت عنه لاختيار وربّما ... رجعت على طول التلذذ اخدعا
ومن لى ببرد الريح من ارق الحيا ... وربّا الحزاما من اجارع لعلعا
وقد فات ذاك العهد لا اتذكرا ... لوانى على ظهر المطى توجعا
وكنت جليد القلب والشمل جامع ... فما انفض حتى حار فارفض ادمعا
دلبت بخادى عبرة مستهلة ... اكفكف عنها بالبنان تقنعا

وهى وان لم تكن مما نحن فيه لكنها قريبة منه وهم يذكرون الشئ مع الشئ لادنى مناسبة وما هو من هذا الباب كثير يشهد فلا حاجة لنا بالاكثار من مشهود الاشعار ثم ان هذا التوجع لفراق اولئك الاصحاب واظهار التفجع عليهم والاكتئاب لعلهم لما طبعوا عليهم من محاسن الافعال * ومكارم الخصال * وقد قدمنا بعضا من الصفات التى ينبغى ان يكون الصاحب عليها وهى قريبة منك ان اردتها فارجع اليها وابن الاعرابى اوجز فما عجز * واختصر فبصر * وقال وما اطال *

واذا صحبت فاصحب ماجدا ... ذا حياء وعفاف وكرم
قوله للشئ لا ان قلت لا ... واذا ما قلت نعم قال نعم

وفى هذا البيت الاشتقاق كما بقه وهو ظاهر واحتمال ان يكون فيه ايضا ملحق الطباق بين قوله الفت وخلت مما لا ينبغى ان يختار كما لا يخفى على ذوى الابصار * قال الناظم

تطارحك الأرزاء فى كل آنة ... بفن ولا سقن الرحيل رواكد

اقول قوله (تطارحك) الظاهر انه خطاب للحزين ويحتمل على بعد انه من قبيل ولو ترى وهو ماخوذ من مطارحة الكلام ومعناها ظاهر

(والأرزاء) جمع رزء وهو المصيبة ويجمع على رزايا ايضا على ما في القاموس ويفهم من ظاهر الصحاح ان الرزايا جمع رزية لا غير وهو جمع قلة وكثيرا ما يستعمل جمع القلة موضع جمع الكثرة كقوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وقوله تعالى لا بثين فيها احقابا على قول وبالعكس كقوله تعالى ثلاثة قروء وفي الكلام استعارة مكنية وتخييلية

على حد قوله

واذا المنية انشبت اظفارها ... الفت كل تميمة لا تنفع

وانت تعلم ما فيها من المذاهب الثلاث او الاربع وقد بينا الاصح منها في حواشينا على شرح مختصر التلمساني قندية لابن عصام فان اردته فارجع اليها نعم استنبط بعض المعاصرين الذين هم لا فنان الفنون هاصرين * مذهبا خامسا فقال الذي يخطر بالبال وهو الحق ان شاء الله تعالى فيما يسمنيه القوم استعارة بالكناية من قبيل المجاز العقلي فكما انه ليس في قولنا هزم الامير الجند مجازا الا في نسبة الهزم لغير من هو له بضرب من التاويل فكذلك ليس في قولنا اظفارا المنية مجازا الا في اضافة الاظفار لغير من هي له بضرب من التاويل وهو تشبيه المنية بالسبع ولست اعني التشبيه الذي يفاد بكان والكاف ونحوها من الادوات كما يشعر به ظاهر كلام الخطيب بل تقديريا يقدره الشخص في نفسه كما يقال انخاذ شبهت ما ليس فاعملت عملها يريدون بذلك تقديرا قدرته العرب في نفوسهاد ون التشبيه المفاد بالاداة على ما لا يخفى والله سبحانه وتعالى اعلم انتهى * واظنه لم يات ما استحسنه الاذهان مع انه علامة الزمان وال في ذلك اما للجنس وهو الاصل فيها كما ذكره غير واحد من علماء العربية او للعهد او للاستغراق على بعد (والآنة) جزء من الزمان مثل الأن * وفي بعض نسخ القصيدة اتة بفتح الهمزة وتشديد النون واحد الانين ولا يخفى توجيه الكلام الا انه خلاف ما سمعت من الناظم (والفن) واحد الفنون وهي الانواع والافانين الأساليب وهي اجناس الكلام وضروبه ورجل متفنن اى ذو فنون وافتن الرجل في حديثه وخطبته اذا جاء بالافانين وهو مثل اشتق * قال ابو ذويب * * *

هو الفاضل المحرر له (افتى الورى) وحوى كل فضيلة ما حوى / فحوى كل فضيلة على فرد / الفضيلة عصره / عبد الباقي / الزرقاني

فافتن بعد تمام الورد ناجية مثل الهراوة ثنيا بكرها البل

قاله الجوهري والتنوين فيه للتعظيم مثله في قوله

له حاجب في كل امر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

(والسفن) بضم السينين المهملة جمع سفينة ويجمع على سفاين وسفين وهو مأخوذ من سفنه يسفنه قشره قال امرئ القيس

فجاء خفيا يسفن الارض بطنه ترى الترب منه لاذقا كل ملزق

وسميت السفينة سفينة لقشرها وجه الارض والمشهور ان اول من صنعها نوح عليه السلام بوحي من الله تعالى وتعليم وذهب غير واحد الى انها كانت قبل ذلك وان ضحك قومه عليه السلام ليس لاستغرابهم اياه بل لانه عليه السلام كان يصنعها على اليبس بعيدة عن الماء (والرحيل) كامير الارتحال والانتقال واراد به الموت وفي الكلام ما في الكلام السابق وقد شبه الموت هنا بالبحر وكثيرا ما يشبه به * قال الشاعر

الموت بحر موجه طافح يحير فيه العالم السابح

(ورواكد) اي سواكن يقال ركد الماء اي سكن وحاصل المعنى يا خدين الهوى وحليف الجوى لا زالت المصائب والمحن تطارحك على مر الساعات بفن غير فن فقد صرت درية لنبال المصائب * وغرضا لسهام النوائب * فكأن حالك حالك ينادي ويقول لهذا الدهر المعادي * والزمان العادي

صيرتني هدفا فلو بيقي الحيا جدثي لانبت تربتي بنبال

او انه يقول بلسان الحال الذي هو افصح من لسان المقال

رماني الدهر بالارزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

وصرت اذا اصابتني سهام تكسرت النصال على النصال

ومع ذلك سفن الارتحال ساريه * وجواري المنايا جاريه

وكل ابن انثى وان طالت سلامته يوما على آلة الحدباء محمول

قال فالى متى انت في سنة الغفله * وقد ضاقت اوقات المهله * وكيف تلتذ بهذه الايام وحمام المنايا * وغراب البين نعب في البين بالارتحال والانزاح * ولا بد من هجوم هاذم اللذات * ومفرق الجماعات * وميتم الابناء والبنات

بالذال المعجمة كما نص عليه غير واحد فليحفظ منه عبد الباقي

لاطيب للعيش ما دامت منغصة * لذا تر باذكار الموت والهرم

هذا وكون ذلك مراد الناظم هو الذى يلوح فى مرايا كلامه * وينتقش فى الواح الاذهان من سياق نظامه * ثم ان قوله ولا سفن الرحيل روا كد المراد به وقوع الموت وتحقق الفوت من اجل الاحكام المعلومة لدى الخاص والعام وتاييده فى مثل قوله تعالى ثم انكم لميتون لنكتة لا يعقلها الا العالمون ولله در ابى العتاهية حيث يقول

والناس فى غفلاتهم	ورحى المنية تطحن

وقال ايضا

املى ان اخلد والمنايا	تبين على من كل النواحى

وقال ايضا

لانا من الموت فى لحظ وفى نفس	وان تترست بالحجاب والحرس
واعلم بان سهام الموت نافذة	لكل مدرع منا ومترس

ولله در ابى الطيب بقوله

نحن بنو الموت فما بالنا	نعاف ما لابد من شربه
تبخل ايدينا بارواحنا	على زمان هى من كسبه
لو فكر العاشق فى منتهى	حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضان فى جهله	موتة جالينوس فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه	كغاية المفرط فى حربه
ولا قضى حاجته طالب	فؤاده يخفق من رعبه

وقال عبد الله بن عبد الاعلى

ارى المرء دينا للمنايا وما لها	مطال اذا حلت بنفس يوفها
فما ذا لقاء الفرع من بعد اصله	ستلقى الذى لاقى الاصول عضوها

ولعبد الرحمن العمادى الحنفى مفتى الشام * وعلامة الاسلام قصيدة حكت رقتها النسيم * وازدرت معانيها بدر العقد النظيم * ذيل بها البيتين المشهورين للوزير لسان الدين وهما

سبحان من قسم الحظوظ فلا عتاب ولا ملامه	
اعمى واعشى بشم ذو بصر وزرقاء اليمامه	

فاعقبها بما هو ارق من شكوى المحب وعتاب الحبيب * واحلى من الوصال على كبد الكئيب * ولرقتها واشتمالها على ما يناسب المقام * ويوقظ الغافل من سنة المنام * اجبنا ان نذكر غالبها * فنقول قال بعد ذكر البيتين

وسدد اوحاشر ... او جائر يشكو ظلامه
لولا استقامة من هداه ... قلما تبينت العلامه
ومجاور الفرد المخصوص له البشارة بالسلامه
واخو الجحا في سابع الثلاثاء تنفاس مرتقب حمامه
وكما مضى من قبله ... يمضى ولم يقض التزامه
والجاهل المغتر من ... لم يجعل التقوى اغتنامه
فليرفض العصيان من ... يخشى من الله انتقامه
وليعتبر بسواه من ... لصلاحه صرف اهتمامه
فالعيش في الدنيا الدنية غير موجود الادامه
من ارضعته بثديها ... في سرعة تبدى فطامه
او عرجا نبه سبها ... تنوى على الفور اهتضامه
واذا نظرت فاين من ... منعته او سخت مرامه
ومن الذى وهبته وضـ ... ـلا ثم لم تخش انتصرامه
ومن الذى مدت له ... حبلا ولم تخش انفصامه
كم واحد عزته اذ ... سرته محفية الرمامه
قعدت به من حيث لم ... يعلم فلم تملك قيامه
اين الذين قلوبهم ... كانت بها ذات استهامه
اين الذين تفيؤا ... ظل السيادة والزعامه
اين الملوك ذوى الريا ... سة والسياسة والصرامه
ونوامية حيث جمـ ... ـع عضهم لهم قامه
وتمكنوا ممن بحيا ... ول نقض ما شاوا ابرامه
وتقسفوا الما بدا ... لهم محيا الارض شامه
حتى تقلص ظلهم ... واراهم الدهر اختزامه
اين الخلائف من بنى ... العباس البر السنامه

اين الرشيد واهله ... وبنوه اصحاب الشهامه
ووزيره يحيى وجعـ ... ـفر ابنه الراوى احتشامه
والفضل مدنى من بقو ... ل الحق يلوم على الندامه
اين عنترة الشجا ... ع وذو الجدى كعب بن نامه
والزاعمون بجهلهم ... ان للقبور صدا هامه
والمكثرون من المجو ... ن اذا اشتكى الفكر اغتمامه
اين القريض ومعبـ ... ـد واشعب وابو دلامه
اين الاولى هاموا سعـ ... ـدى او ثنية او امامه
وبكوا الغرط جواهم ... والليل قد ارخى ظلامه
وتتبعوا اثار من ... عشقوا بنجد او تهامه
وتقلبوا والشوق يغـ ... ـلب بالاراكة والبشامه
اضنى النوى قيسا فقا ... سى لا عجا اغرى غرامه
وغوى هوى عبلان منـ ... ـذ بدا نميته هيامه
اين الاكاسرة القيا ... صرة الجحاجحة الغمامه
اين الذى الاهرام من ... ابنيانه يحكى اعتزامه
اين ابن غمدان وسيـ ... ـفه الوفود به امامه
اين الخورنق والسدير ... ومن بناهما اوامه
ومدائن الاسكندر الـ ... ـاولى لها اعلا دعامه
اين الحصون ومن يصو ... نها من الاعداء حطامه
اين المراكب والمسوا ... كب والعصائب والنمامه
اين العساكر والدسا ... كر والندامى فى المدامه
وسقاتها الملاعبو ... ن بلب من اعطوه جامه
من كل اهيف يزدرى ... للغصن اذ يثنى قوامه
ذى غرة لالاؤها ... يمحو عن النادى ظلامه
فالشمس فى ازراره ... والبدر فى يده قلامه
يصمى القلوب اذا رمى ... عن قوس حاجبه سهامه
ويروق حسنا اذ رنى ... ويفوق اراما بسامه

انى له تفر حلى * اذ قال من رآه ابتسامه
انى له وجه نيشب * بل مبصره ضرامه
استغفر الله للسفو * رى الشرع اغتنامه
بل اين ارباب الفلو * اولوا المصدى والامامه
ونوا الوزارة والكتا * بة والحجابة والعلامه
الى ان قال
والعمر مثل الضيف او * كالطيف ليس له اقامه
والموت حتم ثم بعد * الموت اهوال القيامه
والناس مجزيون عن * اعمال ميل واستقامه
فزوا السعادة يضحكو * ن وغيرهم يبكى ندامه
والله يفعل ما يشا * بهم هوانا او كرامه
ويشفع المختار فيـ * ـهم حيث يبعثه مقامه
فعليه خير صلاته * مع صحبه تتلو اسلامه
والتابعين ومن بدا * برث الرشاد له فشامه
ما فاز بالرضوان عبـ * ـد كانت الحسنى ختامه

انتهى ثم كون المراد بسفن الرحيل النجب التى تحمل الاحباب وتذكى سنران الاكتئاب فيه نوع لطافة * وبعض ظرافه * ولا يبعده الاخبار عن اولاد نعمان هذا المغنى ليس فيه كثير جدوى بعد الابيات السابقة فليفهم

والله تعالى اعلم قال الناظم

نذير الفنا واقى ونفسك لم تزكر * لتغنى واحكام القضاء نوافذ

اقول (النذير) المخبر المخوف فى الابلاغ (والفنا) العدم ويطلق عند القوم على ثلاث معان الفناء عن وجود السوى والفناء عن شهود السوى والفناء عن ارادة السوى فاما الاول فهو فناء القائلين بوحدة الوجود وانه ما ثم غير موجود *

ان الوجود وان تعدد ظاهرا * وحياتكم ما فيه الا انتم

فهؤلاء لا يثبتون الا وجود الواجب ولا يفرقون على ما قيل بين وجود الحق ووجود الخلق الا بالاعتبار * وربما قالوا ليس فى الدار غيره ديار

ومن هنا قال الشيخ الاكبر قدس سره

ما آدم فى الكون وما ابليس ما ملك سليمان وما بلقيس
الكل اشارة وانت المعنى يا من هو للقلب مغناطيس

وسبقه الى ذلك الحلاج بقوله

- يحجوبك تقديسى وعقلى فيك مفهوم
فما ادم الا لك وما فى الكون ابليس

وزعم بعض الناس انهم وحاشاهم ثم حاشاهم يجعلون الامر والنهى المحجوبين عن شهودهم وفنائهم والمحجوب عندهم من يشهد افعاله طاعات او معاصى لانه فى مقام الفرق فاذا ارتفعت درجته عندهم فلا طاعة ولا معصية لان ذلك يستلزم مطيعا ومطاعا وعاصيا ومعصيا وهو تعدد ينا فى التوحيد وهذا طور ما وراء طور العقل فلذا طال الكلام على القائلين بذلك وعلم هولاء الطائفة سيدى الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر نفعنا الله ببركاته وافاض علينا من فتوحاته واذهاننا قاصرة عن ادراك كلامه وافهامنا حاصرة عن فهم مرامه ولا اقول انه من قبيل المتشابه لان شيخنا اعلى الله درجته فى اعلى عليين لم يرض به معللا له بدخول قائله تحت خيمة التكليف فلا يقاس بمن لا يدخل تحت التكليف وكذا لا اقول انه كلام سكر وغيبة لانهم دونوه وملؤوا منه الكتب والاوراق ونشروه فى الامصار والافاق وبالجملة هذا مقام لا يسلم من الزلل فيه الا من اخذت العناية بيده واعطته الهداية قوة قدسية من مكر الشيطان وكيده والاوقع فى هفوة الحلول او العينية او الاتحاد وسجين السوفسطائية ارباب الجدل والعناد والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ومما يقضى منه العجب ان الشيخ عبد الغنى النابلسى رحمه الله تعالى حكى فى بعض رسائله فى هذه المسئلة عن شيخ الاسلام ابى الكمال انه قال يجب على ولى الامر ان يجبر الناس على القول بوحدة الوجود وانت تعلم ان هذا مما لا يكاد يسلم ان اريد بوحدة الوجود المعنى المشهور بين الوجودية القائلين سبحان من اظهر الاشياء وهو عينها وكيف يسلم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدع الناس الى ذلك وهو المبعوث لنصح العبيد والارشاد الى التوحيد وكذا خلفاؤه الهادون المهديون واما الثانى فهو الفناء الذى يشير اليه اكثر الصوفية وحقيقته فناء ما سوى الله تعالى

عن شهودهم وحسهم فهو غيبة احدهم عن سوى مشهوده ومحبوبه عن حبه ونحو ذلك
عن وجوده وقد يسمى مثل هذا سكرا واضطلاحا ومحوا وجمعا وقد يغلب الشهود
عليه حتى يظن انه اتحد به نفسه ويتفوه مثل ذلك فى الحقيقة المجازية فضلا عن الحقيقية
كما يحكى ان مجنون عامر سئل اتحب ليلى فقال ومن ليلى انا ليلى وان رجلا القى محبوبه
نفسه فى الماء فالقى المحب نفسه ورائه فقال له ما الذى اوقعك فى الماء فقال

لقد غبت بك عنى فظننت انك انى

وهذا اذا عاد عليه عقله يعلم انه كان غالطا وان الحقائق متميزة فى ذاتها متباينة
فى صفاتها واين التراب من رب الارباب ولكن فى هذا الحال العزيز يغيب عن
هذا التميز فيعذر فيما يقوله من الكلمات ويرفع عنه قلم المؤاخذة فى هاتيك
الشطحات مثل قول بعضهم انا رب الارباب انا منشئ السحاب ونسبة ذلك
الى على رضى الله تعالى عنه لا يصح وقول الاخر ما فى الجبة الا الله وسبحانى
ما اعظم شانى وللعلماء فى امثال ذلك تاويلات دفعوا بها الاعتراض عن اولئك
السادات واما الثالث فهو خواص العارفين والائمة المقربين وذلك
ان صاحبه يكون شائما برق الغناء عن ارادة ما سواه * سالكا سبيل
الجمع على ما يحبه ويرضاه * فانيا بمراد محبوبه منه عن مراده هو
من محبوبه فضلا عن ارادة غيره * قد اتحد مراده بمراد محبوبه اعنى المراد
الدينى الامرى لا المراد الكونى القدرى فصار المرادان واحدا مع
تباين الارادتين وحصول التفرقة فى البين فلا يحب الا الله ولا يبغض الا
فيه ولا يعطى ولا يمنع الا له ولا يرجو الا اياه ولا يستعين الا به هذا ان الله
تعالى واياك لذلك ووفقنا الله للسير والسلوك فى احسن المسالك وكم للعلماء
فى هذا المقام من رسالة اوقد وافيها للسالك بزبيت الحق ذباله وسيأتى مبانى
شاء الله تعالى عند قول الناظم مقامك جمع الجمع الخ ما يورث العين قره والقلب
مسره مما يتعلق بهذا المقام ويبرى السقام ويروى الاوام ثم المراد بنذير
الغناء هنا الشيب ففى الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدى
فقد قرب الموت وقال قيس بن عاصم الشيب خطام المنية وقال اكثم بن صيفى
الشيب عنوان الموت وقال الحجاج بن يوسف الشيب نذير الاخرة وقال
العتابى الشيب نذير المنية وقال محمود الوراق الشيب احدى الميتتين

وقال ابن المعتز الشيب اول مواعيد الفناء ولله در ابن الرومي حيث يقول

كفى سراج الشيب في الراس هاديا ... لمن قد اضلته المنايا اليا ليا
امن بعد ابداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا
غدا الدهر يرميني فتد نو سهامه ... لشخص اخاف ان يصيبن سواديا
وكان كرام الليل يرى ولا يرى ... فلما اصاب الشيب شخصي رمانيا

وقال الشهاب الخفاجي

لعمرك لقد خط المشيب بمفرقي ... رسائل تدعوا كل حي الى البلا
ارى نسخة للعمر سودها الصبا ... وما بيضت للشيب الا لنقلا

وللارجاني انشده في كتابه معاني المعاني

وقد علمت غبرة الشيب انني ... فنيت للاجل المكتوب مكتليا
كتاب عمري الليالي تربته ... وما ادري المترب ان تلقاه منطويا

وقال الصفدي بمعناه واجاد

اذا كتب الشباب سطور مسك ... واتربهن كافور المشيب
فيا اسفي وما اسفي وحزني ... سوى طي الصحيفة عن قريب

وقال محمد بن قاسم الحلبي من قصيدة

شعر المرء نسخة العمر والا ... يام فيها من اصدق الكتاب
فاذا تم منه ما كتبته ... ترتبه من شيبه بتراب

وقيل وكثيرا ما يشبه الشيب بالغبار وهو تشبيه تستحسنه الافكار ولله در ابن المعتز حيث يقول

صدت سعاد واذ معت هجرها ... وصفت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها ... هذا غبار وقائع الدهر

وما الطف قول الشهاب

ليل الشباب لنا ... والشيب صبح تألق
ما الشيب الا غبار ... من ركض عمري تعلق

وطال ما تحسر الناس على فقد الشباب وكثر منهم عليه الاكتئاب وحزنوا على نزول المشيب ورأوا ان ذلك اكبر عيب انشد ابن الرومي

يا شبابى واين منى شبابى ... آذنتنى ايامه باقتضابى
لهف نفسى على نعيمى ولهوى ... تحت افنانه اللذاذ الرطابى
ومعز عن الشباب مؤاس ... لمشيب الذات والاصحاب
قلت لما انحى بعيد الساءت ... عن مصاب شبابه فصاب
ليس تاسو كلوم غيرى كلومى ... مابه مابه وما بى ما بى

ومما اظرف ما رواه ابو بكر بن رويد قال حدثنا العكلى عن ابن ابى خالد عن الهيثم بن عدى قال دخل الخباز بن اوفى الهندى على معاوية فقال له معاوية يا خباز كيف تجدك * وما صنع الزمان بك فقال يا امير المؤمنين صدع الدهر قناتى وانكف لذاتى * واوهى عمادى * وشيب سوادى * واشرع فى تلادى * ولقد عشت زمانا اصبى الكعاب * واسر الاصحاب * واجيد الضراب * فبان ذلك عنى * ودنا الموت منى * وانشأ يقول

عمرت زمانا يرهب القرن جانبى ... كانى سقيم بامل القلب خادد
يخاف عدوى صولتى ويهابنى ... ويكرمنى قومى وجار المجاور
وتصبى الكعاب للمتى وشمائلى ... كانى غصن ناعم النبت ناضر
فبان شبابى واعترتنى رعشة ... كانى قناب الطرتها المياطر
ادب اذا رمت القيام كانى ... لدى المشى قرم قيده متقاصر
وكيف يلذ العيش من ليس زائلا ... رهين امور ليس فيها مصادر

فقال معاوية احسنت القول واعلم ان لها مصادر فنسأل الله تعالى ان يجعلنا من الصادرين عنها بخير فانظر كيف توجع من نزول الشيب وتفجع على ارتحال الشباب وجعل ذلك عنوان الموت وترجمة الفوت ولله در الامام الشافعى حيث يقول

ايا لومة قد عشعشت فوق هامتى ... على الرغم منى حين طار غرابها
رايت خراب العمر منى فزرتنى ... وما لك من كل الديار خرابها
الا نعم عيشا بعد ما حل عارضى ... طلائع شيب ليس يفنى خضابها
وغرة عمر المرء قبل مشيبه ... وقد فنيت نفس توفى شبابها
اذا اصفر منه اللون وابيض شعره ... تغمص من ايامه مستطابها

وقال الطائى

لعب الشباب بالمفارق بل جد فابكى تماضرا ولغوبا
يا مشيب الغمام ذنبك انى حسناتى عند الحسان ذنوبا
لو راى الله ان فى الشيب فضلا جاورته الابرار فى الخلد شيبا

ولفظا فى الحداد واجاد

طراز مشيبى فى عذارى له نقش وفى كبدى منه جروح لها ارش
اذا نظرت ليلى اليه تهندت وبادر من امطارها دمعها الهارش
ولو شئت اخفاء الخضاب واتما ابى انفى من ان يداخلها غش
فقلت لها يا ليل ان شاب عارضى فما شاب لى عزم ولا وهن بطش
وما انكرى من نهضتى ما عرفته وما هى الا فوق ما عهد الفرش
فلم يثنها ما قلت حتى كأنما كلامى سرقابلت لفظه الطرش
وقالت اقلنى انما كل شعرة لشيبك افعانى فؤادى لها نهش
اذا المرء خانته الشبيبة واستعى الى الشيب فالاولى تحته النعش

وللناس فى ذم الشيب ومدح الشباب شئ كثير لا يدخل تحت الحساب ولا يمكن ان يحيط به دائرة كتاب ولكن بعضهم اظهر مدحه وستر محسن الالفاظ قبحه واراد ان يصلح بصالح الشعر فساد الشعر وهيهات ان يصلح العطار ما افسد الدهر

قال ابو عبل الخزاعى

اين الشباب واية سلكا لا اين يطلب ظل بل هلكا
لا تعجبى يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكا
يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغواية عن هوى قمر وجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعرى كيف يومكما يا صاحبى اذا دنى سفكا
لا تأخذا بطلا منى احدا قلبى وطرفى فى ذرى اشتركا

وقال ابن الانبارى انشدنى ابى

لا يرعك المشيب يا ابنة عبد الله فالشيب حلة ووقار
انما تحسن الرياض اذا ما ضحكت فى خلالها الانوار

وقال المحترى من ابيات

عذلتنا فى عشقها امر عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق

ورات لمة الهرها الشيب فرقت من ظلمة فى شروق
ولعمرى لولا الاقاحى لابصر ت انيق الرياض غير انيق
وسواد العيون لولم يكمل بياض ما كان بالموثوق
ومزاج الصهباء بالماء اولى بصبوح مستحسن وغبوق
اى ليل بهى بغير غيوم اوسماء تبدو بغير بروق

وما انضف قول مسلم بن الوليد

الشيب كره وكره ان نفارقه فاعجب لشئ على البغضاء مورود
يمضى الشباب فيأتى بعده بدلا والشيب يذهب مفقودا بمفقود

ونحوه قول بعضهم فيه

ولى صاحب ما كنت اهوى افترابه فلما التقينا كان اكرم صاحب
عزيز علينا ان يفارق بعدما تمنيت دهرا ان يكون مجانبى

وكان بعضهم يزيد كراهته اياه ومزيد حبه للشباب يهرع الى ستره باكفات الخضاب وبعضهم على كراهته اياه لا يرضى عليه من الخضاب الستور ويقول ان الخضاب من شهود الزور ولقد احسن ابن الاصفهانى فى قوله

فى شيبتى ثمانة لعدائى وهو ناع منغص فى حياتى
ويعيب الخضاب قوم وفيه لى انس الى حضور وفاتى
لا ومن يعلم السرائر انى ما تطلبت حلية الغانيات
انما رمت ان يغيب عنى ما ترينيه كل يوم مراتى
وهو ناع الى نفسى ومن ذا سره ان يرى وجوه المنعات

ومن الناس الاكياس منهم والاوباش من يتلقى مقدمة جيشه بالمنقاش وما درى ذلك المسكين ان هاتيك الشعرات البيض كجبال السحرة ما يدفع المنقاش منها بوسابل ان اراد لها دواء فليسأل الله تعالى ان يرزقه قلب هارون فيدعو من صميم قلبه ان يتداركه بمعجزة موسى وما الطف قول كشاجم

اخى قم فعاونى على نتف شيبة فانى منها فى عذاب وفى حرب
اذا ما مضى المنقاش باتى بها اتت وقد اخذت منى ومنها باحزاب
كان على السلطان يجرى بذنبه تعلق بالجيران من شدة الرعب

وهذا النتف شرعا حرام واما الخضاب فبالحنا ونحوها سنة وبها وبالكتم

وهو الوسمة قيل حرام ايضا والارجح عندى عدم الحرمة وقد الف بعض اجلة مشائخنا رسالة فى ذلك ذكر فيها ان جملة من الصحابة نحو خمسة وعشرين منهم ابو بكر رضى الله عنه كانوا يخضبون بالكتم فليحفظ وبعضهم لمزيد جرعه على الشباب هجاه ولو فتشت قلبه لوجدت حبه كمينا فى صميم سويداه فقال

لما قال للشباب فى رعة الله ولاحفظه غداة تولى
زائرا زارنا اقام قليلا سود الصحف بالذنوب وولى

وقال ابو العلا المعرى

خبرينى ماذا كرهت من الشيب فاصلى بذنب المشيب
اضياء النهار ام وضح اللؤ م لؤمكونه كشعر الجيب
واذكرلى فضل الشباب وما يجمع من منظر روق رطيب
غدره بالخليل ارجبه للمرء حتى امانه كدهر الاديب

وبعضهم عدل بين الشباب والشيب فمدح كلا منهما فقال

وكان الشباب الغض لى فيه لذة فرخرخنى عنه المشيب وادنا
فسقيا ورعيا للشباب الذى هنا واهلا وسهلا بالمشيب ومرحبا

والكلام فى هذا المقام كثير ولا ينبئك مثل خبير وقوله فى التبيت (وانى) اى اتى وهذا اما حقيقة او مجاز على حد قوله ونفخ فى الصور وقوله تعالى انى امر الله فلا تستعجلوه (والنفس) لها معان مختلفة واطلاقات فى التصرف متباينة فاحدها نفس الانسان وغيره من الحيوانات وهى التى اذا فقدها خرج عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت وهذا المعنى هو المراد هنا وهى والروح عند الجمهور شئ واحد وقال بعض بالتغاير والتحقيق انهما يتغايران تارة ويتحدان اخرى فالروح تطلق على هذا المعنى كثيرا وتطلق على القرآن وعلى جبرائيل عليه السلام وعلى غير ذلك ولكن غالب ما تسمى نفسا اذا كانت متصلة واما اذا اخذت مجردة فتسمية الروح اغلب عليها ذكره ابن القيم وهى واحدة وقيل اثنتان احدهما نفس اليقظة والاخرى نفس الحياة وقيل للمؤمن ثلاثة ولغيره واحدة وقيل للأنبياء والصديقين خمسة ارواح وغيرهم ليس كذلك وقيل غير ذلك ولا يصح من ذلك شئ وقد برهن المتكلمون على انه لا يتعلق ببدن واحد اكثر من نفس واحدة وعلى انه

لاتتعلق نفس واحدة باكثر من بدن واحد واطال الرازى الكلام على ذلك فى كتابه المباحث المشرقية ويشكل على الثانى الظاهر مما يحكى عن مولانا جلال الدين الرومى وقضيب البان الموصلى وغيرهما من الاكابر من تعدد اشخاصهم فى زمان واحد وامكنة متعددة فامعن النظر فى ذلك والله تعالى الهادى لاوضح المسالك ومحل هذه النفس عند الغزالى وجمع القلب واستدلوا بما رواه ابن عساكر ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال فاما النفس ففى القلب والقلب بالنياط والنياط يسقى العروق فاذا هلك القلب انقطع العرق وهذا الحديث مرسل وقال ابن حجر فى الاصابة غريب واسناده ضعيف جدا وقد اضطربت الاقوال فى تفسير الروح التى هى النفس اضطرابا كثيرا لايحيط به نطاق الكلام ولايتسع له هذا المقام وما عليه المعول انها جسم لطيف مخالف للهيئة هذا الجسم المحسوس نورانى علوى خفيف حى متحرك ينفذ فى جوهر الاعضاء ويسرى فيها سريان ماء الورد فى الورد والنار فى الفحم فهى على هذا جسم وحاله فى البدن وذهب بعض الاجلة لحجة الاسلام الغزالى انها مجردة وان فى قوله تعالى قل الروح من امر ربى اشارة الى ذلك وانها ليست داخل البدن ولا خارجه وكونه تعالى بالنسبة الى العالم كذلك لايتحدش وجه ليس كمثله شئ والدخول والخروج عنده مجاز عن التعلق بالبدن وانقطاعه وعلى هذا الطرز يؤول ما يشبه ذلك وهى مخلوقة باجماع المسلمين لله تعالى محدثة لاقديمة كان الله سبحانه وتعالى ولم يكن شئ غيره خلقها جل وعلا عند معظم اهل السنة مع تجدد عند تمام استعداده لها وهو مذهب ارسطو من الفلاسفة وذهب نجمة الاسلام الى انها مخلوقة قبل الاجساد لحديث خلق الله الارواح قبل الاجساد بأربعة الاف سنة وحمل ان صح على ان المراد بالارواح فيه الملائكة عليهم السلام ومذهب افلاطون على صدورها منه تعالى قبل الابدان لكنها قديمة بالزمان وهى عندهم وكذا عند المسلمين متناهية بيد انه يقول على ما شاع عنه بالتناسخ والكلام فى ذلك كثير ولابن القيم فى ذلك كتاب كبير ولعمرى لقد اتى فيه بالعجب العجاب ولم يدع بعده قولا لذوى الالباب فارجع اليه والثانى من المعانى ذات الشئ كقولهم فعل ذلك فلان نفسه اذا تولى فعله بذاته والثالث الانفة كقولهم ليس لفلان نفس اى لا انفة له والرابع الارادة كقولهم نفس فلان فى كذا اى ارادته قال

وفى رواية ٢ بعين الف سنة ٣

المزرق العبدى ويروى لمعقر بن حمادى البارقى

الا من لعين قد ناءها حميمها ... وارقها بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها ... فنفس تقرنها ونفس تلومها

وقال كثير

فاصبحت ذا نفسين نفس مريضة ... من اليأس ما ينفك هم يعودها
ونفس ترجى وصلها بعد صرمها ... تجمل كى يزداد غيظا حسودها

والخامس العين التى تصيب الانسان يقال اصابت فلانا نفس اى عين وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك من عين عائن ونفس نافس وحسد حاسد . وقال ابن الاعرابى النفوس الذى يصيب الناس بالعين * وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

فاسلم سلمت من المكاره والردى ... وعثارها ووقيت نفس الحسد

والسادس القدر من الشئ يقال اعطنى نفسا من دباغ اى قدر ما ادبغ به مرة والسابع الغيب ومنه عند بعضهم قوله تعالى تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فى نفسك وفسرها بعضهم فيه بالذات وبعضهم بالنفس بالمعنى الاول والمراد بنفسك هى نفس عيسى عليه السلام التى عبر عنها اولا بنفسى لكن اضافها اليه تعالى باعتبار انها مخلوقة له سبحانه فى الاية اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل تعلم ما فى نفسى ولا اعلم ما فيها فافهمه فانه دقيق والثامن الدم فى الحديث ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والتاسع العقوبة ومنه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فليحفظ وقوله لم تكن لتفنى اراد بها انها باقية على ما هى عليه فى زمن الصبا وهاتيك الايام من رشف قداح الافراح * ومدام الغرام واحتمال ان يكون المراد ان النفس لا تفنى كما ذهب اليه الملل من المسلمين وغيرهم بل تبقى بعد فراق البدن منعمة او معذبة فهى مستثناة من عموم قوله تعالى كل من عليها فان كما قيل فى الحور العين والولدان بعيد عن مذاق الكلام كما لا يخفى على ذوى الافهام نعم يحتمل احتمالا غير بعيد ان مراده بالفناء ما هو فى اصطلاح القوم يعنى ان نذير الموت حل بربعك * ومع هذا لم تكن فانيا بربك * ذاهلا عما سواه * غير قاصد الا اياه *

(والاحكام) الاقضية وهي جمع حكم وهو عند الاصوليين خطاب الله تعالى * المتعلق بالمكلفين والكلام عليه كالكلام على الحكم عند اهل الميزان يطلب في غير هذا المكان والقضاء قبل الحكم بنظام جميع الموجودات على ترتيب خاص في ام الكتاب اولا ثم في اللوح المحفوظ ثانيا على سبيل الاجمال وهو غير القدر لانه تعلق الارادة بالاشياء في اوقاتها وهو تفسير قضائه السابق بايجادها في المواد الجزئية المستماة بلوح المحو والاثبات كما يسمى ام الكتاب بلوح القضاء واللوح بلوح القدر وقوله (نوافذ) اى ذواهب وارادان احكام القضاء لا ترد وسهامه لا تصد وهذا هو المشهور لدى الجمهور ولكن ذاك في القضاء المبرم والحكم المحتم واما القضاء المعلق فيعتريه التغيير والله على كل شئ قدير * وانقسام القضاء الى مبرم ومعلق هو الذى ذهب اليه المعظم ونسب الى القطب الربانى سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس الله سره انه لا شئ من القضاء بمبرم بل يفعل الله تعالى ما يشاء ويحكم ما يريد وما يحكى عن بعض الاجلة من ان له تعالى نقض المبرم يرجع في الآخرة الى نفى القضاء المبرم فتامله (وحاصل معنى البيت ان نذير الهلاك اقبل اليك اتاك ونفسك * باقية على حب اللذات ومعانقة ابكار الشهوات وهذا امر لا يليق وخروج عن جادات الطريق كيف واحكام القضاء لا يردها راد * ولا يصدها صاد فالى متى جاهل بأصلاح نفسك غافل عن حلولك في رمسك واتحادك مع ابناء جنسك كان لسان حالك يقول

لا انتهى لا انثنى لا ارعوى ما دمت في قيد الحياة ولا اذا

ولله در من قال

كم الى كم لا ترعوى عن قبيح كسرت بالمشيب تلك القداح
انت في الاربعين مثل في الخمسين قل لى متى يكون الفلاح

وقال الآخر

سوفت بالتوبة اذ لم تشب والان قد شبت فما تنتظر
بعد شيب الراس لا ترعوى وبعد فوت العمر لا تزجر

والنظم في هذا المعنى شهير والكلام في شرح هذا البيت يحمل كتابا ضخما وسفرا كبيرا وما كل ما يتمنى المرء يدركه ولا كل طريق يجب ان يسلكه سلكه * وما لا يدرك

لا يترك فافهم والله تعالى اعلم واحكم قال الناظم

لئن هتفت ورقاء سعدك بالمنى فلم تنف عن حد الحتوف الحدائا

اقول (هتفت) من الهتف وهو الصوت يقال هتفت الحمامة تهتف هتفا اذا صاتت (والورقاء) الحمامة وكثيرا ما تستعمل في الكلام ويذكرها في شعره * الخاص والعام وقد قدمنا نبذة من ذلك ولله در الطغرائي حيث يقول سالكا هاتيك المسالك

ايكية صدحت شجوا على فنن فاشعلت ماخبا من نار اشجان
ناحت وما فقدت الفا ولا الفة فذكرتني اوطاري واوطاني
طليقة من اساري الهم ناعمة اضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدي وفي طربي هيهات ما نحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها اثر من نار قلبي ولا من ماء اجفاني
يا ربة البانة الغناء يحصنها خضر تلتف اغصان باغصان
ان كان نوحك اسعاد المقترب نائي عن الاهل ممنوع بهجراني
فقار ضيغ اذا ما اعتادني طرب وجدا يوجد وسلوانا بسلوان
اولا دعيني حتى استعين بمن يعنيه شاني وياسو كلم الغزالي
ما انت مني ولا يعنيك ما اخذت مني الهموم ولا يدريك ما شاني
كلي الى الغيم اسعادا فان له دمعا كدمعي وارنانا كارناني

وقال اخر

تشابهت الورقاء في النوح والاسى لانا كلانا في الهوى قد الفا
ولو كانت الورقاء مثلي حزينة لما طوقت جيدها ولاخضبت كفا

والسعد) اليمن وفي الكلام من الاستعارة ما لا يخفى وقوله (بالمنى) اى المامول على حذف مضاف اى حصول المنى وقوله (فلم تنف) اى فلم تطرد دليل الجواب لان وليس بجواب لها كما لا يخفى فهو مثل قوله تعالى وان يمسسك الله بخير فهو على كل شئ قدير وقوله تعالى ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل والحد بالحاء المهملة البأس (والحتوف بضم الحاء المهملة والتاء المثناة جمع حتف وهو الموت قال حنش بن مالك

فنفسك احرز فان الحتوف ينال بالمرء في كل وادي

والجمع باعتبار تعدد الموت فى محاله وقيل باعتبار تعدد اسبابه

فمن مات بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحد

وزعم بعضهم ان المراد بالحد حد السيف واضافته الى الحتوف لتشبيهها بالسيوف وهو كما ترى والموت وجودى عند البعض بدليل قوله تعالى خلق الموت والحياة وعدمى عند الاكثرين ومعنى خلق قدر وهو عند القوم قمع هوى النفس وهو المراد بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا واشار اليه اقلاطون بقوله مت بالارادة وينقسم عندهم الى اقسام الاول الموت الابيض وهو الجوع لانه ينور الباطن وبه تحيى القلوب ومن ماتت بطنته حييت فطنته والثانى الموت الاخضر وهو لبس المرقع والخرق الملقات التى لا قيمة لها واذا قنع من اللباس بذلك فقد مات الموت الاخضر لاخضرار عيشه بالقناعة ونضارة وجهه بنظرة الجمال الذاتى الذى حيى به واستغنى عن الجمال العارض كما قيل

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وبما روى الشافعى رضى الله تعالى عنه فى ثوب خلق لا قيمة له فعابه بعض الجهال بذلك فانشد

لئن كان ثوبى فوق قيمة الفلس فلى فيه نفس دون قيمتها الانس

وثوبك شمس تحت انوار الدجى وثوبى ليل تحت ظلمة الشمس

والثالث الموت الاسود وهو احتمال اذاء الخلق لانه اذا لم يجد فى نفسه حرجا من اذاهم ولم تتألم نفسه بل تلتذ لكونه يراه من محبوبه كما قيل

اجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم

اشبهت اعدائى فضرت بهم اذ كان حظى منك حظى منهم

واهنتنى فاهنت نفسى صاغرا ما من يهون عليك ممن يكرم

فقد مات الموت الاسود وهو الفناء بالله تعالى لشهود الاذاء منه برؤية فناء الافعال فى فعل محبوبه بل برؤية نفسه وانفسهم فانيين فى المحبوب وحينئذ يحيى بوجود الحق من امداد حضرة الوجود المطلق فليفهم فانه نفيس واراد بالحدائد السيوف وحاصل معنى البيت لئن هتفت

حمامة سعدك بحصول املك وقصدك فلا تغترن بذلك واياك ان تدع السلوك فى هاتيك المسالك اذ لابد من وقوع الموت وتحقق الفوت ولا ترد جيوش الخوف بكتائب الحدائد الحديدة والسيوف

لاسابغات ولاجياد باسلة تقى المنون لدى استيفاء اجال

ولله در العباس بن السعلب

لنا نبعة كانت تقينا فروعها وقد بلغت الافلينا عروقها
وانا لنستحلى المنايا نفوسنا وتترك اخرى مرة لاتذوقها
وشيب راسى قبل حين مشيبه رعود المنايا بيننا وبروقها
رايت المنايا باديات وعودا الى دارنا سهلا الينا طريقها
وقد قسمت نفسى فريقين منهما فريق مع الموت وعند فريقها
وبينا ترجى النفس ما هو ناخ من الامر لاقت دونها ما يفوقها

وقال الاخر

تنام ولا تنام عنك المنايا تنبه للمنية يا نؤوم
سل الايام عن امم تقضت ستخبرك المعالم والرسوم
تروم الخلد فى دار الرزايا وكم قد رام غيرك ما تروم
لامر ما تصرفت الليالى لامر ما تقلبت النجوم

وقال ابو العلا المعرى من قصيدة

غير مجد فى ملتى واعتقادى نوح باك ولا ترنم شاد
وشبيه صوت النعى اذا قيس بصوت البشير فى كل ناد
ابكت تلكم الحمامة ام غنت على فرع غصنها الميادِ
صاح هذى قبورنا تملا الرحب فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطى ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد
وقبيح بنا وان قدم العهد هوان الاباء والاجدادِ
سر ان استطعت فى الهواء رويدا لاختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحدا مرارا ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين فى طويل الازمان والآباد
فاسال الفرقدين عمن احتثا من قبيل وانسا من بلادِ

كم اقاما على زوال النهار ... وانا راحل المديح في سواد
تعب كلها الحياة فما اعجب الا من راغب في ازدياد
ان حزنا في ساعة الموت اضعا ... ف سرور في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت ... امة يحسبونهم للنفاد
انما ينقلون من دار اعما ... ل الى دار شقوة او رشاد
ضجعة الموت رقده يستريح ... الجسم فيها والعيش مثل السهاد
انبأ الله ذين اسعدنا وعد ... ن قليل الغرآء بالاسعاد
ايه لله در ركن فانثن ... اللواتي يحسن حفظ الوداد
ما نسيتن هالكا في الاوان ... الخال اودى من قبيل هلك اياد
سيدانى لا ارتضى ما فعلتن ... واطووا كن في الاجياد
فتسلين واستعرن جميعا ... من قميص الدجى ثياب حداد
ثم عزدن في المآثم واندبن ... بشجو مع الغواني الخراد

ثم شرع في الرثاء فقال

قصد الدهر من بني حمزة الأو ... ب مولى يحيى وخدن اقتصاد

الى آخر ما قال وكل الألسنة ناطقة بمضمون ما نطق به القلم وان الموت لاشك على كل انسان هاجم وهيهات ان تغني السيوف عن الحتوف او يرد الحمام الاسنة والسهام

وبينما المرء في الاحياء مغتبط ... اذا هو الرمس تغفوه الاعاصير
وكم قد رأينا من ارتعت له كاسات الأمان ونال من الاماني ما نال
اتته المنايا بغتة فلم يستطع منها فلتة

ومما يحكى ان سليمان بن عبد الملك استدعى يوما الجارية التي على خزانة ملابسه فقال لها ائتني اليوم بثياب صفر فاتته بحلة صفراء وعمامة صفراء وطيلسان اصفر من احسن ما يكون فتنظف ولبس وتطيب واستدعى صاحبة الوجه فجأته بالمرآة فراى وجهه وما عليه من البزة الفاخرة ونضارة الملك فاعجبته نفسه وقال والله لاخرجن اليوم على الناس واصعدن المنبر واتكلم من حسن الكلام ما يليق بهذه الحالة وخرج يتبختر في مشيته زهوا وعجبا بنفسه فتعرضت له جارية

يعرفها من جواريه فخدمت وسلمت وقالت ما احسن هذه الحالة التي انت فيها لو تتم وانشدت

ليس فيما بدا لنا منك عيب ... عابه الناس غير انك فاني
انت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير ان لا بقاء للانسان

فقال لها سليمان يا فلانة ما حملك على هذا في هذا الوقت وتغير عليه الحال ثم انه اكذب نفسه وتحامل على عقله بهواه ومضى لوجهه حتى خرج على قومه في زينته فاعجب الناس به وصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه * بصوت يستوي في سماعه اقصى من في المجلس وادناه وابلغ واسهب واطنب فاعجب واوجز فاعجز فبينما هو في اطيب ما يكون من الكلام اخذته الحمى فتحامل عليها فما زالت تخفض من صوته ما ارتفع حتى وقع مغشيا عليه ثم افاق فحمل الى منزله ورجلاه تخط الارض ضعفا وقوة مرض فلما دخل منزله استدعى الجارية التي تعرضت له عند خروجه بالبيتين في صحن الدار فحضرت بين يديه فقال لها يا فلانة اعيدي علي ما قلت عند خروجي فقالت له ما اعرف ما تقول والله ما تعرضت اليك وكيف اجراء على التعرض بك في صحن الدار ولتستمر تبتي فعلم سليمان ان نفسه نعيت له فاوصى ولبث اياما ثلاثا ولذلك نظائر لا تحصى واشباه لا تستقصى فليست هذه باول قارورة كسرت ولا باول صحيفة نشرت نسأل الله تعالى ان يوفقنا لمراضيه ويجعل مستقبل حالنا خيرا من ماضيه

* قال الناظم

هو الزمن العادي وصارمه الردى ... واجالنا للحد منه معاند

اقول (هو) قيل اي ما تعلم والتركيب نظير قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا وقد قال الزمخشري في الضمير فيه هذا ضمير لا يعلم ما يفسره الا ما يتلوه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي موضع الحياة لان الخبر يدل عليها وبينها قال ابن مالك وهذا من جيد كلامه وتحقيق الكلام في ذلك في محله (والزمن) كثير الوقت وقليله وهو عندنا عبارة عن متجدد يقدر به متجدد اخر واشتهر عن الفلاسفة انه مقدار حركة الفلك الاعظم الذي هو العرش بلسان اهل الشرع فيما يزعم

هو الزمن العادي وصارمه الردى ... واجالنا للحد منه معاند

بعض الناس وكثيرا ما تقع هذه العبارة فى كتب اهل السنة وهو من اشتباه المذهبين كما لا يخفى على من حقق كلام الفريقين (والعادى) الظالم الذى يعترض الناس ومنه قولهم اسد عادى او من عدا على الشئ اذا اختلسه ولعله اظهر والصارم السيف القاطع كالصروم (والردى) الهلاك (واجالنا) جمع اجل وهو مدة الشئ ويقال للوقت المقدر للموت وهو واحد على الصحيح وزعم الكعبى انه يتعدد فللمقتول عنده اجلان القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذى هو الموت وزعمت الغلاسفة ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفاء حرارته الغريزيتين واجالنا اختراعية بحسب الآفات والامراض والمقتول عندنا ميت باجله لانه مقطوع اجله عليه لان الله تعالى حكم باجال العباد على ما علم من غير تردد فيه بانه اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون واحتج المخالف بالاحاديث الواردة فى ان بعض الطاعات كالصدقة وصلة الرحم تزيد فى العمر وبانه لو كان ميتا باجله لما استحق القاتل ذما ولا عقابا ولا دية ولا قصاصا اذ ليس موت المقتول بخلقه ولا بكسبه واجيب عن الاول بان الله تعالى كان يعلم انه لو لم يفعل هذه الطاعة لكان عمره اربعين سنة مثلا لكنه علم انه يفعلها ويكون عمره سبعين سنة فنسبت هذه الزيادة الى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى انه لولاها لما كانت هذه الزيادة وعن الثانى ان استحقاق القاتل ما ذكر تعبد لارتكابه المنهى وكسبه الفعل الذى يخلق الله تعالى عقيبه الموت بطريق العادة ثم انا لا نجزم انه لو لم يقتل لمات بجواز ان يكون الامر معلقا فليفهم (والحد) من كل شئ حدته وضميره (منه) راجع للصارم (والمغامد) جمع مغمد مكان الاغماد وهو جعل السيف فى الغمد اى الجفن وحاصل معنى البيت هذا هو الزمان العادى على النفوس والمختلس لها بيد الهلاك والبوس واجالنا مغامد سيوفه وقبور حتوفه كم قد خرب ديارا عامرة وامضب حياضا كانت بسلسبيل المسرة غامرة وسلب ارواحا مرتاحة فندموا ان قدموا على ما قدموا وجعلوا يصفقون الراحة على الراحة وحكى بعض الصالحين

قال فى القاموس الحد الحاجز بين شيئين ومنتهى الشئ ومن كل شئ حدته بخلعه البائن

قال مررت بدار فى الكوفة وقد خيم عليها بؤسها ونقمها ونعيمها واذهب عنها ترحها وهمومها وبين يدى بابها عبيد وغلمان * كانهم اغتنموا الفرصة فخرجوا من الجنان * وفى بعض غرفها جارية تغنى وتنشد

الا يا دار لم يدخلك حزن ... ولا يعبث بساكنك الزمان
فنعم الدار انت لكل ضيف ... اذا ما الضيف اعوزه المكان
وربك سيد وجناك دان ... وجارك فى فنائك لا يهان

قال فتركتها ومضيت الى حال سبيلى ثم مررت عليها بعد ذلك فاذا معالم دارسه * ومحاسنها طامسه * واوجهها عابسه * وبدا لغيرها لامسه * وليس بها انيس ولا انسه * قد هجر بابها * وذهب حجابها * وتفرق اصحابها * ونسخت اى عمارتها من كتابها * وعبثت يد البلا بها

ذهبت محاسنها وبادر نعيمها ... والدهر لا يبقى مكانا سالما
ما كان احسن حالها واجلها ... لو كان عيش بالمسرة دائما

قال فسألت عن حالها فقيل لى مات صاحبها وصار امرها الى ما ترى فقرعت الباب الذى كان لا يقرع لهيبته * ولا يدنى منه لغربته * فكلمتنى جارية منها بكلام ضعيف * وصوت نحيف * فقلت لها يا جارية * اين بهجة قصركم وانوار * واين شموس افلاكه واقماره * واين عمّاره وزواره * واين مواكبه وجنوده * واين خدمه وعبيده * فبكت الجارية وقالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية * ثم نقلتهم عجائب اقدارهم عن دار قرارهم * ولعب بهم الزمن * وشتتهم بسهام المصائب والمحن * فقلت لها ما فعلت جارية مررت بها فى يوم من الايام وهى فى هذه الغرفة تغنى وتقول * الا يا دار لم يدخلك حزن * قال فبكت الجارية بكاء شديدا * وقالت انا والله تلك الجارية * ولم يبق من اهل هذه الدار غيرى * فالويل لمن غرته الدنيا والامال * فقلت لها كيف قربك القرار فى هذا الموضع الخراب فقالت يا شيخ ما اغلظ طبعك اما كان بالامس منزل احبابى واهل ثقتى وموطن ساداتى واهل مودتى ثم انشدت تقول

قالوا ارتضى وقفا فى منازلهم ... ونفس مثلك لا يفنى بجهلها

فقلت والقلب قد ولى تجلده ... والروح تنزع والاشواق تبدلها
منازل الحب في قلبي معظمة ... وان خلا من نعيم الوصل منزلها
وكيف اتركها والقلب يتبعها ... حتى لمن كان قبل اليوم ينزلها

انتهى ثم ان هذا البيت كالتعليل لما قبله من الكلام كما لا يخفى على من له في العلم ادنى المام * ولا يخفى ايضا ان ماء المحاسن في رياض الفاظه غير اسن ولا يبعد ان يكون متضمنا لمراعاة النظير حيث جمع بين امرد وماء ينا سببه كقول بعضهم

وحرف كنون تحت راء ولم يكن ... بدال يوم الرسم غير النقط

وقول القاضي الفاضل

في خده فخ لعطفة خده ... والخال حبته وقلبي الطائر

وغاية الغايات في هذا الباب قول بديع الزمان الهمداني الذي يحاكيه نغمات العوادي من قصيدة يصف بها طول السري

لله من عزم جوب جيوبه ... كاني في اجفان عين الردى كحل
كان السرى ماء كان الكرى طلا ... كانا له شرب كان المنى نقل
كانا جياع والمطى لنا فم ... كان الفلا زاد كان السرى اكل
كان ينابيع الثرى ثدي مرضع ... وفي حجرها مني ومن ناقتي طفل
كانا على ارجومة في مسيرنا ... فغورا بنا تهوي ونجدا بنا تعلو

ومنها في المديح

كان في قوس لساني نبله ... مديحي له نوع به املي نبل
كان دوان مطفل حبشية ... بناني لها بعل وفقشها نسل
كان يدي في الطرس غواص لجة ... به كلما دربه قيمتي تغلو

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغا ... في موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدي ... تجري دما من تحت ظل العسطل

ويعجبني ايضا قول بدر الدين حسن الانعاري الغزي

كان السحاب الغر لما تجمعت ... وقد فرقت عنا الهموم بجمعها
نياق ووجه الارض قعب وثلجها ... حليب وكف الريح حالب ضرعها

ويعجبني ايضا قول السلامي

والنقع ثوب بالسنور مطرز والارض فرش بالجياد مجمل
وسطور خيلك انما الفاتها سمر تنقط بالدماء وتشكل

ومثله قول ابن الشاعاني

لله يوم في سيوط وليله صرف الزمان مثله لا يغلط
بتنا وعمر الليل في فلواته وله بنور البدر فرع اشمط
والطير يقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قول ابي العلا المعري

دع اليراع لقوم يفخرون به وبالطوال الردينيات فافخر
فهن اقلامك اللاتي اذا كتبت مجد اتت عداه من دم هدر

الى غير ذلك مما لو اطلقنا فيه عنان القلم لاورث في ميدان المطالعة مزيد الملالة والسام * وفيما ذكرناه كفاية * لمن له رواية او دراية *

قال الناظم

٢ ترث ثياب العيش فيه كما ترى وانواب اعمار الخطوب جدائد

اقول (ترث) اي تبلى ومنه الرث البالي (والثياب) جمع ثوب وهو اللباس ويجمع على اثواب كما في عجز البيت واثوب وبعض العرب يقول اثوب فيهمز لان الضمة على الواو تستثقل والهمزة اقوى على احتمالها وكذلك دار وادور وساق واسوق وجميع ما جاء على هذا المثال قال الراجز

لكل دهر قد لبست اثؤبا حتى اكتسى الراس قناعا اشيبا
املح لا لدا ولا محببا

(والعيش) الحياة يقال عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشا * ومعيشة * وعيشة بالكسر وعشوشة واعاشة وعيشة قاله في القاموس وفي قوله ثياب العيش استعارة مكنية تخييلية على حد اظفار المنية وضمير فيه راجع الى الزمن في البيت السابق (وترى) من الرؤية بمعنى النظر بالبصر * وقد يهمز * قال الشاعر

ومن يتمل العيش يرأه ويسمع

وقال سراقة الباهلى

ارى عينى مالم ترأيا ٥ كلانا عالم بالترهان

وماضيه مهموز * ومما جاء بلا همزة قال الشاعر

صاح هل رايت اوسمعت براع ٥ رد فى الضرع ما قرى فى العلاب

وما فى كما ترى يحتمل ان تكون نكرة موصوفة والكاف للتقييد لا للتشبيه كما فى قوله تعالى واذكروه كما هداكم اى على ما هداكم فالمراد ترك ثياب العيش فيه على وجه تراه اى اولا فاولا ويحتمل الكلام غير ذلك فتامل (والاعمار) جمع عمر والعمر بالفتح والضم وبضمتين الحياة والتزم الفتح فى القسم للتخفيف قال فى الصحاح فاذا دخلت عليه اللام رفعته بالابتداء وقلت لعمر الله واللام لتوكيد الابتداء والخبر محذوف والتقدير لعمر الله قسمى او لعمر الله ما اقسم به وفيه كثرة حذف فان لم تات باللام نصبته بنصب المصادر وقلت عمر الله ما فعلت كذا وعمرك الله ما فعلت ومعنى لعمر الله وعمر الله احلف ببقاء الله ودوامه واذا قلت عمرك الله فكانك قلت بتعميرك الله اى باقرارك له بالبقاء وقول عمر بن ابى ربيعة المخزومى

ايها المنكح الثريا سهيلا ٥ عمرك الله كيف يلتقيان

فالثريا شامية اذا ما استهلت ٥ وسهيل اذا استهل يمانى

يريد سالت الله ان يطيل عمرك لانه لم يرد القسم بذلك انتهى * واقول كثر فى كلام العرب القسم بالعمر فيقولون لعمرى ولعمرك وهو بحسب الظاهر قسم بغير الله * وقد روى عن ابن عمر انه قال لا يحلف بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حلف بغير الله فقد كفر او اشرك * وهذا الحديث ونحوه محمول على التغليظ او حيث يعتقد الحالف التعظيم كتعظيم الله تعالى وان الحلف بذلك كاذبا يوجب الكفارة والا فهو مكروه عندنا * واما قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث الاعرابى افلح وابيه فمحمول على التوكيد لا على حقيقة القسم وكذا قوله تعالى لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون على قول او هو قسم قصد به التعظيم والتشريف والرب غير محمود عليه ولا داخل فى دائرة التكليف ومنع بعضهم ان يقال ايضا لعمر الله مستندا بما جاء فى الحديث من النهى عن ذلك

قد برهدك الله تعالى وايانا لاوضح المسالك (والخطوب جمع خطب وهو الامر صغر او عظم كما فى القاموس ولعل المراد به هنا الامر العظيم والحادث الجسيم ويحتمل غير ذلك او الجدائد) اراد بها جمع جديد والثوب الجديد نقيض الخلق وهو فى معنى مجدود اى مقطوع لان الحايك قطعه قال الشاعر

ابى حتى سليمى ان يبيدا وامسى حبلها خلقا جديدا

اى مقطوعا ومنه قيل ملحفة جديد بلاهاء لانها بمعنى مفعولة ثم ان المشهور فى جمع الجديد جدد مثل سرير وسرر * واما الجدائد فهو على ما فى الصحاح جمع لجدود وهى النجبة التى قل لبنها من غير باس وهذا المعنى مما لا يخفى فساده كما لا يخفى فلا تغفل * وحاصل معنى البيت ان ثياب الحياة بلا امتراء فانية باليه * واوبقات الاعمار بغير افتراء ماضية خاليه * مع ان ثواب مصائب الدهر جديده * وحوادث الزمان كثيرة عديده * فلا ينبغى ان تفرح بعمر تقطعه الساعات * وسلامة بدن معرض للافات *

شعر

تظل تفرح بالايام تقطعها وكل يوم مضى يدنى من الاجل
ولله در حارثة بن بدر الغدانى حيث يقول
يا بكر ما راح من قوم ولا ابتكروا الا وللموت فى اثارهم حادى
يا كعب ما طلعت شمس وما غربت الا تقرب اجالا لمن رقدا

وقال البحترى ولبيته الاخير خرج من بغداد اخر ايامه هو وولده ابو العنوث لما ان كثيرا من الناس شنع عليه بانه لذلك شئوم

اخى متى خاصمت نفسك فاحتشد لها ومتى حدثت نفسك فاصدق
ارى علل الاشياء شتى ولا ارى تجمع الا علة للتفرق
ارى العيش ظلا توشك الشمس نقله فكن فى ابتغاء العيش كسبك او ق
ارى الدهر غولا للنفوس وانما يقى الله فى بعض المواطن من يقى
فلا تتبع الماضى سؤالك ما مضى وعرج على الباقى فسولك ما بقى
ولم ار كالدنيا حليلة صاحب محب متى تحسن بعينيه تطلق

زاها عيانا وهي صنعة واحد فحسبها صنعي لطيف واحرق

وعجائب هذا الزمن كثيرة * ومصائب هذه الدنيا الدنية وفيرة * كم صوحت فيها رياض عيشة كانت متأنقة * وكم فضت بها حياض نعمة كانت متدفقة * قال احمد بن محمد المهري حدثني رجل من عبد قيس قال دخلت ابنة النعمان ابن المنذر على معاوية فقال لها اخبريني عن حالكم كيف كانت قالت اطيل امر اقصر قال لابل اقصري قالت امسينا مساء وليس في العرب احد الا وهو يرغب الينا ويرهب مناتبا للدنيا وتبا لمن عرفها وركن اليها ما اغدرها ومتى امكرها وما اسرع وشوع انقلابها باهلها واصحابها وانشدت

بينا نسوس الناس في كل حالة اذ نحن فيها سوقة نتصرف
فاف لدنيا لايدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

وقال محمد بن عبد الرحمن دخلت على امي في يوم اضحى وعندها امراة عليها ثياب رثة فقالت اتعرف هذه قلت لا قالت هذه عبادة ام جعفر بن يحيى البرمكي فسلمت عليها ورحبت بها وقلت يا خالتي حدثيني ببعض امرك قالت اذكر جملة فيها اعتبار * وموعظة لذوي الابصار قدم علي مثل هذا العيد وعلي واسي اربعمائة وصيفة وعندي مائتا صندوق محشوة بالقماش والحلي والدراهم والدنانير وولدي قد ارسل الى بعض غلمانه بخمسمائة دينار وقال ادفعها اليها لتنفقها في هذا العيد فاخذتها وانا مع ذلك اظن ان ولدي مقصر في خدمتي * فاخبرني على الدهر ودستني الدنيا بفجائعها ومصائبها * وبلاياها حتى وصلت الى هذه الحالة وانا قد جئتكم في هذا العيد والذي يقنعني منكم جلد اشاتين اجعل احدهما شعارا والاخر دثارا قال محمد بن عبد الرحمن فلما سمعت كلامها صغرت الدنيا في عيني وعلمت ان الواثق بها مغرور وان المعتمد عليها في غرور * ولله تعالى در من قال

لو امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

واعجب من الدنيا حب كل احد لها مع انه لا يجهل حالها ويعلم ما سا

قال الناظم

زمان به زهر اللطائف ذابل وذهر به سوق المعارف كاسد

زمان به زهر اللطائف ذابل
وذهر به سوق المعارف كاسد

اقول (الزمان) تقدم مرارا انه (والزهر) النور واضافته الى اللطائف

تخييل على مذهب الجمهور * وهو المشهور (واللطائف جمع لطيفة واراد بها النكات الحسنة والمعانى المستحسنة * واللطيفه عند القوم كل اشارة يلوح منها معنى لاتسعه العبارة * ومن ذلك علوم الاذواق والاحوال * * وتطلق على النفس الناطقة المسماة بالقلب عندهم ويقيد وبها حينئذ بالانسانية وهى فى الحقيقة تنزل الروح الى رتبة قريبة من النفس مناسبة لها بوجه ومناسبة للروح بوجه وليسمى الوجه الاول الصدر والثانى الفؤاد * وتطلق اللطائف على مواضع مخصوصة مشهورة فيما بينهم هى محل للذكر عندهم ويقال لها اللطائف الخمس واضافتها لمصابيح الذكر تكون فى مبادى السلوك فى الطريقة النقشبندية كما هو معروف عند اهلها (والذابل) من ذبل النبات كنصر وكرم ذبلا وذبولا (والدهر) الزمان

قال الشاعر

ان دهرا يلف شملى بليلى لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور * ويقال الدهر الابد * واشتهر عن الفلاسفة ان الدهر وعاء الزمان وقولهم دهر داهر * كقولهم ابد ابد * وقولهم دهر داهر اى شديد * كقولهم ليلة ليلاء * ونهار ناهر * ويوم ايوم * وساعة سوعاء * وفى حديث اخرجه البيهقى لاتسبوا الدهر * قال الله عز وجل * انا الدهر الايام والليالى اجدد ها واتى بملوك بعد ملوك * وسبب النهى انهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لاتسبوا فاعل ذلك بكم فان فاعله هو الله تعالى * ولله در من قال

فيا الدهر بالجانى لشئ بحينه ولاجالب البلوى فلا تشتم الدهرا

ولكن متى يبعث الله باعثا على معشر يجعل مياسيرهم عسرا

والاحاديث فى النهى عن سب الدهر كثيرة * فلذلك عد الستة من عالم كبيرة كيف لا وهو شتم الله جل جلاله كما يدل عليه ما اخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم يقول الله عز وجل استقرضت عبدى فلم يقرضنى * وشتمنى عبدى وهو لا يدرى * يقول وادهراه وادهراه * وانا الدهر لكن الذى يتجه فى هذه المسئلة التفصيل وهو ان سب الدهر فان اراد به الزمن فلا كلام فى الكراهة والله تعالى فلا كلام فى الكفر وان اطلق

فهذا محل التردد لاحتمال الكفر وغيره * وظاهر كلام السادة الشافعية الكراهة هنا ايضا لان المتبادر منه الزمن واطلاقه على الله تعالى انما هو بطريق المجوز عند غير واحد وتمام الكلام على هذه المسألة يطلب من محله * وفى بعض اوراد الجهلة المنتسبين للمشايخ يا ديهار * يا ديهور يريدون بذلك الله عز وجل وهو جهل عظيم حيث لم يرد بذلك فى حديث صحيح او حسن واسماء الله تعالى توقيفية * ومن لم يقل فى ذلك يشترط فى صحة الاطلاق عدم ايهام النقص كما ورد له فلا تغفل وينسبون الى الدهر فيقولون دهرى وهو بفتح الدال للملحد والذى يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والمجازات كفرعون موسى على احد الاقوال واما الدهرى بضم الدال فهو المسن وهو المنسوب الى الدهر ايضا كما قاله ثعلب (وبه) نعنى فيه على ما هو الظاهر وحمل الباء على السببية لا يخفى حاله (والسوق معروف وهى تذكر وتؤنث قال الشاعر

الم يعظ الفتيان ما صاب نجتى بسوق كثير ربحه واعاصره

والسوق ايضا جمع ساق وهو المعنى المراد فى اللغز المشهور فى الخلخال وهو

ومضروب بلا جرم	مليح اللون مسوق
له شكل الهلال على	لطيف القد مشوق
واكثر ما يرى ابدا	على الاسقاط فى السوق

وله قصة مشهورة ذكرها الصفدى (والمعارف) واحدها معرف كمقعد يقال هو من المعارف اى من المعروفين ويقال امراة حسنة المعارف اى الوجه واراد بها ها هنا ما هو جمع معرفة كما لا يخفى (والكاسد) ككسيد من كسد * كنصر وكرم * كسادا وكسودا لم ينفق ويقال سلعة كاسدة وسوق كاسد بلا هاء * وحاصل معنى البيت ان هذا الزمان الشوم * والدهر الجائر المشوم * قد ذبلت فيه ازهار اللطائف وكسدت به سوق المعارف حيث زهدت ابناؤه فيها وقصت ما قصت من قوادمها وخوافيها فاصبحت معاهدها موحشة يبابا * وعادت مناهلها ظلما ان بقيعة سرابا * فدارس الدروس دوارس * ومعالم

العلوم غير اوانس

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * انيس ولم يسمر بمكة سامر

ثم انى اقول مستعيذا بالله تعالى من كل جهول لم يوق فى هذا العصر من تعقد عند ذكرهم الخناصر * وتعقد بكلامهم القلوب والضمائر * وتجلى بتقريراتهم غياهب المشكلات * وتنكشف بتحريراتهم سحائب المعضلات * الا اناس اسنوا فى ذوايا الخمول * وايسوا عن كل مأمول * ومسئول وعلاهم ولله الا مر كبير الصغار * وتأخروا لما ولع الزمان بتقديم الصغار * ولله در من قال

وزمان فيه الصغير تقدم ... اتراه لذلك الذنب يندم
لعن الله قوم لوط فهم قد ... علموه التقديم حتى تقدم

وقال اخر

عتبت على الدنيا بتقديم جاهل ... وتاخير ذى لب فابدت لى العذرا
بنو الجهل ابنائى لهذا رفعتهم ... واهل النهى ابنا، ضرتى الاخرى

فليس لارباب الفضائل * سوى تفويض امورهم لرب الاواخر والاوائل * ولازم لهذا الزمان المتعدى جوره من توبه * ولا بد لهذا الدهر المضاعف غدره من اوبه * ودولة العلم كما قيل تبطى ولا تخطى * ولله در من قال

لا تياسن اذا ما كنت ذا ادب ... على خمولك ان ترقى الى الفلك
فبينما الذهب الابريز مطرح ... فى التراب اذ صار اكليلا على الملك

وللشعراء الفضلاء فى الشكاية من الدهر ما يضيق عنه نطاق الحصر انشد ابن المعاويدى

يا زمن السوء الذى مستنى ... بغصة ليس لها كاشف
اذا كلوم الهم داويتها ... عادلها من جوره حارف
وكلما اغضيت عن ذلة ... اغراه بى عفوى فيستأنف
صحبته قدما فما سرنى ... سالف ايامى ولا الانف
تخضع فيه للذنائب على ... غربها الجبهة والسالف
مالك لا ينقش فى صعوق ابنائك الا البرجح الزائف
وكرادا وبهم على انتحا ... طبيب باحوالهم عارف
يحسد نى الناس على مورد ... يمكد رينه الراشف

ورب مشتار على نحله وهو اذا استشفيته ناقف

وقال عبد الرحيم العباسي

ارى الدهر يكرم وجها له واعظم قدرا به الجاهل
وانظر حظي به ناقصي ايحسبني انني فاضل

ومنه لابي تمام الدباس البغدادي حيث يقول

انى رايت الدهر فى صرفه يمنح حظ العاقل الجاهل
فالراى نائلا شروة اظنه يحسبني عاقلا

ولله در من قال

الدهر عندي لا محالة احول واسال به من كان طبا عاقلا
يرنو ليلحظ فاضلا فيرده حول بعينه فيلحظ جاهلا

وقال ايضا

ومالي لدى دهري ذنوب اعدها سوى تهمة الاعداء لي بالفضائل
واني منها تبت توبة نادم مقر باني اليوم اجهل جاهل

ويعجبني قول القائل

وما الدهر الا هكذا فاصطبر له علو سفيه او خمول نبيه
فلا تسالن عن عجيب رايته فاعجب ما لاقيت ما انا فيه
اذا حل ذو نقص محلة فاضل واصبح رب الجاه غير وجيه
فان حياة المرء غير شهية اليه وطعم الموت غير كريه

ولشيخنا المرحوم روح الله روحه * واعلى فى الجنان فتوحه * نظم كثير * ونثر غزير * فى الشكاية من احوال الزمن * الذى هو عيبة البلايا والمحن * واخر ما رايت من نظمه فى هذا الباب مما يستحسنه ذوو الالباب *

قوله

وقالوا تاخرت فى ذا الزمان ومنك التقدم نال الرجال
فقلت يرى الصقر صفا الخبرا اذا ولا عد صف البغال

وقد شطر ذلك السيد حسن الاصم وشطر التشطير هذا الناظم * فصار

المجموع ثمانية ابيات

وقالوا تاخرت فى ذا الزمان وانك بدر سماء الكمال

سنة الى بغداد بحجتين وفى احد اللغات فيها وفيهما كلتيهما وهو الجارى على السنة الخلق تقديم كل منهما وبغداذ وبغدان وفيها لغات اخر ايضا ها العلامة الوالد عليه الرحمة واسكنه على محمد ابن حجر

عبد الباقي

علامة زمانه * وفريد اوانه * على افاضل الجليل الجلى * على الفضل * عليه رحمة المعبد المجد

عبد الباقي

وانك شمس النهى والنهار	وانك مقدام يوم النزال
وانت امام الشيوخ العظام	تفرج عنها الكروب العضال
اجبنا فديتك لم احزونك	ومنك التقدم نال الرجال
فقلت يرى الصدر صفا اخيرا	وفى الرقم يظهر سر المقال
ترى الف الالف قد اخرت	بعين الازازل اهل الضلال
ولا ضير تا خير مثلى بهم	فانى زلال وهم لمع آل
نعم يتاخر شأن الصدور	اذا ولا عد صف النعال

وانشد رحمه الله تعالى فى مرضه قبل وفاته بايام بيتين يرشحان بالشكاية من الدهر وعرضهما على بعض الشعراء المترددين اليه ليشطرهما فلم يستطع فشطرهما هو بنفسه ارتجالا * فقال اصلا وتشطيرا

اسفى على فضلى قضيت ولم اكن	ابصرت عارف قدره فيبين
ومن الفنون الغامضا ورمزها	املى قضيت وللفنون ديون
واخذت فى كفنى علوم الماجد	من يحفظن حقوقها ويصونون
ودقيق اسرار جعلت لرحشا	مستودعا هى والدفين دفين

وهذه نفثة مصدور * * وانة مقهور * وانا لنستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله * ثم ان بين قوله اللطائف والمعارف * من انواع البديع المناسبة اللفظية التامة وهى الاتيان بكلمات * متزنة مقفات كقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون * وان لك لاجرا غير ممنون * وقوله صلى الله عليه وسلم ما يرقى به الحسنين * اعيذكما بكلمات الله التامة * من كل شيطان وهامة * ومن كل عين لامة * والقياس ملة وبين قوله ذابل وكاسد مناسبة لفظية ناقصة وهى الاتيان بكلمات موزونة غير مقفات كادانس وذوابل فى قول ابى تمام

مها الوحش الا انهن اوانس قنا الخط الا انهن ذوابل

وفى بيت ابى تمام المناسبة التامة ايضا بين مها وقنا وغير ذلك مما يطول شرحه والمناسبة اللفظية بقسميها فى الرتبة دون المعنوية وهى ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ كقوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى

مساكنهم ان فى ذلك لايات افلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون * فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الاية التى موعظتها مرئية اولم يروا وقال بعد الموعظة افلا يبصرون وقال المتنبى

على سابح الموج المنايا بحره غذاة كان النيل فى صدره وبل

وقال ابن رشيق وهو بالتقديم فى هذا التاخير حقيق

اصح واقوى مارووناه فى الندا من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث يرويها السيول عن الندا عن البحر عن كف الامير تميم

ومحاسن هذين البيتين ظاهره * وكواكب بدايعها فى سماء الشهرة سائرة باهره * وقد اشتمل بيت القصيدة ايضا على التمكن وهو ائتلاف القافية * وذلك ان ممهد الناظر لسجعة فقرته * او الناظم لقافية بيته تمهيدا ما فى القافية فيه متمكنة فى مكانها مستقرة فى قرارها * غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بديهة لا لامر من اللفظ عليها وهو فى القرآن كثير * والذى يستحسن فى كلام المولدين * منه قول ابى الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم وجداننا كل شئ بعدكم عدم

ولم يسمع لمتقدم قافية اشد تمكنا من قافية قول النابغة الذبيانى

كالاقحوان غداة غب سحابة جفت اعاليه واسفله ندى
زعم الهمام ولم اذقه بانه يروى بريقته من العطش الصدى

وكثير من قوافى قصيدتنا هذه ولله الحمد متمكنة غاية التمكن كما يشهد به الذوق السليم * والطبع المستقيم * وفى البيت بعد ما لا يخفى على ذى بينه فدونك فاحسن النظر فيه قال الناظم

عقدت الحباحبك الهموغافلا عن المقصد الاسنى فسعيك ضائع
ترومر المنى فى غفلة بعد غفلة وصرف الردى فى حظ قدرك قاطع

اقول (عقدت) من العقد وهو معروف (والحباحب) بكسر الحاء المهملة مقصورا جمع حبوة بضم الحاء وكسرها من احتبى الرجل اذا جمع ظهره وساقيه بعمامته * وقد يحتبى بيديه * واما الحباء بفتح المهملة

مع القصر ايضا فهو كالحبى السحاب الذى يعترض اعتراض الجبل قبل ان يطبق السماء واما الحبا مكتوبا وممدودا فهو العطاء قال

الفرزدق

خالى الذى اغتصب الملوك نفوسهم واليه كان حباء جفنة ينقل

(واللهو) اللعب من لهوت بالشئ بالفتح اللهو لهوا اذا لعبت به وتلهيت به مثله وقد يكنى باللهو عن الجماع وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين اى امرأة ويقال ولدا قاله الجوهرى فى الصحاح * فقد قرر الفقها من المتقدمين والمتاخرين * رضى الله تعالى عنهم اجمعين * انه يحرم اللهو وكذا استماع آلته سواء فى ذلك الاوتار وغيره كطنبور وجنك وعود وسنطير ومزمار عراقى * وكذا الضرب بالكوبة وهو طبل ضيق الوسط واسع الطرفين واما الغناء فحرم عند قوم وكره تنزيها ولو من النساء عند اخرين وجوزوا * استعمال طبل كبير لخوفرح كعرس وحج وجهاد وذهب بعض الصوفية الى جواز استعمال الآت اللهو مطلقا واستدلوا باشياء كثيرة منها ما رووه عن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يخطب ثم يجلس ثم يقوم فيخطب وكانت الجوارى اذا نكحن اى تزوجن يمررن ويضربن بالدفوف والمزمار فينشال الناس ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما فعاتبهم الله تعالى على ذلك بقوله واذا رأوا تجارة اولهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ووجه الاستدلال بذلك ان الله عز وجل عطف اللهو على التجارة وحكم المعطوف حكم ما عطف عليه والمعطوف عليه فى الآية التجارة وحكمها الحل اجماعا ومن المحال ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمه ثم تمر به على باب المسجد يوم الجمعة ثم يعاتب الله تعالى من ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما وخرج ينظر الى اللهو ويسمع ولم تنزل فى تحريمه اية بل اخر هذه الآية وهو قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة بناء على الاصل فى افعل التفضيل من دلالته على المشاركة والزيادة يدل عندهم ايضا دلالة صريحة على ما زعموه حتى قال بعضهم ان هذه الآت تصدح بالتسبيح وتصدع به بلفظ فصيح وترشد السالك الى اوضح المسالك وانشدوا من ابيات

يقول لك الطبل المجوف يافتى على العهد دم دم لاتزغ فعتب

وهولاء فى الحقيقة ينفون ان تكون الات لهو بالنسبة اليهم كيف لاوهى تغرد بانواع الاذكار والمواعظ لديهم وقال بعض العلماء هؤلاء باسم الاباحية اولى منهم باسم الصوفية * وحاشا الصوفية الكرام من مخالفة العلما الاعلام * وهذا الذى استدلوا به اوهن من بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت وماذكروه من انفضاض الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يثبت بهذه الصورة التى ذكروها فى حديث لامقال فيه نعم حصلت مجاعة فى المدينة المشرفة فبينما الصحابة فى المسجد يسمعون الخطبة اذ سمعوا صوت طبل يضرب وكان يضرب عند مجئ العير اليها فانفض جدا لعهد بالاسلام لاشتراء الطعام خوفا من غلو الاسعار او حيازة الكفار * وكان ذلك قبل التادب باداب الشريعة والتخلق باخلاقها الحسنة البديعة والاحاديث متظاهرة على تحريم ذلك متظافرة على النهى عن السلوك فى هاتيك المسالك والوقوع فى هوة تلك المهالك نعم قال الشبراملسى لاباس بطبل الصوفية يعنى به المسمى بطبل باز * وكذا لاباس بطبل السحور وهو يضرب وقت السحور فى بعض البلاد كاسلامبول ودمشق الشام فى الطرقات لايقاظ النائمين للسحور وقيل لاباس ايضا بطبل الحرب لما فيه من الاعانة والتشجيع على الاقدام وعد بعض الحنفية طبل النوبة الذى يضرب فى اوقات مخصوصة من الليل والنهار من المباحات ايضا وللعلامة ابن حجر كتاب نفيس فى هذا المقام يشفى الاسقام ويعفى الاوهام ولولا خوف الاطالة لاشبعنا الكلام ولبينا ما فى هذا البحث من النقض والابرام والكلام فيه طويل والله يحق الحق وهو يهدى السبيل (والغافل) من غفل عن الشئ يغفل غفلة وغفولا واغفله غيره واغفلته الشئ اذا تركته على ذكر منك (والسعى) القصد والعمل (والقاعد) من القعود وهو الجلوس وهو من القيام والجلوس من الضجعة ومن السجود قاله فى القاموس وذكر الحريرى فى كتابه درة الغواص فى اوهام الخواص انهم يقولون للقائم اجلس والاختيار على ما حكاه الخليل بن احمد ان يقال لمن كان قائما اقعد ولمن كان نائما او ساجدا اجلس وعلى بعضهم

هذا الاختيار بان القعود هو الانتقال من علو الى اسفل ولهذا قيل لمن اصيب برجله مقعد وان الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ومنه سميت نجد جلساء لارتفاعها وقيل لمن جاءها جالس وقد جلس ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها ان كنت تارك ما امرتك فاجلس

اى اقصد نجدا انتهى المراد منه وقيل الجلوس قليل القعود ومنه جلسة الخطيب بقعدته ما بين الخطبتين ومن هنا يقال فلان جليس الملك ولا يقال قعيده لقلة القعود عند الملوك عادة * وقيل القعود والجلوس كثيرا ما يستعمل كل منهما بمعنى الاخر كما يشعر به كلام كثير من النحاة فى الكلام على المصدر المؤكد والتمثيل له بقعدت جلوسا وجلست قعودا فليتامل (ترومه) من رمت الشى رمه روما اذا طلبته (والمنى) ما يتمنى (والصرف) بفتح الصاد النوائب (والردى) الهلاك (والحظ) الحد من علو الى اسفل (والقدر) الشرف والعظمة واراد (بالجاهد) المبالغ من جهد الرجل فى كذا اذا بالغ فيه * وحاصل المعنى * ان حالك عجيب وامرك غريب حيث انك عقدت حبالك فى حب اللهو عن طاعة مولاك ولم يلتفت طرف همتك الى المقصود الاسنى * والمراد الاسمى بل سعيك قاعد عن ذلك * ومع ذا ترومه حصول المرام والمراد وانت فى غفلة عظيمة عما يرام ويراد * والهلاك مجد فى خفض شرفك ومجتهد فى نصب شباك تلفك فهل تجد سبيلا لخلاص مثلك مع اقامتك على فعلك ولله در من قال

قل للمفرط يستعد ... ما من ورود الموت بد
قد اخلق الدهر الشبا ... ب وما مضى لا يسترد
او ما يخاف اخو المنا ... صحى من له المبطش الاشد
يوما يعاين موقفا ... فيه خطوب لا تحد
فالى م يشتغل الفتى ... فى لهوه والامر جد
ابدا مواعيد الزما ... ن لاهله تعب وكد
يا من يؤمل ان يقيـ ... ـم به وحادى الموت يحد
وتروح داعية المنو ... ن الى مولنا وتفد

يختال فى طرق النعيم ودونه قبر ولحد
والعمر تقصر كل يوم ثم فى الامال مد

وقال اخر

شمر عسى ان ينفع التشمير وانظر بفكرك ما اليه تصير
طولت اما لا تكفها الهوى وسئيت ان العمر منك قصير
قد افصحت دنياك عن غدراتها واتى مشيبك والمشيب نذير
دار لهوت بلهوها متمتعا ترجو المقام بها وانت تسير
فاعلم بانك راحل عنها ولو عمرت فيها ما اقام بشير
ليس الغنا فى العيش الا بلغة وبسير ما يكفيك منه كثير
لا يشغلنك عاجل عن اجل ابدا فلبئس الحقير حقير
ولقد تساوى بين اطباق الثرى فى الارض ما مورها وما مير

ولقد كان السلف الصالح لاسيما الصحابة الكرام متيقظين لعبادة الملك العليم العلام * قلوبهم بالحق متعلقة * وانوارهم على الظواهر مشرقة * كلما هدلت حمائم نحوهم بالبكاء محت ذنوب الصحائف * خوفهم عظيم ووجلهم جسيم وما فيهم مخالف

اولئك قوم ان بنوا احسنوا بنا وان عاهدوا اوفوا وان عقدوا شدوا
وحدثنى يا سعد عنهم فزدتنى جنونا فزدنى من حديثك يا سعد

قال ابو راكة صليت مع على رضى الله تعالى عنه صلاة الصبح فلما سلم انفتل عن يمينه ثم مكث كان عليه كآبة حتى اذا كانت الشمس على حائط المسجد قيد رمح قلب يده وقال والله لقد رايت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شعثا غبرا بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا لله سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا ذكروا الله تعالى كما مادوا كما تميد الشجر فى يوم الريح فهملت اعينهم حتى تبل ثيابهم والله لكانهم بات القوم عن هذا غافلين ثم نهض فلم ير بعد ذلك مفترا يضحك حتى ضربه ابن ملجم وكان ابو مسلم الخولانى قد دخل مسجده سوطا يؤدب به نفسه كلما فترت او طلبت المراحة يقول ايظن الصحابة ان يستاثروا

محمد صلى الله تعالى عليه وسلم دوننا لنزاحمهم عليه زحاما حتى يعلموا انهم قد خلفوا رجالا وكان سفيان الثورى غاية فى العلم والعمل فغلبه الخوف فصار يبول الدم فحمل مائه الى الطبيب فقال هذا لا يشبه ماء المسلمين هذا ماء الرهبان هذا ماء رجل قذفت الحزن كبده وكان لسان حاله يقول

اذا انا واجهت الصبا عاد بردها ومن حر انفاسى عليه لهيب
وقد اكثرت فى الاطباء قولهم ومالى الا ان اراك طبيب
وسالم قلبى الهم فهو حليفه وبين جفونى والرقاد حروب

والحكايات فى ذلك كثيرة نسأل الله سبحانه وتعالى ان يجعلنا من الصالحين ويوفقنا للسلوك فى سنة سيد المرسلين بحرمة النبى صلى الله تعالى عليه وسلم واله وصحبه الغر الميامين قال الناظم

يخاتلك الدهر الغشوم بمكره و جهلك يقظان وطرفك راقد

اقول يخاتل اى يخادع ولا يبعد ان يكون من قيل يسافر (والدهر) قد تقدم الكلام فيه منذ زمن قريب (والغشوم) الظلوم والظلم لغة وضع الشىء فى غير محله وشرعا التصرف فى ملك الغير بغير حق او مجاوزة الحد فهو مستحيل فى حق الله تعالى غير متصور فى شانه اذ لا ملك ولا حق لاحد معه بل هو الذى خلق الملك وامثالهم وتفضل عليهم بها وحد لهم الحدود وحرم واحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه هذا ما ذهب اليه السنة والجماعة وذهب المعتزلة الى ان الله سبحانه وتعالى قادر على الظلم فهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا وتنزها واحتجوا على ذلك بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفى الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح منه ولو قال شخص انى منعت نفسى من صعود السماء لسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز ان يكون مقدورا له لجاز ان يكون موصوفا به واللازم باطل فالملزوم مثله وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع لانه قد يتمدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذى هو جبلة فيه وغريزة له وقد قال تعالى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فان قيل ظلام من صيغ المبالغة فيوهم نفيه ثبوت اصل الظلم قلت اجيب عن ذلك بوجوه الاول

ان هذه الصيغة قد تاتى للنسبة كثمار ولبان فيكون المعنى وما ربك بذى
ظلم وهو معنى ما قيل وما ربك منسوب الى الظلم وذلك نفى له من اصله
والثانى انه وان كان للكثرة لكن جئ به فى مقابلة العبيد الذى هو جمع
كثرة ويرشحه قوله تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل صيغة المبالغة
بالجمع واسم الفاعل بالواحد والثالث ان صيغة المبالغة وغيرها فى
صفاته تعالى سواء فى الاثبات فجرى النفى على ذلك والرابع انه تعريض
بان ثم ظلاما للعبيد من ولات الجور والخامس ان الاية وردت للرد
على قوم جهلة كانوا يقولون ان الله سبحانه ظلام للعبيد فلا مفهوم
للقيد الذى تدل عليه الصيغة ومثل ذلك من وجه ولا تاكلوا الربا
اضعافا مضاعفة السادس ان قليل الظلم على فرض وقوعه منه
سبحانه وتعالى كثير فنفى الكثير عنه سبحانه عين نفى القليل الى غير ذلك
من الاجوبة وحضرت يوما فى مجلس حضرة مولانا المرتضى قدس سره
فجرى ذكر هذا السؤال فقال بعض من حضر المراد المبالغة فى النفى لا نفى
المبالغة فقال الشيخ يكاد ان لا يعقل هذا وان ذكره بعض المحققين
مما سما قدره ونما ذكره ثم اخذ يقرر ما ارتضاه ويحرر من الاجوبة
ما اداه الى ان قال احسن الاجوبة ما يقال ان الاية نزلت فى رد قوم
كانوا يقولون الله ظلام للعبيد فرد الله تعالى عليهم بقوله وما ربك بظلام
للعبيد ورد باية اخرى على من يزعم نسبة شئ من الظلم اليه تعالى
فاذا كان المقصود من الاية مجرد الرد على اولئك لا ينظر الى ما يقتضيه
مدلولها وهو الجواب الخامس الذى سمعته فى عداد الاجوبة وقد ذكره
العلامة ابن حجر الهيتمى فى شرح الهمزية وقريب من هذا ما ذكره بعضهم
فى دفع الاشكال المشهور فى كلمة التوحيد من ان تقدير الخبر موجود
لا يتم به التوحيد لانه لا يلزم من نفى وجود اله الا الله نفى امكانه والتوحيد
انما يتم به لان من نفى الوجود وقال بالامكان فهو عرى عن الايمان
وتقدير ممكن يلزم منه امكان الله جل جلاله وفيه ما فيه وتقديرها
مع ما فيه لا دليل عليه والذى ذكره ذلك البعض اختيار الشق
الاول والكفار اذ ذاك انما يقولون بوجود آلهة كثيرة وذلك يكفى فى

ردهم ومخالفتهم ولم يقل احد منهم بوجود اله واجد فقط وهو الله تعالى مع امكان غيره ليحتاج فى رده الى نفى الامكان نعم لابد فى نفس الامر من ذلك وميزهن عليه وثابت فى غير ما هنالك انتهى مَا ذكره الشيخ بمعناه ومَا ذكره فى كلمة التوحيد رايته فى مواضع عديدة مع اجوبة غير قوية ولا سديدة الا ان مَا اعترض به على تقدير تمكن من انه يلزم منه امكان الله تعالى وفيه مَا فيه انما ينهم على مذهب الشافعية القائلين بان الجملة المتضمنة استثناء حكمين ايجابى وسلبى واما على مذهب الحنفية القائلين بان فيها حكما واحدا وان حكم المستثنى مسكوت عنه فى الجملة وانما يعلم من خارج فلا اذ ليس فى كلمة التوحيد على مذهبهم نظر الى ذلك التقدير اكثر من ان مَا عدا الله تعالى من الالهة غير ممكن واما انه سبحانه ممكن او غير ممكن فلا تفيده الآية اصلا فافهم وقد تواترت الاخبار وتعاضدت الآثار على ان الظلم حرام مشوم وان الله تعالى لابد ان ينتصر للمظلوم وقد اشتهر ذلك بين الانام حتى كاد ان يعد من اجلى البديهيات لدى الخاص والعام ومما يحكى ان جبارا بنى قصرا فجاءت عجوز فبنت بظهره كوخا تقيد الله فيه فبينما هى فى بعض الايام فى حاجتها خرج الجبار يريد ورحول القصر فراى الكوخ فسال عنه ثم امر بهدمه فلما جاءت وراته مهدما سئلت من هدمه فاخبرت بالقصة فرفعت طرفها الى السما وقالت يا رب ان لم اكن حاضرة فانت اين كنت فامر الله سبحانه جبريل عليه السلام فاقتلع القصر وقلبه بمن فيه ولله در من قال

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا ... فالظلم اخره ياتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

(والمكر) الخديعة ويقال مكر بمكر مكرا وهو ماكر ومكار ومكور ولا يطلق على الله تعالى الا على سبيل المقابلة والازدواج كقوله تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وهو عند قوم فيه تعالى من المتشابه ويطلق المكر عند القوم على ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال ونتائجها من الكرامة والعلوم مع سوء الادب (والجهل) ضد

العلم من جهل جهالة فهو جاهل وجهول والجمع جهل بالضم وبضمتين وكركع وجهلاء (واليقظان) من اليقظة بالتحريك نقيض النوم والجمع ايقاظ كما نص عليه القرآن والنوم حد مخصوص يعترى الحواس ويمنعها من الاحساس وسببه تكاسف الابخرة وتصاعدها او نسيم تحت العرش يهب على من يشاء تعالى نومه ويشمه فينام كذا قيل ولعله من قبيل الرمز بجعل النسيم على البخار اللطيف والعرش على القلب فقد قيل قلب المؤمن عرش الرحمن والاولى ان يقال الخبر غير صحيح والله تعالى اعلم (والطرف) العين ولا يجمع لانه فى الاصل مصدر قاله فى القاموس (والراقد) النائم ومصدره الرقد والرقاد والرقود والكل بمعنى النوم وهو ما علمت او الرقاد خاص بالليل وغلبة الاستعمال تاباه ويقال للنوم بعد صلاة الصبح عيلولة لانها تورث الفقر والضحى فيلولة لانها تورث الفتور والكسل وقبيل الظهر هيلولة لانها تزيد فى العقل وبعده حيلولة لانها تحول بين النائم وصلاة العصر وبعد العصر غيلولة لانها تورث الهلاك وضعف القوى وفى بعد العصر قبل فلايلوم من الا نفسه والنوم اول ما يعترى القلب ثم العين ولا تنام عين شخص حتى ينام قلبه * نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه كما روى ذلك البخارى وغيره بل ومثله سائر الانبياء الكرام عليهم افضل الصلاة واكمل السلام ونومه صلى الله عليه وسلم فى الوادى عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس كان لاستغراق قلبه الشريف بالوحى وحكمة ذلك بيان التشريع بالفعل اذ هو واقع كما فى سهوه فى الصلاة وقال ابن العربى انه يقبل بقلبه على الله تعالى فى نومه ولذلك كان اذا نام لا يوقظه احد حتى يستيقظ لانه لا يدرى ما هو فيه والجواب بانه كان له حال ينام فيه قلبه لكنه نادر فصادف ذلك اليوم الوادى ضعيف بل شاذ لمخالفته لصريح ما ورد لا ينام قلبى الشامل لسائر الحالات اذ الفعل المنفى يفيد العموم والجواب بان رؤية الفجر من وظائف البصر وقد علمت انه ينام فليس لشئ وان ذكره كثير من العلماء الاعتداد لانه قد روى البخارى عن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت يا رسول الله انك تنام قبل ان توتر قال يا عائشة ان عينى تنامان ولا ينام قلبى فاذا ثبت

الرؤية

ان رؤية الفجر من وظائف البصر لم يستقم الحديث جوابا لقول عائشة المذكور بجواز ان ينام صلى الله عليه وسلم فلا ينتبه الا بعد الفجر فيفوته الوتر وقول بعضهم كان قلبه الشريف يقظانا وعلم بخروج الوقت لكن تركه اعلامهم بذلك لمصلحة التشريع فشذوذه ومزيد ضعفه لا ينبغي ان يتغوه به والذي يغلب على ظني ان يقظة القلب مع نوم العين من خصوصيات الانبياء عليهم السلام * نعم ان كان بينها وبين الذكر القلبي تلازم لما صح ان بعض السنا لكن يسمع ذكر قلوبهم وهم نائمون لم يتبين القول بالخصوصية ومن الناس من زعم ان ذلك الذكر القلبي الذي يسمع انما هو ذكر نفس المضغة الصنوبرية وهي على حد نطق الاعضاء * بالشهادة يوم القيمة وفي ترتب الثواب عليه للانسان نفسه توقف والظاهر عدم الترتب اذ ليس الذكر فعلا ولعل يقظة القلب امر وراء ذلك فتامل وافهم والله تعالى اعلم * وحاصل معنى البيت ان هذا الزمان المذموم * والدهر الجائر الظلوم * يخاتلك بمكره * ويخادعك بحيله وغدره * وانت جاهل بمساويه ومعايبه * راقد الطرف والقلب عن حدثانه ونوائبه *

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ... ولم تخف شرما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها ... وعند صفو الليالي يحصل الكدر

ولله در من قال

وانى رايت الدهر منذ صحبته ... محاسنه مقرونة بمعايبه
اذا سرني في اول الامر لم ازل ... على حذر من غمه في عواقبه

وقال عدي بن زيد

يا راقد الليل مسرورا باوله ... ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تامنن بليل طاب اوله ... فرب آخر ليل ايجج النارا

وحري بالعاقل ان لا يغتر بسالمة الزمان وان لا يسكن اليه عند سكونه فانما هو مجتمع للوثوب بانواع الاكدار والانكاد والاحزان كيف لا وهو الذي لا يزال يعكس المقاصد ويقصد بالخيبة ويراصد ويكمن للمنايا في الامانى ويثني عضون الامل زاوية بعد ان كانت عذبة المجانى

خلقها الله الناس من سجاياه وطبعا رمى به الخلق من سهام جناياه ولكن الكثير من الناس لا يشعرون فانا لله وانا اليه راجعون * ولله در الطغرائي حين يقول

الى كم اسوم الدهر غير طباعه واصدقه عن شيمتي فهو حانث
واسمو مجدا في العلا ويحطني خطوب كان الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعي ولا عللت من مطلب نفسي اما نيلها
بل خانها الدهر وارزى بها عثرة جد لا يواتيها

ثم ان بين يقظان وراقد من انواع البديع المطابقة لما بينهما من التضاد كما في قول دعبل الخزاعي عامله الله تعالى بعدله

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى

وقول عصرينا العلامة صالح افندي الموصلي من قصيدة

ومحال في الهوى ان انثني عن خفيف الروح بالقول الثقيل

وقول المنازي من نتفه

كذا ك بنو الهوى شكرى صحاة كما حدق المها مرضى صحاحا

والمعجز في هذا الباب الذي لا تصل الى ما دونه الباب ذوي الالباب قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات وقوله صلى الله عليه وسلم على ما في بعض الروايات فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن شبابه لكبره ومن حياته لموته فوالذي نفسي بيده ما بعد الحياة من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار * ويعجبني قول الشاعر

ان هذا الربيع شئ عجيب تضحك الارض من بكا السماء
ذهب حيث ما ذهبا ودر حيث درنا وفضة في الفضاء

وقول ابي نواس او ابي الشيص

جرت جوارا بالسعد والنحس فالناس في وحشة وفي انس
فالعين تبكي والسن ضاحكة ونحن في مأتم وفي عرس

يضحكها القائم الامين ويبكيها وفاة الرشيد بالامس

وقول بعضهم

كتم الحب زمانا ثم باحا ... وغدا في طاعة الوجد وراحا
عاشق ان ضحك الشوق بكى ... واذا ما غنت الورقاء ناحا
كلما الاقى بتاريح الهوى ... شبت في القلب زناد الاسراحا
في سبيل المجد منه كبد ... اوثقتها الحدق البخل جراحا
اكثرت عذاله اللوم ولو ... انصفوا اوعرفوا لاموا الملاحا
يا جفوني بالبكا كوني كراما ... انا الاصحاب جفانا شحاحا

وهذا النوع قد كثر في شعر الادباء الاجماد * ولا بدع اذ كثر التضاد *

قال الناظم

نظرت بآل الله سوء صنيعه ... وعاينت من اهواله ما تكابد

اقول (نظرت) اى ابصرت والبصر على ما قيل قوة مودعة في العصبتين المجوفتين اللتين يتلاقيان فيفترقان في العينين يدرك بها الالوان والاضواء وهذا في المشاهد فقط وفي كيفية الابصار مذاهب عديدة ذكرها الملا صدرا في الاسفار وفي كتب الكلام والفلسفة * المتداولة بعض من ذلك والتعرض للتفصيل يوجب الخروج عن القصد فمن اراده فليرجع الى محله قيل وهو افضل من السمع وهو قوة مودعة في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين يدرك بها ما يتادى اليه بتموج الهواء المنضغط بين قارع ومقروع مقاوم له انضغاطا بعنف يحدث منه تموج فاعل فيتادى الى الهواء المحصور الراكد في تجويف الصماخ يشكل نفسه وتماس تلك الحركة تلك العصبة فتسمع دليل الافضلية ان متعلق الابصار النور ومتعلق السمع الريح وقيل وعليه الاكثر ان السمع افضل لتقديمه في اللفظ ولانه سبب وصول المعارف ولغير ذلك والكلام فيه طويل وعندى انهما كالحلقة المفرغة ومتى قلنا بان الله يرى بالابصار لم نكد نفضل عليها السمع وان كان به يحس ويسمع كلامه عزوجل فتامل ثم لا يخفى ما المراد بالابصار ههنا فليفهم (والآل) الاهل والاتباع والاولياء ولا يستعمل الا فيما فيه شرف غالبا فلا يقال

آل الاسكاف كما يقال اهله واصله اهل ابدلت الهاء همزة فصار أأل وتوالت همزتان فابدلت الثانية الفا تصغيره اويل واهيل قاله فى القاموس ويضاف الى الضمير على الصحيح كقوله

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

واراد الناظم بآل الله الاولياء الذين تولى الله امرهم وحفظ سرهم فقاموا باوامر الحق ونهضوا بحقوق الخلق وهؤلاء المؤمنون المتقون واولئك الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون و(الله) علم عزلى لاسريانى خلافا للبلخى لذات واجب الوجود المستجمع لجميع صفات الكمال ومن زعم انه اسم لمفهوم الواجب لذاته او المستحق للعبودية له وكل منهما كلى انحصر فى فرد فلا يكون علما لان مفهوم العلم جزئى فقد سهى الا يرى ان قولنا لااله الا الله كلمة التوحيد بالاتفاق من غير ان يتوقف على اعتبار عهد اى على اعتبار فرد معهود من لفظ الاسم الجليل فلو كان الله اسما لمفهوم المعبود بالحق او الواجب لذاته لاعما للفرد الموجود منه لما افاد التوحيد لان المفهوم من حيث هو يحتمل الكثرة وقول الابهرى ان الافادة بحسب الشرع دون اللغة اورد عليه انه ان اراد ان دلالتها على التوحيد بحسب وضع الشرع فليس بشئ للقطع بان الشرع لم ينقل هذه الكلمة الطيبة عن المعنى اللغوى الى معنى اخر وان اراد ان افادتها لكون القائل بها موحدا بحسب الشرع فمسلم لكن ليس الكلام فيه وايضا فالمراد بالاله فى هذه الكلمة اما المعبود بالحق فيلزم استثناء الشئ من نفسه لاتحاد المستثنى منه والمستثنى مفهوما وماصدقا او مطلق المعبود فيلزم الكذب لكثرة المعبودات الباطلة ويلزم مثل ما لزم الشق الاول لوكان اسما للواجب الوجود لانه لامعنى للاستثناء من حيث المفهوم فالاستثناء من حيث الصدق والمعبود بحق وواجب الوجود متحدان صدقا سواء اريد بهما ما هو معبود بالحق وواجب بالفعل او بالامكان وارادة المعبود بالحق بالامكان من المستثنى منه وواجب الوجود بالفعل من المستثنى مما لاوجه له فيجب ان يكون الزم معنى المعبود بحق والله علم للفرد الموجود منه والمعنى لامستحق للعبودية فى الوجود

اوموجودا الا الفرد الذى هوخالق العالم وهذا معنى قول صاحب الكشاف ان الله مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اى الفرد الموجود الذى يعبد بالحق تعالى وتقدس قاله العلامة الثانى السعد التفتازانى واختلفوا فى اصله فقيل اصله الاله معرفا حذفت الهمزة اما مع حركتها على خلاف القياس فيكون التزام الادغام قياسيا واما بنقل حركتها الى اللام فيكون التزام الادغام غير قياسى وعلى التقديرين يكون الاسم مطابقا للمسمى ثم انه بعد حذف الهمزة اعتبر حرف التعريف عوضا ثم جعل علما وقيل اله منكرا وهو مختار الجوهرى فى الصحاح ورجح بما هو مذكور فى المطولات وقد حقق هذا البحث العلامة عبد الحكيم فى حواشيه على تفسير البيضاوى وحواشيه على المطول فارجع اليها وقد ذكرنا نبذة من الكلام فيما يتعلق بهذا الاسم الكريم فى حواشينا على ابن عصام من اراد ذلك فليطلبه هناك والحق عندى ان لفظ الله هكذا وضع لذات واجب الوجود وليس منقولا من اله ولا من الاله اى اصله احدهما وعند بعض السادة الصوفية قدست اسرارهم ان اصل الاسم الهاء وهو لكونه فى الاصل ضمير غيبة يناسب الذات الاقدس الغايب كنهاعن العقول ولكونه من ضروبات النفس الذى به بقاء الاشباح الانسانية معمورة بالارواح يناسب ذلك ايضا من حيث انه غذاء الارواح وممدها بل به قام كل شئ ولكونه من حيث الرسم دائرة يشعر باحاطة المسمى المشار اليها بقوله تعالى والله من ورائهم محيط ولكونه من حيث المراتب العديدة خمسة وهى عدد دائر لا يفنى يضرب فى نفسه وضرب الحاصل فى نفسه وهكذا الى ما لا يتناهى يشير الى بقاء المسمى وابديته المشار اليها بقوله تعالى ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام وقوله سبحانه وتعالى كل شئ هالك الا وجهه انتهى فاختر لنفسك ما يحلو (والسوء) بضم السين الفعل المكروه (والصنيع) الفعل القبيح ويرتكب التجريد او مطلق الفعل والتجريد (وعاينت) اى شاهدت (والاهوال) جمع هول وهو المخافة او الامر

الشديد الذى يهجم على الشخص ويجمع ايضا على هول (تكابيد) * اى تقاسى يقال كابده مكابدة وكبادا اى قاساه (وحاصل المعنى) ان هذا الدهر المطبوع على الغدر والمكر لا ينبغى ان يغتر به ولا ان يغفل فى سلمه عن حربه فقد نظرت صنيعه الفضيع وابصرت فعله المكروه الشنيع باولياء الرحمن واعداء الشيطان ولقد شاهدت من اهواله وسئ احواله وافعاله ما تكابده وتقاسى مما يسلب الهجوع ويفيض الدموع ويذيب الجبال الرواسى فكل منا مما عراه كئيب ومما اعتراه

فى نحيب

سقيم لا يموت ولا يفيق وقرح جفنه الدمع الطليق
شديد الحزن يحزن من راه اسير الصبر ناظره ارنق

ويحتمل ان يكون قوله نظرت على حد قوله

قالوا تجها قلت بهرا عدد الرمل والحصا والتراب

وعلى كل فهذا امر لا شك فيه ولا مرية تقربه اذ طبع هذا الدهر الرمى بسهام الغدر * يرمى فيصيب * وتطلب منه السلامة فلا يجيب * يأكل ابناءه ويمحقهم فى كل آن عناءه

اما ترى الدهر وهذا الورى كمرة تأكل اولادها

فلا درد ترع * ولا اراه الله ما يسره * فانه اذا اساء اضر على اسة * وان احسن ندم عليه من ساعته * فهمه كثير * وسروره يسير * ولله در من قال واحسن فى المقال

اى شئ يكون امرا عجبا ان تفكرت من صروف الزمان
عارضات السرور توزن فيه والبلايا تكال بالقفزان

فقاتله الله ما الأمه * وقبحه الله سبحانه ما اسأمه * ديدنه الفرقه * ودينه الحرقه * يلتذ بفرقة الاحباء التذاذ الظمأن بالماء * ويفرح بالكروب فرح المحب بالمحبوب

ليس الزمان وان حرصت مسالما خلق الزمان عداوة الاحرار
فمن مجتمع فيه فالفراق غايته * ومن يعش به فالممات نهايته *
بينا ترى الانسان فيه مخبرا نظر يرى خبرا من الاخبار

ولله در عمارة بن صفوان المجز بلاغته بديع الزمان * حيث يقول

اجارتنا من يجتمع بتفرق ومن يك رهنا للحوادث يعلق
ومن لم يزل يوفى على الموت نفسه صباحا مساء الى الخير يقلق
اجارتنا كل امرء سيصيبه حوادث ان لم تكسر العظم تفرق
ويفرق بين الناس بعد اجتماعهم وكل جميع صالح للتفرق
فلا السلم الباقى على الدهر خالد ولا الدهر يستبقى جنيبا المشفق

قال الناظم

اثار جوى الاعلام اعلام دينه بوقع له السبع الطباق رواعد

اقول (اثار) من ثار الغبار يثور ثورا وثورانا سطع (والجوى) * الحرقة وشدة الوجد من عشق او حزن تقول جوى الرجل بالكسر فهو جوٍ مثل روٍ قاله فى الصحاح (والاعلام) جمع علم بمعنى سيد القوم او الجبل ويجمع بالمعنى الثانى على علام واراد بالاعلام العلماء الكرام واعلام الثانى بالجر بدل من اعلام الاول (والدين) جميع ما يتعبد الله تعالى به وفسروه بانه وضع الهى سائق لذوى العقول باختيارهم المحمود لما هو خيرلهم بالذات وهو والملة والشريعة الفاظ متحدة ذاتا مختلفة مفهوما والضمير المضاف اليه راجع الى الله تعالى واراد بالوقع الامر العظيم واصله المكان المرتفع واراد (بالسبع الطباق) السموات السبع وكونها سبعا هو الذى دلت عليه ظواهر الايات والروايات وقال بعض اهل العلم يحتمل ان تكون اكثر من سبع والعدد لا مفهوم له وبينها وبين الارض خمسمائة سنة كما فى صحيح ابن حبان عن ابى سعيد مرفوعا وهكذا بين السماء الى السماء التى تليها وهكذا بين السماء السابعة والكرسى كما فى كتاب العظمة عن عبد الله بن مسعود * والقول بانها جميعا متلاصقة خلاف ما ذهب اليه المحدثون الذين هم المرجع والعمدة فى امثال هذه المقامات فلا ينبغى ان يلتفت الى ما يخالف قولهم ويذهب الى القول بالتلاصق وان ذكره كثير من اهل العلم وبعض الايات المشعر ظاهرها بذلك مصروفة عن الظاهر

للاحاديث الغير القابلة لذلك وسمك كل سماء خمسمائة عام كما فى كتاب العرش لابن ابى شيبة من حديث ابن عباس وهل هى كورية ام لا صحح قوم الجزم بعد الجزم وقال كثيرون هى كالخيمة اطرافها متدليات على الجبل المحيط المسمى بقاف بينها وبينه نحو من ثلاث قامات وهولاء يقولون بوجود جبل قاف ولم يقع عليه الاجماع وقال جمع بكوريتها ولعله الاصح ثم ان القائلين بها لا يقولون بلوازمها التى قال بها الفلاسفة فنفوا ذلك الثبوات ونحوها اعاذنا الله تعالى من ذلك وهى ذوات مواد لكل منها مادة مخصوصة لا نعلمها بل الله تعالى يعلمها نعم صح ان السماء الدنيا موج مكفوف ولا اقول بما شاع وذاع وملأ الاسماع من ان بعضها من فضة وبعضها من ذهب وبعضها من نحاس وبعضها من مرمر وقد شنع الامام الرازى على القائلين بذلك غاية التشنيع ولعل ما يروونه من الاخبار فى ذلك لا يعول عليه والظاهر انها مما توصف بالرؤية مبنية للمفعول حقيقة ولا يأبى ذلك ما بين الابصار وبين السماء الدنيا من الهواء كما لا يأبى ذلك رؤية القمر وسائر الكواكب وزعمت الفلاسفة ان المرئى كرة البخار لا غير وان السموات نفسها شفافة لا لون لها فلا ترى اصلا وهى مملوة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع راحة الا وفيه ملك راكع لله او ساجد وصح كثير من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام بانها خالية من الكواكب السيارة خلو الكرسى المسمى بفلك الثوابت بزعم الفلاسفة مما يسمونه بالثوابت فالنجوم صغيرها وكبيرها بطيئها وسريعها فى البحر المكفوف الذى نسبته بحار الارض اليه كالقطرة بالنسبة الى البحر المحيط وهو دون السماء بفراسخ والنجوم فيه معلقات بسلاسل من نور بايدى ملائكة فى السماء الدنيا تجرى بامر الله تعالى بما شاء وكيف شاء وقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح على حد زينة السقف بالقناديل او هى فى نفس السماء الدنيا وهى كما سمعت موج مكفوف ولكل منها فلك فيها وهى مجرى الكواكب كما روى ابن

مسعود وليس نفس السماء كما اشتهر وتتفاوت ارتفاعا وانحطاطا لما ان تحت السماء وكذا كل سماء خمسمائة سنة كما نطقت بذلك الاخبار والافلاك في ذلك التخت وان تحقق عندنا ان منها ما ارتفاعه اكثر من خمسمائة سنة الترمنا زيادة التخت وقلنا ان العدد لا مفهوم له او قلنا ان ذلك المرتفع ليس في السماء الدنيا بل هو حيث شاء الله وليس في قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح ما يدل على ان كل الكواكب فيها نفسها بل هو ايضا ليس بنص في ان ما زينت به مظروف فيها لجواز ان يكون من باب زينت السقف بالقناديل كما سمعت آنفا والخسوف والكسوف للشمس والقمر قيل لا تخرافهما عن موضع سيرهما وحيلولة الامواج بيننا وبينهما باضطرابهما فوقا عند تجلي الملك المتعال على العالم العلوي بالهيبة والجلال وقيل لحيلولة الارض بين الشمس والقمر وحيلولة القمر بين الشمس والرائي وبراقوك ولا يتحاشى من القول به لكونه من معتقدات الفلاسفة كما حقق ذلك ابن القيم في مفتاح دار السعادة نعم هم حكموا في كثير من المسائل بعقولهم فضلوا وعدلوا عن الصراط السوي واضلوا ولقد احسن العضد رحمه الله تعالى في كتابه المواقف انه لما ذكر هيئة الارض والافلاك واطال في ذلك على حسب ما نص عليه المحصون اعتذر عن ذكره تلك الامور بان قال اوردناها لنقف على مقصدهم واذا رايته محض تخيلات اوهن من بيت العنكبوت وانه لاوهن البيوت لو علمت سماع هذه الالفاظ ذوات القعاقع انتهى وهذا الذي ذكره هو ما اختاره بعض المحققين وقصارى ما اقول انه لم يات في تفصيل امر السموات والكواكب خبر يعول عليه ومعظم ما ذكره الجلال السيوطي في كتابه الهيئة السنية لا ينبغي ان يلتفت اليه وانما لم يفصل ذلك الشارع عليه الصلاة والسلام لكونه ليس من الامور المهمة في نظره ويرشد الى ذلك قوله تعالى يسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج بناء على ما ذكره غير واحد من ان الجواب فيه من الاسلوب الحكيم فافهم هذا واما الارض فهي سبع

سبع ايضا بدليل قوله تعالى الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يعنى سبعا لكن اختلفوا فيهن فذهب الجمهور كما قال القرطبى الى انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السماء والارض وفى كل ارض سكان من خلق الله تعالى يشاهدون السماء ويستمدون من ضوئها وهذا ممّا لا تعقله الا ان تكون كل ارض من تلك الارضين قد امسكتها يد القدرة فى هذا الجوّ الواسع العظيم او انها طائرة باجنحتها على حدّ ما يزعمه الافرنج اليوم فى ارضنا هذه وقيل لا يشاهدون السماء ولهم ضياء يستضيئون به والله تعالى على كل شئ قدير * ونقل الكراشى عن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما ان فى كل ارض ادم كادمكم ونوحا كنوحكم وابراهيم كابراهيمكم وعيسى كعيسى وليس المعنى ان الله يبعث فى كل ارض ادم ونوحا وغيرهما كما بعث فى ارضنا بل معناه ان فى كل ارض خلقا لله تعالى سادة يقومون عليهم مقام هؤلاء الكرام فينا معشر الانام وذهب الضحاك الى انها سبع ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتق وخلا بينهما ونقل ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الارضين السبعة منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار * وتظل الجميع السماء بقدرة الملك الجبّار قال القرطبى والاوّل اصح لانه الذى تدل عليه الاخبار وتشهد له الاثار وهى على الارجح عند اكثر العلما مخلوقة قبل السماء نعم بسطها بعد وهو المراد بقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها وهل مسطحة او كورية فيه خلاف والاصح عند الثانى والدحو والمهد والفرش لا تنافى ذلك لما انها كرة عظيمة والتضاريس لا تخرجها عن الكورية لانها بالنسبة الى جرم الارض كلا شئ وزعم الافرنج الى انها مسطحة فى جهتى القطبين نحو اربعة فراسخ ونصف ومحيطها تسعة الاف فرسخ فرنساوى وهو مسيرة ساعة تقريبا وقطرها الفان وثمانمائة وخمسة وستون فرسخا وشاع ان سعتها خمسمائة سنة ولا يكاد يصح اصلا بل هى اقل من سنة بكثير كما قاله العلامة ابن حجر الهيتمى فى كتاب كفا الرعاء عند الكلام على حكم الشطرنج

فارجع

فارجع اليه ان شككت والسماء على الصحيح افضل منها ما عدا مرقد النبي صلى الله عليه وسلم بل هو افضل من عرش الرحمن كما صرح به الجم الغفير من الاعيان ومتى كان المرقد الجليل جزأ من الارض صح اطلاق القول بانها افضل من السماء فتدبر ولا تغفل ولعل مراقد الانبياء الكرام مستثناة كقبر نبينا عليه افضل الصلاة واكمل السلام لما ارتصريحا بذلك والقياس غير بعيد والله تعالى على كل شئ شهيد ولولا خوف الاطناب لاتيت في هذا المقام بالعجب العجاب والسادة الصوفية في هذا المقام كلام متحير فيه الافهام لا يعقله الا كل ذي قلب سليم ولا بدع فيفوق كل ذي علم عليم شعر

وكم من عائب قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم

واراد بقوله (رواعد) مضطربات او مصوتات من هول مارات والرعد عند الفلاسفة صوت يحدث عند اصطكاك اجرام الهوى ولذلك اكثر ما يكون عند انتقال الزمان من البرد الى الحر او العكس لانه يأتي البرد فيصادف الهواء حارا وبالعكس فتحدث اصوات الرعد كذا قيل وشاع بين المسلمين ان الرعد ملك وقيل صوت ملك يزجر السحاب الى الجهات التي يريدها الله تعالى وقد حكى عن اناس عباس ما يوافقه قول الفلاسفة وليس قوله تعالى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته نصا فيما ياباه وان من شئ الا يسبح بحمده فافهم والله تعالى اعلم (وحاصل المعنى) ان هذا الزمان الذي هو معدن الاكدار والاحزان اثار من علماء الدين وعظماء المسلمين مصانع الحزن ومزيد الجوى حيث رماهم بالم النوى واذاقهم الحنظل بكاسات النوى واصابهم بامر عظيم تضطرب له السموات السبع بل والعرش الكريم واراد بهذا الامر المر الذي كدر كل حر ما اشار اليه بقوله الا في مصاب الخ وكيف لا يكون مثل ذلك من اعظم المصائب واعظم النوائب وموت العلماء ثلمة لا تسد وبلية خارجة عن الحد لا سيما مثل هذا العالم الذي شهدت بفضله العوالم حيث جمع الى العلم زهدا وزاد على الزهد شهدا فهو كما قيل فيه من غير

شك ولاتنوين

يها مادح الذى رام حمدا	لمزايا سموه فضلا ومجدا
ومعان اذا بدت قلت فيها	كست البدر والغزالة بردا
هى بيض لها العبادة منه	اذن تجعل النجاوة خلدا
ر ضع الفضل والنجابة طفلا	وسعى للعلوم والزهد ولدا
ترك المال والحطام وامسى	جاعلا ذكره على القلب وردا
عود القلب كل صهبا وذكر	من يذق صرفها تعود رشدا
رق فى الذكر مشربا فترى النا	س سكارى مذ احتسوا منه شهدا
مشرب لم يشب باقذاء دنيا	وطريق تهدى الى الله جندا
نبذوا النفس واستكانوا ليلفوا	اكرم الخلق فى القيامة وفدا
من يرد مورد الهم صار مولى	بيصر الكون باللواحظ عبدا
هم اناس لهم شؤون ارتنا	حكما تملأ البسيطة عدا
حرسوا الدين بالنفوس اللواتى	قد اماتوا ليحرزوا ما اعدا
لا تحل غير طرقهم لك تنجى	من لظى فائق مما نحوه مجدا
ان تمد وك بالنفائس منهم	ترق من فضلهم بقاعا ونجدا
فاذا رمت للاله وصولا	فاقفون خالد الترزق خلدا
علم الف العبادة حتى	صار فى حلية الولاية عقدا
حسدوا فضله فزادسموا	وقلوه فزاد فى الله ودا
ان يروموا من سره كم شى	فهو كالنور ان كتمت تبدى
عوذ الله مجده من حسود	لم ينل اذ بغى ثناء وحمدا
لا رعى الله حاسدا رام كتما	لمزايا اكبرتها الاتعدا
لى قلب هو الدليل عليها	ود ليل الفؤاد ما قط ردا
ان فضلا كخالد لنهار	ان عينا تنفى النهار لرمدا

انتهى * فاذا علمت ذلك وتحققت ما هنالك تيقنت صدق الكلام السابق * وجزمت بصحة المقال اللاحق * والله سبحانه وتعالى اعلم

قال الناظم

مضار نيسل العارفين عصامها ومرشدها اذا عوزتها المراشد

اقول (المصاب) بضم الميم الاصابة وهو بالجر بدل من وقع او عطف بيان له وبالرفع خبر لمبتدا محذوف اى هو مصاب وتكون الجملة ح مستانفة استئنافا بيانيا واضافته الى رئيس من اضافة المصدر الى مفعوله قال الحارث بن هشام المخزومى

اظلوم ان مصابكم رجلا ... اهدى السلام تحية ظلم

وليس مصاب فى البيت اسم مفعول من اصابته مصيبة فهو مصاب كما وهم ولهذا البيت يشهد بفضل الادب وكياسته ويرغب الراغب عنه فى اقتباسه ودراسته ولا باس بايراده ولا ضير باستطراده ومساقه ما رواه ابو العباس المبرد قال قصد بعض اهل الذمة ابا عثمان المازنى ليقرا عليه كتاب سر وبذل له مائة دينار عن تدريسه اياه فامتنع ابو عثمان من قبول بذله وصبر على رده قال فقلت له جعلت فداك اترد هذه النفقة مع فاقتك وشدة اضاقتك فقال ان هذا الكتاب يشتمل على كذا وكذا اية من كتاب الله تعالى ولست ارى ان امكن منها ذميا غيرة على كتاب الله عز وجل وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية بحضرة الواثق بقول المخزومى اظلوم ان مصابكم رجلا البيت فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه على انه خبرها والجارية مصرة على ان شيخها ابا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فامر الواثق باشخاصه قال ابو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال اى الموازن ام ازن تميم ام مازن قيس ام مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بكلام قومى وقال لى باسمك لانهم يقلبون الميم باء والباء ميما اذا كانت فى اول الاسما فكرهت ان اجيبه على لغة قومى لان لا اواجهه بالمكر فقلت بكريا امير المؤمنين فغظ لما قصدته واعجب به ثم قال ما تقول فى قول الشاعر اظلوم ان مصابكم رجلا ام تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا امير المؤمنين قال ولم ذاك فقلت ان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فاخذ البزدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصاب

ومنصوب به والدليل عليه أن الكلام معلق الى ان تقول ظلم فيتم الكلام فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنت يا امير المؤمنين * قال ما قالت لك عند مسيرك قلت انشدت قولك الاعشى

ايا ابتا لانر عرعندنا فانا بخير اذا لم ترم
اراانا اذا اضمرتك البلا د تجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك ومن عند الخليفة بالنجاح

قال على النجاح ان شاء الله تعالى ثم امر لى بالف دينار وردنى الى وطنى مكرما قال ابو العباس فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رايت يا ابا العباس رددنا لله تعالى مائة فعوضنا الفا ذكر هذا الخبر جمع من الخواص ومنهم الحريرى فى درة الغواص والحق انه لا يتعين النصب فى البيت وان اردت تحقيق ذلك فارجع الى شرح الدرة للشهاب الخفاجى عليه الرحمة اوفتامل (والرئيس) الكبير ويقال فيه رئيس كقيم * (والعارفين) جمع عارف وهو العالم والعارف ايضا الصبور يقال اصيب فلان فوجد عارفا والعرف مثله * قال عنترة

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

يقول حبست نفسا عارفة اى صابرة والعارف عند القوم من اشهده الله تعالى ذاته واسمائه وصفاته وافعاله فالمعرفة حال تحدث عن شهود والعالم عندهم من اطلعه الله تعالى على ذلك لا عن شهود بل عن يقين وقيل غير ذلك فهم يفرقون بين العلم والمعرفة وعندنا قولان عدم التفرقة والتفرقة بان المعرفة مخصوصة بالجزئيات او البسائط او ما تكون بعد الجهل والعلم ليس كذلك وفى جواز اطلاق العارف عليه تعالى قولان وصحح الشهاب الخفاجى فى حواشيه على تفسير البيضاوى الجواز وذكر انه وقع فى بعض خطب امير المؤمنين على كرم الله وجهه وهو باب مدينة العلم ولا خلاف فى اسناد يعلم بمعنى يعرف اليه سبحانه على ما وقفت عليه ومن الغريب ما ذكره

الراغب فى مفرداته من انه لا يجوز اسناد الدراية اليه تعالى فلا يقال الله تعالى يدرى ان الامر كذا لما ان الدراية علم يتوصل اليه بنوع حيلة ولم اقف عليه لغيره ومجاز الاطلاق والتقييد شائع فلا تغفل (والعصا) ما يعتصم به خوف السقوط ويطلق على رباط القربة وسيرها الذى تحمل به قال امرء القيس

وقربة اقوام جعلت عصامها على كاهل منى ذلول مرحل

وعصام ايضا اسم حاجب النعمان بن المنذر وهو المراد بقولهم ما وراك يا عصام وفى المثل كن عصاميا ولا تكن عظاميا يريد ون به قوله

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

وحاصله كن ممن يفتخر بنفسه لا ممن يفتخر بمن صار عظاما فى رمسه فان الافتخار بالرمم من دنائة الهمم والتبجح بالاموات عند الاكابر من الدناآت ولله در من قال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا ليس الفتى من يقول كان ابى

(والمرشد) من الارشاد خلاف الاضلال وقد رشد بالفتح يرشد رشدا بالضم ورشد بالكسرة رشدا لغة فيه (واعوذتها) من اعوذه الشئ اذا احتاج اليه فلم يقدر عليه (والمراشد) مقاصد الطرق كما فى الصحاح والقاموس والظاهر اذ بمعنى اذا وجوز ان تكون على اصل معناها وان تكون للتعليل مثلها فى قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون على قول فتدبر وحاصل المعنى ان ذلك الوقع الذى اضطربت لاجله السبع الطباق وضاقت لسعة فضاءته الخلائق وحل بالعالم ما لا يطاق هو غلط الزمان باصابته بسهام حتفه ونبال حيفه حضرة رئيس العارفين ومتمسك الطائفة الذين هم من بحار المعرفة غارفين ومرشدهم سواء الطريق حيث احتاجوا اليه اذ هو المعول فى ذلك الامر عليه ولسان حاله يصدح معلنا ويصدع مبرهنا

ستفقدنى قوم اذا جد جدهم وفى الليلة الظلما يفتقد البدر

ولله در من قال وكانه اشار الى هذه الحال

الا فى سبيل الله ما ذا تضمنت بطون الثرى واستوحش البلد القفر

بدور اذا الدنيا دجن اشرقت لنا وان اجدبت يوما فانهم القطر

فيا شامتا للموت لا تشمتن بهم حياتهم فخر وموتهم ذكر

حياتهم كانت لاعدائهم عمى وموتهم للفاخرين بهم فخر

اقاموا بظهر الارض فاخضر عودها وصاروا ببطن الارض فاستوحش الظهر

ثم ان فى هذا البيت ظهر تخلص الناظم كما لا يخفى ذلك على طالب علم فضلا عن عالم * واصل التخلص حصل فى الشطر الثانى من البيت الاول ولا يخلو عن حسن ومن المستحسن فى هذا الباب قول المتنبى الذى سحر بيانه العقول والالباب

ويوم وصلنا ليلة كانما على افقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كانما على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته ان عامرا عَلا لو تمت او فى السخاء له قبر

وقوله ايضا

خليلى انى لا ارى غير شاعر فلى منهما الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن المقدم ايضا فيه قول القاضى الفاضل النبيه من قصيدة ٍ يمدح بها خليفة القاطميين مطلعها

ترى لجنينى او حنين الحمائم جرت فوق خدى دمعى دموع الغمائم

الى ان قال وازرى بالأل

وهل من ضلوع او ربوع ترحلوا وكل اراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا وان كان بهفو بالغصون النواعم

تاخرت فى حمل السلام عليكم لديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الاحديثا لناظرى يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعدكم قد فطمته عن الشعر الا مدحة لابن فاطم

وحسن التخلص كثير فى الكلام * يعجز عن ادراك حصر جواد الاقلام *

قال

قال الناظم

تهدم بيت الدين بعد عماده وما دت بنا اركانه والقواعد

اقول (تهدم) من الهدم نقيض البناء (والبيت) معلوم (والدين) تقدم معناه ويطلق ايضا على الجزاء كما قاله غير واحد فى قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين * اى غير مجزيين وانشدوا شعرا

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

اى جازيناهم كما جازوا ومن ذلك قوله تعالى مالك يوم الدين قال قتادة مالك يوم تدان فيه العباد اى يوم يجازون باعمالهم * ويطلق ايضا على السلطان قال زهير

لئن حللت بجوفى بنى اسد فى دين عمرو وحالت بيننا فدك

معناه فى سلطان عمرو وعلى الطاعة ايضا ومن ذلك قوله تعالى ما كان ليأخذ اخاه فى دين الملك معناه فى طاعة الملك وعلى العبودية والذل ايضا جاء فى الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت اى من استعبد نفسه واذلها لله تعالى قال الاعشى

هو دين الرباب اذ كرهوا الدين دراكا بغزوة وحبال

ثم دانت بعد الرباب وكانت كعذاب عقوبة الاقوال

يعنى اذلهم فذلوا وقال القطامى

رمت المقاتل من فؤادك بعدما كانت نوارتدينك الاديانا

معناه تستعبدك بحبها ويطلق على العادة ايضا قال المثقب العبدى

تقول اذا الدرت لها وضيني اهذا دينه ابدا ودينى

اكل الدهر حل وارتحال اما يبقى على ولا يقينى

وعلى الحال قال النضر بن شميل سالت اعرابيا عن شئ فقال لى لو رايتنى على دين غير هذا لاخبرتك وروى ابو عبيدة قول امرء القيس

كدينك من ام الحويرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل

اى كعادتك ذكر جميع ذلك المقالى فى اماليه ولحسنه اتعبنا البنان فيه

(وبعد) ظرف زمان وقد تكون للمكان كدار زيد بعد دار عمرو والكلام فيها مشهور وهو في كتب النحو مسطور (والعماد) ما يعتمد عليه البيت والضمير راجع اليه وله معان كثيرة ذكرها في القاموس (وماد) من باب باع يقال ماد يميد ميدا وميدانا بفتح الياء اذا تحرك والباء في بنا للملابسة على ما هو الظاهر وعنى بضمير الجمع معشر المسلمين اهل الدين ولا يستبعد الواقف على حال الناظم انه حمله على الصوفية وان في كونه من المسلمين فضلا عن كونه من الصوفية نرددا (والاركان) الجوانب جمع ركن مثل قفل واقفال (والقواعد) قيل عطف تفسير على الاركان والمشهور انها جمع قاعدة بالهاء وهي الاساس لما فوقه والقواعد من النساء اللاتي قعدن عن التزوج لعدم الرغبة فيهن لكبرهن ومفرد هذه قاعد بغير هاء كحائض كما في مجمع البحرين فليحفظ * وحاصل المعنى انه لما ارتحل هذا العماد * وسار مرشد العباد * في سائر البلاد * حل بالدين امر عظيم * وخطب جسيم * حيث تهدم بناوه * وقرب من الفناء فناؤه * ومادت اركانه * واهتزت لعظيم المصاب جدرانه * ولعمري هذا اقل قليل * وايسر موجود في فقدان مثل هذا الفاضل الجليل * فلقد كانت به الشريعة تختال مرحا * والحقيقة على الحقيقة تهتز فرحا * الى ان ذهب الى ربه وحظي اذ بعد عنا بمزيد قربه * فترك ازهار المعارف ذابلة ذاوية وديار اللطائف بالية باكية * عسى الله تعالى ان يجبر كسر الدين بمثله * ويطفي حرقة المسلمين بفضله * وان كان نسان الحال يصدع * وشحرور اللسان يصدح

لمن يسمع

حلف الزمان ليأتين بمثله ... حنثت يمينك يا زمان فكفر

ولكن الله تعالى على ما يشاء قدير * وبالاجابة لمن دعاه جدير * وفي الحديث امتي كالمطر لا يدرى اوله خير ام آخره

قال الناظم

امن بعده يحلو الوصال لعاشق ... لحضرة قدس وهو للشيخ فاقد

اقول (امن بعده) لاستفهام معناه النفي (ويحلو) مضارع حلا

من الحلاوة نقيض المرارة يقال حلا الشئ يحلو حلاوة واحلولى مثله وقد عده حميد بن ثور فى قوله

فلما اتى عامان بعد انفصاله عن الضرع واحلولى دماثا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا الحرف وحرف اخر وهو اعرورية الفرس قاله فى الصحاح (والوصال) كالوصل ضد الهجر ويطلق على عدم الفطر ليلا ولله در من قال

بليت به فقيها ذا جدال يجادل بالدليل وبالدلال
طلبت وصاله والوصل حلو فقال نهى النبى عن الوصال

ومثل هذا ما لبعضهم فى مليح اسمه رمضان

رمضان جئته رمضانا وهو بدر يفوق كل الحسان
قلت صلنى فقال وهو مجيب لا يجوز الوصال فى رمضان

وعنى القوم بالوصال الرؤية والمشاهدة التى لا تحصل الا بمتابعة الصراط المستقيم والدين الحنيفى القويم وحمل القالب على المجاهدة * والنفس على الرياضة والقلب على المراقبة والسر على السير والروح على طلب المحبوب الى ان يصل الى سر الروح وهو الخفى ويصل الى علم الحقيقة فان الخفى عالمها فاذا اطلع الستر على الحقيقة اطلع النفس والقلب والعقل عليها بواسطة الستر لان السر سراج النفس والقلب والعقل به يبصرون الحقيقة وهذا فى مبادى الحال فاذا تمكن المريد من الحقيقة وترافع فى المراقى تقدم النفس على السر والروح والخفى وصار اقوى والطف من السر والروح فيكون النفس والقلب والعقل فى باطن البدن ويكون شعاعة فى اعلى عليين فى عالم الجبروت لا يصل اليه الملائكة المقربون (والعاشق) من العشق وقد تقدم معناه واراد به هنا المحبة العظيمة وذكر بعضهم ان العشق من المعشقة وهى نوع من اللبلاب يلتف على الاشجار حتى يجففها وسمى هذا به من جهة التشبيه لانه يجفف صاحبه ويذهب عنه رونق الحياة قال الشاعر

فذا العشق ماخوذ من العشق الذى اذا التف بالقضبان جفف رطبها

وقال الشيخ سيدى محيى الدين بن العربى فى الباب الثامن والخمسين والخمسمائة من الفتوحات المكية فى حضرة الود العشق ماخوذ من العشقة وهى اللبلاب التى تلتف على شجرة العنب وامثالها فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر الى غير محبوبه وذكروا ان من جملة المقامات للسالك مقام العشق وهو مقام لذة حتى ان العاشق من عظم ما يرى من اللذة لم يرد الترقى عن مقام العشق مع ان العشق حجاب عن المعشوق ولا يرغب فى الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر والكآبة وتقطع الاحشاء مما هو مسبب عن العشق بل يطلب دوام هذه الحالة عليه

قال سلطان العارفين مخاطبا للذات العلية

ولو لفناء من فنائك ودّ لى ... فوادى لم يرغب الى دار غيرى

فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين وان كانت بالنسبة الى ما فوقها من الحالات مذمومة حتى ان الكامل اذا تذكر حالة العشق * واوقاته تراه يتحسر لما فيها من خلع العذار وعدم المبالات لكنها مع المجاهدة والرياضة حالة صادقة وصاحبها صادق فى جميع ما يقوله من اشعار العاشقين واذا تكلم تكلم بحرقة وتاوه ناشئ من قلبه وهى مع عدم المجاهدة والرياضة حالة كاذبة وليس لما يقول من اشعار العاشقين طعم ولا له فى القلوب تاثير تجد النفس اذا سمعته وقد اخبر عن هذا العاشق سلطان العاشقين سيدى عمر بن الفارض قدس سره حيث قال

تعرض قوم للغرام واعرضوا ... بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم ... وخاضوا بحار الحب دعوى فابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا عن مكانهم ... وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الـ ... ـهدى حيث لم عند انفسهم ضلوا

ثم ان العشق سار فى جميع الموجودات فان كلا منها نازع الى كماله نافر عن النقص الخاص به وعشق الصور الحسنة والهيئات المستحسنة ان كان باعتبار عقلى فهو محمود وان كان لاجل لذة حيوانية فهو مذموم والمتصف به لذلك احق بان يسمى فاسقا منه بان يسمى عاشقا

بالاعتبار الاول قد يكون قطرة الى العشق الحقيقي الذي هو جناح للطيران الى حظار القدس ولا يابى ذلك حب المعانقة والتقبيل اذا كان الغرض فيهما هو التقرب والاتحاد نعم يابا ه حب المباضعة والعاشق الصادق ينعزل عن ان يخطر بباله * بل لو دعى اليها لاختار عليها عظيم نكاله * وللعشق علامات منها تغير اللون وتعثر اللسان عند رؤية المحبوب كما قال الشاعر

علامة من كان الهوى في فؤاده ... اذا ما راى المحبوب ان يتغيرا
ويصفر منه الوجه بعد احمراره ... وان طالبوه بالكلام تعثرا

وله علامات اخر تقرب من اد لا تحصر هذا ولعمري ان هذا المقام بحر فيهات ان ينزف بمناقير الاقلام * او ينضب ماوه بدلا الارقام * وجميع ما ذكرناه قطرة من حوضه او زهرة من زهرات روضه * والميسور لا يسقط بالمعسور * فخذ ما اتيناك وكن من الشاكرين (والحضرة) بفتح الحا المهملة وسكون الضاد المعجمة اراد بها المكان والمحل ويقال كلمته بحضرة فلان وحضرته بضم الحاء اى بحضوره وتطلق الحضرة على الرجل الكبير كانه لعظمه ومزيد تصوره في القلب حاضر في كل مكان ولهذا شاع اطلاق اللفظ على جناب الشيخ قدس سره حتى اذا اطلق في بغداد وما والاها لا ينتقل الذهن الا اليه * ولا يدل بهذا اللفظ الا عليه وهو الحري بذلك * والحقيق بما هنالك و (القدس) بضم القاف وسكون الدال قال في الصحاح المقدس والقدس الطهر اسم ومصدر ومنه قيل للجنة حظيرة القدس ويطلق على جبرائيل عليه السلام كالقدوس بضمتين (والشيخ) في اللغة كالشيخون من استبانت فيه السن او من خمسين او احدى وخمسين الى آخر عمره او الى الثمانين وفي كتاب اسرار اللغة ان الانسان ما دام في الرحم فهو جنين فاذا ولد فهو وليد ثم ما دام يرضع فهو رضيع ثم اذا قطع عن اللبن فهو فطيم ثم اذا دب ونما فهو دارج فاذا بلغ طوله خمسة اشبار فهو خماسي فاذا سقطت رواضعه فهو مثغور فاذا نبتت اسنانه فهو مثغور بالثا والثاء عن ابن عمرو فاذا كان يجاوز العشر سنين او جاوزها فهو مترعرع وناشئ فاذا

كاد يبلغ الحلم او بلغه فهو يافع ومراهق فاذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزور ويسمى فى جميع هذه الاحوال غلاما فاذا اخضر شاربه واخذ عذاره يسمى قيل قد بقل وجهه فاذا صار ذا فتاء فهو فتى وشارخ فاذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه هو مجتمع ثم ما دام بين الثلاثين والاربعين فهو شاب ثم كهل الى ان يستوفى الستين ويقال اذا ظهر فيه الشيب وخطه المشيب ثم يقال شاب ثم شمط ثم شاخ ثم كبر ثم هرم ثم دلف ثم خرف ثم اهتر ويقال محى ظله اذا مات انتهى فلا تغفل وفى اصطلاح القوم هو الانسان الكامل فى علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ الى التكميل فيها لعلمه بافات النفوس وامراضها وادوائها ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها وتمكنه من القيام بهذا ها ان استعدت لاهتدائها والله سبحانه وتعالى هو الهادى الى سواء السبيل (والفاقد) غير الواجد ويطلق الفاقد على المراة التى مات زوجها او ولدها والمتزوجة بعد زوجها وحاصل المعنى انه بعد فقد هذا الشيخ الكامل * والمرشد الواصل * والعارف الفاصل * بين الحق والباطل * لا يحلو الوصال لمحب ربانى * وواله صمدانى * اذ مع فقد هذا الشيخ لا تصفو له مناهل الوصال * ولا تكشف له على الكمال براقع الجمال * ويحتمل انه اراد ان فقد هذا الشيخ الذى هو رئيس نورى الارشاد لمزيد عظمه يكون سببا لخطرة فى الفؤاد ومع الخطرة تعود مناهل الوصال مرة فتدبر قال الناظم

الا من مغيث السالكين اذا كبت ... وذلت بهم اقدامهم تتمايد

اقول (الا) كلمة استفتاح مثلها فى قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولها استعمالات مذكورة فى المغنى وغيره (ومن) للاستفهام ولها ايضا استعمالات اخر (والمغيث) المعين ومنه الغوث وهو القطب وفسروه بانه الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانسانى والمقام الرحمانى وذكروا ان له اربعة اعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه ويأكل الحلال

وستة باطنة الفناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وهذا هو الذى يسمى بالغوث اذا كان الوقت يقتضى الالتجاء الى اعانته وسياتى لهذا البحث تتمة ان شاء الله تعالى (والسالك) الداخل واراد به ما هو الشايع على لسان القوم وهو الذى مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره فكان العلم الحاصل له فى مسافة ترقيه عينا يابى ورود الشبهة المضلة له ويطلق على المتلبس بالسير الى الله تعالى وله مقامات سبعة الاول * مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة * والثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامة * والثالث * مقام الاسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة * والرابع * مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة * والخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية * والسادس * مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية * والسابع * مقام تجليات الصفات والاسماء وتسمى النفس فيه بالكاملة وكل من كان فى مقام من هذه فهو محجوب عما بعده ومن كان بالسابع فهو محجوب بتجليات الاسماء والصفات عن تجلى الذات بل هو ممتنع على التحقيق وان وقع فى كلام البعض فهو مؤول وللنفس فى كل مقام عشرة حجب كل حجاب اكثف مما قبله وكذلك حجب كل نفس اكثف من حجب النفس التى بعدها وتفصيل ذلك يطلب من محله نسأل الله تعالى ان يجعلنا من ذوى الفيض واهله (وكبت) اى سقطت يقال كبا كبوا اى انكب وسقط على وجهه (وزلت) اى زلقت (واقدامهم) جمع قدم وهى مؤنثة كما قال الامام ابن الشحنه وغيره خلافا لما يوهمه كلام الجوهرى حيث قال والقدم واحد الاقدام ولم يقل واحدة بالتانيث وقد ذكر الامام فى شرحه على الهداية الفقهية ثم رغبنى ان ما يؤنث فقط من اعضاء الانسان وما يذكر فقط منها وما يؤنث ويذكر واتى بما لم يدع بعده مقالا لقائل واشتهر ان كل عضو مكرر كالاصبع والعين والقدم مؤنث وليس كذلك فان الحاجب والصدغ والكوع والجفن والحجر والحلاق وهو باطن الجفن والحجاج وهو العظم المشرف على غار العين والمأق وهو طرف العين الذى يلى الانف والمصير واحد المصاريين

والثدى والظفر الى غير ذلك كلها مكررة مع انها مذكرة (وتميد اى تتحرك وتضطرب من مادت تميد ميدا وميدانا تحرك والشراب اضطرب والرجل تبختر * ثم لا يخفى ما فى هذا البيت فانه اذا جعل قوله كبت وزلت بهم اقدامهم من باب التنازع ففيه نسبة الكبو الى الاقدام ولم يره مستعملا فى فصيح الكلام * بل يكاد ان لا يصح عليه الاقدام * وان لم يجعل من ذلك الباب بل جعل فى كبت ضمير راجع الى النسا لكن ملاحظا فيه معنى الجماعة ففيه ان هذه الملاحظة انما هى فى جمع التكسير كما لا يخفى على خبير * وحاصل معنى البيت بعد تحرير الكلام ظاهر عند ذوى الافهام قال الناظم

الا من لتدريس التصوف بعده ... يفيد متى تخفى هناك الفوائد

اقول (التدريس) الاقراء من درس الكتاب اقراه ويقال ايضا درس واد رس كما يفهم من القاموس (والتصوف) هو كما قال الشيخ قاسم الحنفى الوقوف مع الاداب الشرعية ظاهرا وباطنا فيرى حكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال وقيل اخلاق كريمة ظهرت فى رجل كريم فى زمان كريم بين قوم كرام وقيل هو كمال الانسان بالاسلام والايمان والاحسان * وقيل هو صفاء المعاملة وتحقيق المنازلة * وقيل هو ارسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقيل التمسك بالفقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار * وقيل هو الاخذ بالحقائق واليأس عما فى يدى الخلائق * وقيل ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع * وقيل انه الوطاء على هم الفضاء الى منازل الانس والرضا * وقيل تشرف الصادى عن الكدر الى صفاء الورد من غير صدر * وقيل هو المتوجه بالعبادة وطلب الحسنى والزيادة وانشدوا

تنازع الناس فى الصوفى واختلفوا ... فيه وظنوه مشتقا من الصوف
ولست امنح هذا الاسم غير فتى ... صافى وصوفى حتى سمى الصوفى

وفيه بعد اقوال كثيرة غير ما ذكرنا لو ذكرناها لطال الكلام وضاق

المقام * والذى يميل اليه كثير من السادة ما يفهم من هذين البيتين وعليه فوجه تسمية السالك بذلك صفاء قلبه وطهارة باطنه * وظاهره عن مخالفة ربه ففى لفظه على هذا قلب فاصله صفو بالواو واخره فقدمت الواو على الفاء لان مصدره المجرد الصفو قاله غير واحد وهذا اولى مما قيل ان وجه التسمية لبس الصوف كما لا يخفى * وقد ذكر بعضهم للتصوف اركانا عشرة خمسة فى الظاهر وخمسة فى الباطن * اما الاولى فالخدمة والخرقة والخلوة والصحبة والفتوة * واما الثانى فالعلم والعمل والحال والقلب والمعرفة * وقال بعضهم اول التصوف علم واوسطه عمل واخره موهبة فالعلم للكشف عن المراد والعمل للعون على المطالب والموهبة للتبليغ الى غاية الامل وبالجملة فالتصوف عين الرشد وغاية المبتغى اسكرنا الله بشراب محبته وحشرنا مع زمرة احبته * والظاهر ان الكلام على حذف مضاف اى لتدريس علم التصوف او كتب التصوف اى العلم الذى يبحث عما يلزم فى التصوف او الكتب التى تبحث عن ذلك او نحو هذا (وتخفى) من الخفاء بمعنى عدم الظهور * وقال الاصمعى يقال خفيت الشئ اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد واراد بقوله بعده الزمن الذى بعد فقده (والفوائد) جمع فائدة وهى لغة ما حصلت من علم او مال واصطلاحا المصلحة المترتبة على الفعل من حيث هى ثمرته ونتيجته وهى والغاية متحدان بالذات مختلفان بالاعتبار كما ان الغرض والعلة الغائية كذلك قال السند قدس سره اذا ترتب اثر على فعل فذلك الاثر من حيث انه نتيجة لذلك الفعل وثمرة له يسمى فائدة ومن حيث انه على طرف الفعل ونهايته يسمى غاية ففائدة الفعل وغايته متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار ثم ذلك الاثر المسمى بهذين الاسمين ان كان سببا لاقدام الفاعل على ذلك الفعل يسمى بالقياس الى الفاعل غرضا ومقصودا وبالقياس الى فعله علة غائية فالغرض والعلة الغائية متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار وان لم يكن سببا لاقدام كان فائدة وغاية فقط فالغاية اعم من العلة الغائية انتهى فليتدبر * وحاصل المعنى

انه لما ذهب هذا النحرير والعارف الخبير ذو المعارف الربانيه والعوارف الصمدانية درست مدارس العلوم وعفت معالم الفهوم فترى بيوت العلم بعد فقده خرابا وربوع الفهم موحشة يبابا لا يجيب السائلين فيها الا الصدا ولا يغيث الظامئين بها الا الصدا * فمن لتدريس علوم التصوف من بعده * واظهار خفى فوائدها بعد بعده فلقد كان والله جذيلها المحكك وعذيقها المرجب سهر وردى عصره وتلسانى مصره قدس الله تعالى روحه * واملى فى الجنان فتوحه هذا والذى شاهدناه نحن من احواله انه كان يشتغل بتدريس كتب الفقه كالنهاية فى فقه الشافعية للرملى وكتب العقائد كشرح النسفية للعلامة الثانى وما يتعلق بها من الحواشى كالخيالى وحواشى الحواشى كعبد الحكيم السالكوتى وله تعليقات عليه جمعت فبلغت نحو عشر كراريس ولم نشاهده يدرس شيا من كتب التصوف بل رايناه ينهى عن النظر فى بعض كتب السادة الصوفية كالفتوحات والفصوص ومعظم كتب الشيخ الاكبر قدس سره نعم كان عليه الرحمة اذا سئل عن بعض دقائق التصوف بحرا مواجا يسوق الى قلوب السامعين لطائف المعانى افواجا افواجا

قال الناظم

الا من لتلقين الاوامر بعده * يلقن اذ يسهو عن الذكر حافد

اقول (التلقين) كالتفهيم كذا فى الصحاح والقاموس وفى الحديث لقنوا موتاكم لا اله الا الله فقال فيه غير واحد اى ذكروا وفى مجمع البحرين يقال لقنه الشئ فتلقنه اذا اخذه من فيك مشافهة وفى المصباح لقن الشئ وتلقنه ثم قال وهذا يصدق على الاخذ مشافهة وعلى الاخذ من الصحف وعند القوم تعليم الشيخ العارف المريد الصادق كلمة الذكر التى هى حياة الارواح وقوام الاشباح وقد ذكروا ان الذكر قسمان ذكر بالتقليد وهو ما يدخل فى مسامع المستمعين من طريق افواه العامة مثل ترديد الوالدين وغيرهما من المعلمين وهو نافع فى دفع الاعداء وليس له قوة الحماية للذاكر وتبليغه الى مقام الولاية والقرب من الله تعالى وذكر بالتلقين وهو ما ياخذ بالتلقين من صاحب

تصرف اخذه من اخر مسلسلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا
هو الذكر الذى يتصرف فى باطن المريد المستعد اذا غرس بارض قلبه
بالتلقين ورنى بالاعمال الصالحة بدهنقة المتابعة ونظر شمس الولاية
فانها تؤتى اكلها من المكاشفات والمشاهدات كل حين باذن ربها
ويمكن ان يثمر له ثمرة معرفة الولاية والوصول الى ذروة المحبة اذا رتاه
بماء الارادة والصدق والاخلاص ويشترط فى التلقين عندهم
رضى الله تعالى عنهم ان يصوم المريد ثلاثة ايام بامر الشيخ ويكون
فيها دائم الوضوء دائم الذكر قليل الطعام قليل الكلام قليل المنام قليل
الاختلاط مع الانام ثم يغتسل باذن الشيخ وينوى نية غسل الخروج من
الغفلة الى الحضور فى المراقبة مع الله تعالى ويقول فى غسله اللهم انى
طهرت البدن الذى تصل يدى اليه بتوفيقك فطهر انت قلبى الذى حكم
بيد قدرتك وانت مقلبه بما معرفتك فاذا فرغ من الغسل يخلق الى
الشيخ ويجلس بين يديه ويوصيه الشيخ بما يقتضيه حاله ويجثو على
ركبتيه ويسكت ويحضر قلبه مع قلب الشيخ ويراقب سره حتى يقول
الشيخ مرة لا اله الا الله ما دا صوته وهو ياخذ بقلبه متفهما معانيها
بحيث ينفى بلا اله الخواطر كلها ويثبت بالا الله الحضرة الالهية
اى لا مطلوب ولا مقصود ولا محبوب ولا معبود الا الله تعالى ثم
يقول المريد رافعا صوته ما دا نفسه محضرا قلبه عند النفى والاثبات
ثم يقول الشيخ مرة ثانية ثم يقول المريد كذلك ثم يقول الشيخ ثالثة
والمريد كذلك ثم يرفع الشيخ يديه ويدعو له يقول اللهم خذ منه
وتقبل منه وافتح عليه ابواب كل خير فتحته على انبيائك واوليائك
وهذا ما ذكر فى بعض كتب القوم وعدتهم فى اصل التلقين حديث
روى عن على كرم الله تعالى وجهه وهو مذكور فى الاثبات وغيرها
واما فى الكيفية فالله تعالى اعلم بما هو عدتهم فيها ولعل ذلك فى
غير طريقتنا النقشبندية والا فنحن ولله الحمد اخذنا الذكر من حضرة
الشيخ قدس الله تعالى زكى تربته وحشره فى زمرة احبته ولم يامرنا
بذلك * عند السلوك فى هاتيك المسالك * بل للتلقين عند السادة

النقشبندية اداب غير هذه مذكورة فى كتبهم نفعنا الله تعالى بهم
(والاوامر) جمع امر قال فى الصحاح امرته بكذا امرا والجمع اوامر واللامر
حدود فمنها صحيح ومنها مزيف فالذى ارتضاه العلامة ابن الحاجب
انه اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء فالاقتضاء جنس وقوله
غير كف يخرج النهى لانه يقتضى الكف وهو فعل وقوله على سبيل
الاستعلاء يخرج ما على سبيل التسفل وهو الدعاء وما على سبيل التساوى
وهو الالتماس واشترط الاستعلاء كما هو رأى ابى الحسين ولم يهمل
هذا الشرط كما هو رأى الاشعرى ولم يشترط العلو كما هو راى المعتزلة
لذمهم الادنى بامر الاعلى ويرد عليه كف نفسك فانه امر بالكف والحق
انه لا يشترط الاستعلاء لقوله تعالى حكاية عن فرعون ماذا تامرون
والمزيف على ما قيل هو ما قاله القاضى وارتضاه الجمهور من انه القول
المقتضى طاعة المامور لفعل المامور به وما قاله قوم من انه خبر على الثواب
على الفعل واخرون عن استحقاق الثواب على الفعل لئلا يلزم الخلف
فى خبره عن العفو وما قاله بعض المعتزلة المنكرين للكلام النفسى
من انه قول القائل لمن دونه افعل وقال قوم منهم هو صيغة افعل
مجردة عن القرائن الصارفة عن الامر واخرون صيغة افعل بارادات
ثلاث ارادة اللفظ وارادة دلالتها على الامر وارادة الامتثال واحترز
بالاولى عن النائم وبالثانية عن التخيير والتهديد والاكرام والاهانة
ونحوها من المعانى التى تاتى لها هذه الصيغة فانها تاتى لمعان كثيرة
ذكرها غير واحد من الائمة وبالثالثة عن الصيغة التى تصدر عن
المبلغ والحاكى فانه لا يريد الامتثال واخرون هو ارادة الفعل ثم اعلم
انهم اختلفوا فى صيغة افعل وما فى معناها فقال الجمهور انها حقيقة
فى الوجوب فقط وقال ابو هاشم فى الندب فقط وقيل للطلب وهو
القدر المشترك بين الوجوب والندب وقيل مشترك بين الوجوب
والندب اشتراكا لفظيا وقال الاشعرى والقاضى بالوقف فيهما
اى لا ندرى اهو للوجوب او للندب وقيل مشترك بين ثلاثة معان
الوجوب والندب والاباحة وقيل للقدر المشترك بين الثلاثة قاك

العضد وهو الاوجب وقالت الشعبة هو مشترك بين اربعة امور الوجوب
والندب والاباحة والتهديد واختلفوا ايضا فى ان هذه الصيغة هل
تدل على تكرار اما لا وذهب امام الحرمين ان صيغة افعل بمجردها لا تدل على فعل
المامور به متكررا ولا على فعله مرة واحدة وقال الاستاذ هو للتكرار
مدة العمر ان امكن وقال ابو الحسين وغيره هو للمرة ولا يحتمل التكرار
وقيل بالوقف بمعنى لا ندرى واختلفوا ايضا فى ان الشئ المعين اذا
امر به فهل ذلك الامر نهى عن الشئ المعين المضاد له اولا فعند الامام
والغزالى انه ليس نفس النهى عن ضده ولا يتضمنه عقلا وهو المختار وقال
القاضى ومتابعوه اولا انه نفس النهى عن ضده وقالوا اخرا انه يتضمنه
ثم اقتصر قوم على هذا وزاد القاضى ومتابعوه عليه فقالوا والنهى كذلك
فى الوجهين فقالوا ولا النهى عن الشئ نفس الامر بضده واخرا انه يتضمنه
ثم القائلون بان الامر بالشئ نهى عن الضد على الوجهين منهم من عمم
القول فى امر الوجوب والندب فجعلهما نهيا عن الضد تحريما وتنزيها
ومنهم من خصص امر الوجوب فجعله نهيا عن الضد تحريما دون
الندب هذا وتمام الكلام فى هذا المقام وبسط هذه الاقوال وما
لها وعليها من القيل والقال يطلب من كتب اعدت لمثله لا من كتاب
عد الايجاز من فضله ويسهو من سهى فى الامر كعاسهوا بالفتح وسهو
بالضم اذا نسيه وغفل عنه وذهب قلبه الى غيره فهو ساه وسهوان
قاله فى القاموس ويفهم منه عدم الفرق بين السهو والنسيان وفرق
بينهما بعضهم بان السهو دون النسيان لانه ما ينجع عنه بسهولة واذنى
التفات ولا كذلك النسيان فلهذا يجوز على الانبياء عندنا معاشر
اهل السنة كما يدل عليه حديث ذو اليدين الذى اخرجه البخارى فى
الصحيح وان طعن فيه الرافضة على قبل ما نفين جوازه لما فيه من النقص
المنزه عنه الانبياء غيرنا ظرين الى ان ذلك من الذهول بالله تعالى
الغير المستمر عليه المترتب عليه احكام لا تحصى وفوائد لا تستقصى
دون لما فيه من شائبة النقص ولما ورد فى كتب اللغة المشهورة تصريحا
بذلك نعم قال فى مجمع البحرين فسر السهو بنحو الغفلة عن الذاكرة

فقط وبقاوه مرتسما فى الحافظة بحيث يكون كالشئ المستور والنسيان عن القوتين الذاكرة والحافظة انتهى وهو يؤيد الفرق الذى ذكرناه * (والنكر) كالذكرى بالكسر نقيض النسيان وكذلك الذكرة * قال الشاعر

انى المربك الخيال بطيف ومطافه لك ذكرة وشغوف

وقولهم اجعله منك على ذكر وذكر بضم وكسر بمعنى قاله فى الصحاح وقال بعضهم الذكر بضم الذال ما يكون بالقلب ويقال ذكرته اى قطعت ذكره كرأيته بمعنى قطعت ريته وعلى ذلك جاء قول الشاعر

ذكرت اباعمرو وفات مكانه فيا عجبا هل يهلك المرء من ذكر
وزرت عليا بعده فرايته ففارق دنياه ومات على صبر

وقال بعض السادة الصوفية الذكر ترديد اسم المذكور على القلب واللسان والذكر الحقيقى غيبة الذاكر عن الذكر باستيلاء المذكور على قلب الذاكر والذكر منشور الولاية وهو الموصل الى الغاية فمن وفق للذكر فقد اعطى المنشور ومن سلب الذكر فقد عزل وهو الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة على سباط المحبة والذاكر بالاخلاص والصدق جليس الواحد الحق لقوله تعالى فى الحديث القدسى انا جليس من ذكرنى واصل الذكر الصفا وفرعه الوفا وشرطه الحضور وبساطه العمل الصالح وخاصيته فتح من الله بحسب الاسم المذكور به وقال القشيرى الذكر لطف القلب بنعت الغيب وقيل بيان الفوائد بصدق الاعتقاد وقيل امتلاء القلب من المذكور واستيلاء القلب على الضمير واستلام السرائر عند ظهوره وقيل طمانينة القلب بشهود الرب وقيل انشراح الصدر بفيضان الذكر وقيل طلوع الانوار برؤية القهار وبلوغ الامان بسر وجدانى ثم قال تتمة قال المحقق الذاكرون اربعة المريد والعارف والموحد والمحب فذكر المريد لا اله الا الله فهو متردد بين النفى والاثبات ومقتضاه نفى ما سوى الله وذكر العارف الله ومقتضاه استيلاء احكام الصفات الالهية على العوالم الملكوتية وذكر الموحد هو ومقتضاه اضمحلال العين بنور العيان وذكر المحب الاستهلاك والاثبات

ومقتضاه

ومقتضاه ذهابه عن الاسم والرسم والصفة والعاشق لا ذكر له لذهابه به عنه بل كل جزء منه ذكر له ومن تعرض لذكر من هو اعلى منه فى الرتبة لا يترقى به ولو دام ذاكرا به الف عام ومن رجع من ذكره الى ذكر من هو دونه فقد ابتلى بذل الحجاب وقد قيل كل ذاكر يجب الاستدامة على ذكره الى ان يجد الانس بالمذكور فينفر من ذكره فحينئذ يترقى منه الى ذكر من هو اعلى منه والله الهادى انتهى وما ذكره من ان الله ذكر وهو ذكرا نما هو عند السادة الصوفية وفى المشهور عند العلماء وقد ذكر بعض اكابر الشافعية ان مثل ذلك لكونه غير كلام لا يعد ذكرا والقلب الى ما ذكره السادة اميل بل هو الحق الحقيق بالقبول فتامل (والحافد) من الحفد السرعة * قال فى الصحاح تقول حفد البعير والظليم حفدا وحفدانا وهو تدارك السير وبعير حفاد وفى الدعاء واليك نسعى ونحفد واحفدته حملته على الحفد والاسراع قال الراعى

فزائد خرقاء اليدين مسفيه اخب بهن الملحفان واحفدا

اى احفد بعيرها وقال بعضهم اى اشرعا ويجعل حفد واحفد بمعنى والحفدة الاعوان والخدم وقيل ولد الولد واحدهم حافد انتهى فيحتمل ان يراد هنا بالحافد المسرع فى السير والسلوك الى ملك الملوك ويحتمل ان يراد به الخادم مراد المريد لانه خادم لاستاذه ومن بيده زمام انقاذه والاول اظهر وحاصل معنى البيت انه بعد سير هذا الشيخ من عالم الدنيا الى معالم الاخرى فقد من زوايا العرفان وخبايا الايقان من يلقن الاوامر الالهية والاذكار الربانية عند ما يسهو المسرع من المريدين ويغفل الجد من السالكين عن ذكر مولاه الذى ارتع له خندريس الانس وحمياه وفيه اشارة الى انه لا ينبغى للسالك الغفلة عن مالك الممالك * وان الغفلة امر عظيم وخطب جسيم يحتاج لها لمثل هذا الشيخ المرشد والمزلف المسعف المسعد * ولهذا قالوا ينبغى على طالب الحق الهارب من الخلق * ان يواصب على ذكر الله سبحانه وتعالى ويكون ذلك بقوة شديدة بحيث يدخل اثر الذكر فى باطنه فيسرى فى العروق والشرايين ويحرق ظلمة الوجود وكثافته وكدورته بنار الذكر فان الذكر له نار

ونور فبنوره يسكن القلب الا بذكر الله تطمئن القلوب وبناره تحترق كافة
انوجود فيزول منه الخشونة الاصليه واليبوسة الجبلية فيخرج من اثار
الصفات البشرية فيخفف عن الاثقال الترابيه فيعلو قلبه عن ارض
الملكوت الى سماء الربوبية وللذكر شروط ذكروها واداب حرروها
وسطروها ان فعلها الذاكر واتمها من هو الى حضرة القدس سابر
حاز مناه وفاز بمقعد صدق عند مولاه وفى مقام الاحسان المشار
اليه بقوله صلى الله تعالى عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى غالب ما يطلب هنالك
ثم لا يخفى ما بين صدر البيت وعجزه من صدم الموافقة وترك المناسبة
اللائقة مع ان الاحتياج الى التلقين انما هو فى اول امر المريدين
السالكين فتامل ذلك والله سبحانه وتعالى يتولى هداك * قال
الناظم

ومن قدوة التعريف والكشف بغيه ومن لا بابليس المخايل طارد

اقول (القدوة) مثلث القاف الاسوة وفى مجمع البحرين القدوة
بضم القاف اكثر من كسرها اسم من اقتدى به يقال فلان قدوة
اى يقتدى به انتهى (والتعريف) الاعلام كما فى الصحاح (والكشف)
قال فى القاموس كالضرب والمكاشفة الاظهار ورفع شئ عما يواريه
ويغطيه كالتكشيف انتهى والكشف عند القوم حقيقة الايقان *
والمشاهدة والفرق بصفات الذات وقيل غير ذلك ولعل الناظم
اراد به ما يراد فى التعريف والا فتصحيح الكلام يحتاج الى نوع تكلف
لا يخفى على ذوى الافهام واراد (بابليس المخايل) الظنون الابليسية
والخواطر الردية (وطارد) من الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب
ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا فى لغة ردية قاله فى الصحاح
وتخصيص الناظم الطرد بابليس المخايل على ان يكون المراد منها الخواطر
الردية التى تعرض فى الطريق وليستوجب بقاؤها الانفراد عن
الرفيق * اشارة الى ان هذا النوع هو الحرى بان يطرد وينحى وبعد
قال بعض السادة الصوفية نفعنا الله تعالى بفتوحاتهم السنية

من

من علوم الصوفية معرفة الخواطر حتى يوافق ما كان منها للخالق ويخالف غيره والخاطر والوارد يرد على قلب في صورة الخطاب والوارد اعم من الخاطر كالحزن والسرور والقبض والبسط والكثير على ان الخواطر اربعة خاطر من الحق تعالى وخاطر من الملك وخاطر من النفس وخاطر من الشيطان فالخاطر الحقاني يقذفه الله تعالى من الغيب في قلوب اهل القرب والحضور بغير واسطة قال الله تعالى قل ان ربي يقذف بالحق علام الغيوب والخاطر الملكي هو الذي يحث على الطاعات ويرغب في الخيرات ويحذر من المعاصي والمكاره ويلوم على ارتكاب المخالفات والتكاسل والتباعد عن الموافقات والخاطر النفساني هو الذي يتقاضى الحظوظ العاجلة وينظر الدعاوى الباطلة والخاطر الشيطاني هو الذي يدعو الى المعاصي والمناهي والمكاره والفرق بين خاطر الحق سبحانه اذا خطر لا يعارضه شيء فاذا ظهر سلطانه فكل جزء من اجزاء الوجود ينقاد ويستسلم له وسائر الخواطر تضمحل وتتلاشى وسئل بعض الاكابر ما برهان الحق فقال وارد يرد على القلب تعجز النفس عن تكذيبه ومع وجود الخاطر الملكي معارضة خاطر النفس وخاطر الشيطان والفرق بين خاطر النفس وخاطر الشيطان ان خاطر النفس لا ينقطع بنور الذكر ويتعاصى على مطلوبه ليصل الى مراده الا اذا ادركه التوفيق الازلي فيقطع عنها عرف المطالبة واما خاطر الشيطان فانه ينقطع بنور الذكر ولكن يمكن ان يعود فينسيه الذكر ويغويه كما ورد في الخبر الشيطان جاثم على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس وتولى واذا غفل التقم قلبه وقال بعضهم الخواطر خطاب يرد على الضمائر وقيل كل خاطر يكون من الملك فربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه فانما هو خاطر الحق تعالى فلا يحصل خلاف من العبد له والمشهور ان الخواطر اربعة وكلها من الله غير ان بعضها بواسطة وبعضها بلا واسطة ولا يضاف الى الله تعالى الا الخير اديا واحتراما وزاد الشيخ مجد الدين البغدادي رحمه الله تعالى على الخواطر الاربعة خاطر القلب وخاطر الشيخ وبعضهم خاطر العقل وخاطر اليقين وفي الحقيقة ترجع هذه الخواطر الى الخواطر الاربعة وتندرج

٣ والملك ان خاطر الحق

تحتها فان خاطر القلب مندرج تحت خاطر الملك واما خاطر العقل فان كان
فى امداد الروح والقلب فهو من قبيل خاطر الملك وان كان فى امداد النفس
والشيطان فهو من قبيل خاطر العدو واما خاطر الشيخ فهو امداد صاحب
الشيخ يصل الى قلب المريد الطالب مشتملا على كشف معضل وحل
مشكل فى وقت استكشاف المريد باستمداد من ضمير الشيخ وذلك
داخل تحت الخاطر الحقانى لان قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح الى عالم الغيب
وكل لحظة يصل امداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة
الشيخ واما خاطر اليقين فهو وارد مجرد من معارضات الشكوك والريب
فيدخل تحت الخاطر الحقانى ايضا واما خاطر العقل فقد قال صاحب
العوارف هو متوسط بين الخواطر الاربعة فيكون تارة مع النفس والعدو
لوجود التميز واثبات الحجة على العبد اذ لو فقد العبد سقط العقاب
والعتاب ويكون تارة مع الملك والروح ليوقع العقل المختار ويستوجب
به من الثواب من الملك الوهاب بل لا يبعد ان يقال الاصل فى الخواطر
برمتها الخاطر الحقانى والالهام الربانى لقوله تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقواها والكلام فى ذلك طويل وفى هذا القدر كفاية
لمن فهم ثم اعلم ان تميز الخواطر كما ينبغى لا يتيسر الا عند تجلية
مرآة القلب من صدأ الطبع بمصقل الزهد والتقوى والذكر
حتى ينكشف فيها صور الخواطر كما هى ومن لم يبلغ بالزهد والتقوى
ويريد ان يميز بين الخواطر فله طريق وذلك بان يزن اولا خاطره بميزان
الشرع فان كان من قبيل الفرايض والفضائل يمضيه وان كان محرما
او مكروها ينفيه وان كان من قبيل المباحات فكل جانب يكون اقرب
الى مخالفة النفس والغالب من سجية النفس ميلها الى شئ دنى لكن
ينبغى ان يعلم ان مطالبات النفس على نوعين بعضها حقوق لا بد منها
وبعضها حظوظ فالحقوق ضرورية اذ قوام النفس بها والحظوظ ما زاد
عليها فيلزمه تميز الحقوق من الحظوظ لينفى الحظوظ. وارباب البدايات
يلزمهم الوقوف على الحقوق وحد الضرورة وتجاوزهم عن ذلك ذنب
فى حقهم واما المنتهى فله فتح طريق السعة والخروج عن مضيق

هذا البلغ ٥

الضرورة الى فضاء المشاهدة والمسامحة وامضاء خواطر الحظوظ باذن
الحق سبحانه وجعل بعض المشايخ الواجب للحق والمحظور للشيطان
والمندوب والمكروه للملك والنفس واما المباح فلم يكن فيه ترجيح
لم ينسب الى خاطر لاستلزامه الترجيح بلا مرجح هذا ان قلنا بوجود المباح ت
عند القوم واما اذا قلنا بعدم وجودها كما ذكره الامام سيدي عبد
الوهاب الشعراني فالامر واضح كما لا يخفى فافهم ذلك حفظك مولاك
* واعلم ايضا ان الخواطر تاتي للمجاهد كسيل العرم فالواجب عليه
في بداية امره النفي وفي اخره التمييز بين الخواطر جميعا وذلك لانه في
البداية ليس له اهلية لذلك التميز فالواجب عليه ان ينفيها جميعا
وما كان محمودا يثبت ولا ينفي بنفيه وما ليس كذلك يذهب ويزول
والاشتغال بالتميز اذ ذاك يضر مضرة ظاهرة ولا يتيسر له ما ذكرنا
الا برعاية ظاهر الذكر ومعناه وملاحظة الوقوف القلبي والمبالغة في
تعظيم الحق فاذا واظب على نفي الخواطر وهو الشرط الاعظم بل الركن
الاهم وصل الى حقيقة الانس والتفريد وترقى عن مقام التجريد
وتبدل القاء الشيطان بالهام الرحمن وحديث النفس بمكالمة الروح
والقلب وبمناجات الحق سبحانه وتعالى ولنفي الخواطر اسباب كثيرة
منها احضار صورة الشيخ على الوجه الذي سموه بالرابطة قيل هذا
من اعظم الاسباب ومنها ادامة النظر الى شيء واحد فان ذلك يورث
الذهول وفيه سد لباب الخطرة الى غير ذلك * وحاصل معنى البيت
انه بعد عروج هذه الروح الملكية وصعودها الى الحضرة القدسية
وخلو الديار عن مثل هذا المنار من يكون القدوة والامام في التعريف
والاعلام وارشاد الانام ومن يطرد بنوره الباهر ابالسة الخيال
والخواطر التي تنزل المريد من ذروة النعم الى حضيض الجحيم فقد
خلت الديار وعفت الاثار والامر لله الواحد القهار ولعل طرد
الشيخ لابالسة الخواطر بسبب النور في القلب بالهمة القدسية
ويكون ذلك بما يسميه السادة النقشبندية بالتوجه وتختلف قوته
وتتفاوت ثمرته باختلاف همة المتوجه واستعداد المتوجه اليه كما

لا يخفى ذلك على اهله

قال الناظم

ومن لامارات الشهود ورمزها ... وغامضها ان جاء ينشد ناشد

اقول (الامارات) جمع امارة بفتح الهمزة العلامة واما الامارة بالكسر فهو مصدر امرى صار اميرا كالامرة وعرفوا الامارة فى الاصطلاح بانها التى يلزم من العلم بها الظن بوجود المدلول فتدبر (والشهود) مصدر كالحضور لفظا ومعنى ويستعمل جمعا ايضا كما يقال قوم حضور وهو عند القوم رؤية الحق بالحق ولهم شهودان احدهما شهود المفصل فى الجمل وهو رويته الكثرة فى الذات الاحدية وثانيهما شهود المجمل فى المفصل وهو رؤية الاحدية فى الكثرة وللشهود عندهم تقسيمات اخر مذكورة فى محالها (والرمز) الاشارة والايما بالشفتين والحاجب ويستعمل فى كلامهم بمعنى الاشارة الخفية كما لا يخفى على المتتبع وكان ذلك لانها تورث اضطرابا فى الذهن لخفا المراد منها فافهم (والغامض) خلاف الواضح (وينشد) اى يسئل وبين جاء وينشد تنازع لا يخفى امره وحاصل معنى البيت انه بعد هذا الولى الكامل والشيخ الواصل من يبين خفى علامات الشهود للسائلين ومن يوضح غامض رموز الطريق للسالكين حتى لا يقع الضلال فى السلوك الى الملك المتعال وذلك لان الشيطان كثيرا ما يتعرض للمريد فيوهمه الشهود للملك المعبود قال بعض السادة الصوفية ان الشيطان قد يرى للمريد نفسه على عرشه فربما يعتقده ربا فينسجد له وقد وقع مثل ذلك لرجل اسمه المزمل رآه فى رية طريق مصر على عرش بين السما والارض فسجد له وظن انه الرب ثم حكى ذلك لجماعة من المشايخ فقالوا ما ذاك الا الشيطان بدليل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان للشيطان عرشا بين السماء والارض وهو يجلس عليه فقام الرجل وجدد ايمانه واعاد صلاته وعاد الى المكان الذى راه ولعنه وانكر عليه وقال انما انت الشيطان اللعين كفرت بك وامنت برب العالمين وقد تجلى الله تعالى لسيدى عبد القادر الجيلى قدس سره على هذا العرش

قائلا

قائلا له يا عبد القادر اتارك ربك وقد رفعت عنك التكاليف واجبت لك المحرمات فقال له اخسأ ان الله لا يامر بالفحشاء ولا يرفع في هذه الدار التكاليف عن احد ولو رفعها عن احد لرفعها عن احب احبائه اليه واعزهم عليه محمد المصطفى ورسوله المجتبى فقد تورمت قدماه ونحل جسمه في طاعة مولاه وللشيطان مع المريد مكايدات كثيرة ومخادعات وفيرة * اعاذنا الله من شره وحفظنا واياكم من اسره قال الناظم

ومن يرع في عين العناية وهو في مراقبة والذكر من ذاك خامد

اقول (يرع) بالبناء للمفعول من رعيت النجوم رقبتها قالت الخنسا

ارعى النجوم وما كلفت رعيتها وتارة اتغشى فضل اطماري

وحذف الناظم الالف لغير جازم ضرورة وليست من شرطه كما لا يخفى على من له ادنى رؤية (والعين) معلومة وفي تخييل المكنية والعناية من عناه الامر يعنوه اهمه * وفي بعض نسخ القصيدة * * (الحقيقة) بدل العناية وهي خلاف المجاز بالمعنى الاعم الشامل للكناية وعند القوم قيل هي اسم للصفات الالهية وقيل هي سلب انانيتك عنك باوصاف وقيل غير ذلك * وقد جاء عن باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه في تفسير الحقيقة لما سأله عنها كميل بن زياد ما فيه غنية والخبر في ذلك مشهور ولولا خوف الاطالة لنقلناه وشرحناه وقد يضيفون الحقيقة فيقولون حقيقة الحقائق ويعنون بها الذات الاحدية الجامعة لجميع الحقائق وهي التي يسمونها حضرة الجمع وحضرة الوجود ويصفونها فيقولون الحقيقة المحمدية ويعنون بها الذات مع التعين الاول وهو الاسم الاعظم (والمراقبة) من رقبت الشئ رقبة ورقوبا ورقبة ورقبانا بالكسر فيهما اذا رصدته وعند القوم دوام ملاحظة المقصود وقيل اجماع القلب لاطلاع الرب سبحانه وتعالى وهي سبب قوي للوصول وحصول الجمع والقبول حكى عن سيد الطائفتين وشيخ الفئتين سيدي ابي القاسم سعيد بن عبد الحميد قدس سره انه قال استاذي في طريق المراقبة الهرة وذلك اني كنت ذاهبا في الطريق فرايت هرة

جالسة عند غار فارة مراقبة لها مستغرقة فى ذلك لا تحرك منها شعرة * فحصل لى الحيرة من توجهها ومراقبتها فوديت فى سرى يا دنى الهمة لا تخيلى فى مقصودك اقل من الفارة وانت لا تكون فى الطلب اقل من المستنور فتنبهت فلزمت طريق المراقبة فحصل لى ما حصل وكانت اكثر مراقبتى تحت درج فى داره وكان كثيرا ما يقول عن بعض تقريراته هذا من العلوم الذى حصلتها تحت الدرج والمراقبة عندهم تنقسم الى اقسام كمراقبة المعية ومراقبة الاحدية وغير ذلك والتفصيل فى محله (والذكر) معلوم (ومن) اجليه كقوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا (وذاك) اشارة الى ما تقدم اعنى المراقبة والتذكير بهذا الاعتبار وفى هذه الاشارة اشارة لا تخفى على ذوى الابصار (وخامد) من خمدت النار كنصر وسمع خمدا وخمودا سكن لهبها ولم يطفئ جمرها * وحاصل معنى البيت انه بعد ذياك الاوحد * والعلم المفرد * من الذى يلحظ بعين العناية الالهية * والحقائق القدسية * وهو مجموع القلب للملاحظة الرب * وقد خمد لهب ذكره * وهمد جمر فكره * وذلك لما حصل له من الشهود ومعاينة الملك المعبود وقد ذكر سيدى الشيخ الاكبر والكبريت الاحمر انه لا ينبغى الذكر لمن تحصل له المشاهدة الا ترى ان من حضر لدى ملك لا يليق به تكرار اسمه بل ربما يعد ذلك جنونا فالذكر اذ ذاك ذنب عظيم واسم كبير ولهذا قيل

بذكر الله تزداد الذنوب ... وتنكشف الوزائل والعيوب
وترك الذكر افضل كل شئ ... وشمس الذات ليس لها مغيب

وانشدوا

لا يترك الذكر الا من يشاهده ... وليس يشهده من ليس يذكره
والذكر ستر على مذكوره ستر ... فحين اذكره فى الحال يستره
فلا ازال على الاحوال اشهده ... ولا ازال على الانفاس اذكره

قال الناظم

يسوس باشخاص المريدين حيثما ... بدت قبسات تجلى ومشاهد

قوله (يسوس) من ساست الرعية سياسة امرتها ونهيتها

ويقال سوس امور الناس على مالم يسم فاعله اذا ملك امرهم ويروى قول الخطيئة شعر

لقد سوست امر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين

قال الفراء سوست خطاء قاله فى الصحاح ولم ينقله فى القاموس وفى النجوم الزاهرة السياسة معربه سه يساوهى لفظة مركبة من كلمتين اولاهما اعجمية والاخرى تركية فان سه بالمعجمين ثلاثة ويساق بالمعانى الترتيب فكانه قال الترتيب الثلاثة وسبب هذه الكلمة ان جنكز خان ملك المغاى كان قد قسم مما لكه على اولاده الثلاثة وجعلها ثلاثة اقسام * واوصاهم بوصايا لم يخرج عنها الترك الى يومنا هذا مع كثرتهم واختلاف السنتهم فصاروا يقولون سه يسا يعنى الترتيب الذى رتبها جنكز خان فثقل بين العامة فغيروها على عادة تحاريفهم فقالوا سياسة انتهى فليحفظ (والاشخاص) جمع شخص وهو سواد الانسان وغيره تراه من بعيد كذا فى الصحاح والقاموس والمراد به هنا الذات ويجمع ايضا على اشخص وشخوص والباء الداخلة عليه جوز ان تكون زائدة لتعدى الفعل بدونها وجوز ان تكون اصلية وتضمين الفعل معنى ما يتعدى بها فتدبر (والمريدين) جمع مريد وهو الطالب والمريد عند القوم المجرد عن ارادته المخالف بالكلية احكام عادته * وقيل هو ناهض العقب فى طلب الرب وذكروا ان المريد فى الظاهر بنعت المجاهدات وفى الباطن بوصف المكابدات عالج الاخلاق ولازم المشاق وعاين الاهوال وفارق الاشكال نومه غلبة واكله فاقة وكلامه ضرورة وبداية المريد ان يجد الله تعالى مع الاشارة وفى نهايته يجد الله تعالى بلا اشارة والمراد اعلى درجة منه لان المجذوب عن ارادته المجاوز للرسوم كلها من غير مكابدة ولا تعب * فالمريد هو المبتدى والمراد هو المنتهى والمريد يحمل والمراد متحمل والمريد يتولاه بسياسة العلم والمراد تتولاه عناية الحق المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر * ولله در سيدى السيد على البندنيجى قدس سره فى قصيدته العينية المشهورة

ولست مريدا ارجعن بلن ترى ولست بطور كى يحركنى الصدع

(وحيثما) مركب من حيث وما قال في الصحاح حيث كلمة تدل على المكان لانه ظرف في الامكنة بمنزلة حين في الازمنة وهو اسم مبني وانما حرك اخره لالتقا الساكنين فمن العرب من بناها على الضم تشبيها بالغايات لانها لم تجئ الا مضافة الى جملة كقولك اقوم حيث يقوم زيد ولم تقل حيث زيد وتقول حيث تكون اكن ومنهم من بناها على الفتح مثل كيف استثقالا للضم مع الياء وهي من الظروف التي لا يجازى بها الا مع ما تقول حيثما تجلس اجلس في معنى اين ما وقوله تعالى ولا يفلح الساحر حيث اتى ومن حرف ابن مسعود اين اتى والعرب تقول جئت من اين لا تعلم اى من حيث لا تعلم انتهى * وذكر بعض النحويين ان في حيث عشر لغات المشهور منها التسع والعاشرة ذكره الحلبي فليحفظ (وبدت) اى ظهرت يقال بدا الامر يبدو امثل قعد يقعد اى ظهر (وقبسات) جمع قبسة من القبس محركا وهو شعلة نار تقبس من معظم النار كالمقباس والمراد بها هنا قبسات الانوار الالهية ولمحات الاشعة الربانية وقد ذكروا انه يظهر للسالك في اثناء سيره الى حضرة الرب جل جلاله انوار كثيرة واشعة وفيرة وذلك عند تمكن الذكر ومداومة الخلوة فيظهر له البروق واللوامع وانوار ملونة ولا ينبغي ان يلتفت الى شيء من ذلك وليعلم يقينا ان النور الحقيقي منزه عن ان يكون ملونا ومشكلا ومتحيزا في جهة من الجهات وكل ما كان من قبيل الخيال يتبدل في الحال وليقل كما قال الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام اني لا احب الافلين * وقد خلق الله تعالى سبعين الف حجاب من نور وظلمة وجعلها استارا للكعبة الاسرار غيرة لها واشار الى ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة * ومن هذه الحجب السبعين الفا عشرة الاف ظلمانية مستكنة في اللطيفة القالبية ولونها كدر فاذا اشتغل في الذكر واشتعلت نيران يشاهد تلك الظلمات المطبقة بعضها فوق بعض فاذا صلح الوجود صفى وابيض مثل المزن الابيض * ومنها عشرة الاف كامنة في اللطيفة النفسانية ولونها ازرق وفيضان النفس على الوجود وتربيته منها فاذا اصفت وذكت افاضت عليه

الخير فينبت منه الخير وان افاضت عليه الشر فكذلك ينبت منه الشر * ومنها عشرة الاف موضوعة فى اللطيفة القلبية ولونها احمر مثل لون النار الصافية وقد يكون معها دخان * ومنها عشرة الاف مكنونة فى اللطيفة السرية ولونها ابيض مثل لون الزجاجة البيضاء الصافية التى وقعت عليها الشمس * ومنها عشرة الاف مودوعة فى اللطيفة الروحية ولونها اصفر فى غاية الصفا * ومنها عشرة الاف مدرجة فى اللطيفة الخفية ولونها مثل لون السبنجل المصقل وفى هذا المقام يصل على اللطيفة الانانية الى ينبوع الحياة * ومنها عشرة الاف موجودة فى اللطيفة الحقية التى قامت بها هذه اللطائف لونها اخضر تقر به الاعين وتفرح به القلوب وهو لون حياة القلب ومن وراء هذه الاستار يظهر انوار اللطائف السبع فيشاهد فى اللطيفة القالبية الجن وفى اللطيفة النفسية يشاهد الجنة * وفى اللطيفة السرية يشاهد الملائكة * وفى اللطيفة الروحية يشاهد الاولياء * وفى اللطيفة الخفية يشاهد الانبياء * وفى اللطيفة الحقية يشاهد نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ثم يتجلى نور الانوار فيهلك فى نوره جميع الانوار وينتهى السلوك فى هذا المقام ويتبدل الستر بالجذبة الجلية التى لا تحصل الا بمتابعة سيد البرية ثم يفتح له باب المكاشفات وتفاض عليه الحقائق ثم يكاشف بصريح الحق فى كل شئ رزقنا الله تعالى ذلك بمنه وفضله وكرمه (وتجلى) اى تنكشف * (ومشاهد) جمع مشهد والمشهد كما فى الصحاح والقاموس محضر الناس واراد به هنا محل شهود الحق جل جلاله * وحاصل معنى البيت ان هذا المرشد والمفهم فى بيداء السلوك والمجد يسوس باشخاص المريدين ويسير بقلوب السالكين حيث ما تبدو الانوار وتجلى مشاهد الاسرار لينا لوا بذلك المطلوب ويشاهدوا هنالك المحبوب ولعمرى انه كما ذكر وفوق ما سطر فانكم ظهرت امارات ذلك على كثير ممن يحوم حول حماه ويستضئ بنور ارشاده اذا احلولك ليل الغواية بظلماه فجزاه الله تعالى خيرا عن المسلمين * واسكنه فى مقعد صدق مع النبيين والمرسلين ووفقنا لمثل ذلك وارشدنا للسلوك فى هاتيك المسالك * * * *

قال الناظم

اخي خالد مشكاة كل فضيلة ... وبدر كمال نوره متزايد

اقول (اخي) اما مبتدأ وخالد بدل منه ومشكاة خبره واما منادى حذف منه حرف النداء وخالد مبتدأ ومشكاة خبره فهو مثل ومنا امير المؤمنين شبيب وهو المعنى اللائق بالمقال كما لا يخفى على من اطلع على حقيقة الحال * نعم قال لي الناظم انما اردت المعنى الاول فقلت ان حضرة الشيخ اعظم من ان يكون اخاك واجل فقام عني مغاضبا وقل ما يترك الحق لقائله صاحبا والاخ قال في الصحاح اصله اخ بالتحريك لانه يجمع على اخا مثل اباء والذاهب منه او لانك تقول في التثنية اخوان مثل خربان وخربان وعلى اخوة واخوة بكسر الهمزة وضمها عن الفراء وقد يتسع فيه فيراد به الاثنان كقوله تعالى فان كان له اخوة وهذا كهولك انا فعلنا ونحن فعلنا وانما اثنان واكثر ما يستعمل الاخوان في الاصدقاء والاخوة في الولادة وقد يجمع بالواو والنون قال الشاعر عقيل بن غلفة المزني

وكان بنو فزارة شرقوني ... وكنت لهم كشر بني الاخينا

ولا يقال اخو ولا ابو الا مضافا تقول هذا بوك واخوك ومررت باخيك وابيك ورايت اباك واخاك وكذلك حموك وهنوك وذو مال فهذه ستة اسما لا تكون موحدة الا مضافة واعرابها في الواو والياء والالف فان الواو وان كانت من نفس الكلمة ففيها دليل على الرفع وفي الياء دليل على الخفض وفي الالف دليل على النصب ثم قال وانما قالوا اختم بالضم لتدل على ان الزاهب منه واوضح ذلك فيها دون الاخ لاجل التاء التي تثبت الوصل والوقف كالاسم الثلاثي والنسبة الى الاخ اخوي وكذلك الى الاخت لانك تقول اخوات وكان يونس يقول اختي وليس بقياس انتهى * وذكر العلما ان الاخ يخفف ويشدد كالاب على الصحيح وقد يعرب بالحركات المقدرة مضافا للضمير كقولهم مكره اخاك لا بطل وتمام الكلام فيه يطلب من كتب النحو وقد اشبعنا الكلام في ذلك في حواشينا على شرح القطر لابن هشام (والمشكاة)

الكوة او موضع الفتيلة من السراج (والفضيلة) على ما في الصحاح خلاف النقيصة وفي القاموس الفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل والاسم الفاضلة انتهى وذكر غير واحد من المحققين ان الفضيلة النعمة الغير السيارية والفاضلة هي النعمة السيارية ومقام التمدح هنا يقتضي ان يراد بالفضيلة ما يعم الفاضلة كما لا يخفى واضافة كل الى فضيلة يفيد استغراق الافراد قال العلامة الثاني المحقق التفتازاني كل اذا اضيفت الى المعرف يكون لعموم الاجزاء واذا اضيفت الى النكرة تكون لعموم الافراد ولهذا قيل كل الرمان ماكول صادق وكل رمان ماكول كاذب انتهى قيل وبهذا يظهر سر قولهم بوقوع طلقة واحدة اذا قال لامراته انت طالق كل الطلاق وبوقوع الثلاث اذا قال انت طالق كل طلاق تامل وفيما ذكره العلامة نظر بالنسبة الى اطلاق المعرفة في الاول والاقتصار على النكرة في الثاني والصواب ما في المغني انها لاستغراق افراد المنكر نحو كل نفس ذائقة الموت والمعرف المجموع نحو وكلهم اتيه واجزاء المفرد نحو كل زيد حسن قال فاذا قلت اكلت كل رغيف لزيد كانت لعموم الافراد فان اضفت الرغيف الى زيد صارت لعموم اجزاء فرض واحد انتهى وعلى هذا يكون كل في كل من كل الرمانين ماكول وكل رمان ماكول لعموم الافراد فعلها في الثاني فقط لذلك وفي الاول لعموم الاجزاء وهم على انه لو سلم ذلك لا يصح الحكم بصدق الاول وكذب الثاني لذلك كما لا يخفى قاله بعض المعاصرين ثم الحق ان هذا الحكم اكثري او ان الاصل عند الخلو عن القرائن كما صرح به بعض المحققين وشاع ذلك بين المحصلين فلا يرد انها قد تاتي بعكس ذلك فليحفظ (والبدر) القمر ليلة اربعة عشر وسمي بدرا لمبادرته غالبا الشمس بالطلوع كانه يعجلها للمغيب ويقال سمي لذلك لتمامه وذلك لان القمر على ما قبل ينمو نوره كل ليلة لقربه من العرش فيزداد لذلك نورا فاذا كانت ليلة الاربعة عشر وصل اليه فيكمل نوره ثم يبدو بالبعد عنه فينقص لذلك نوره والشمس تبيت كل ليلة تحت العرش فتهب كاملة النور دائما ولا كذلك القمر وكون ذلك بسبب اختلاف

وضاءه من الشمس مبنى على قول الفلاسفة وقواعدهم ولم يصح فى الشرع شئ من ذلك لكن عبارات كثير من الاسلاميين تنطق بذلك قال ابو السعود العمادى فى تفسير قوله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا الضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالقمر نور ففيه تعاريان نوره مستفاد من الشمس ثم قال بعد ذلك عند قوله تعالى ما خلق الله ذلك الا بالحق ففيه اقوال بان جعلهما على تلك الاحوال والهيئات ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل انتهى وكذا كلام السعد فى المطول يشير الى ذلك وان اعترضه بعض المحققين وكلام الشعراء ايضا يصرح بذلك * *

قال الشاعر

لئن كان لى فضل فمنك اكتسبته ولولاضياء الشمس ما بهر البدر

والله اعلم بحقيقة الحال وعندى لا باس بالقول بان نور القمر مستفاد من ضياء الشمس بل يكاد بعد انكار ذلك كانكار الشمس والقمر ليلة تمه وحديث سجود الشمس كل ليلة تحت العرش صحيح لكنه ينبغى تاويله ضرورة تحقق انها تغرب عن قوم وتطلع على اخرين وفى الحديث ان ذلك عند ما تغرب واول بان ذلك سجود روحانية وعلى هذا النحو عروجها الى العرش وهذا نحو زيارة الكعبة بعض الاولياء مع انها فى موضعها لم تنزعنه فيه شعرة ويقال فى حديث العمرتان صح نحو ذلك فليحفظ وللشعراء كلام كثير فى البدر يعجز عنها نطاق الحصر فمن ذلك للشريف رفتر خوان فى تقابله مع الشمس

تامل اذا ما قابل البدر شمسه صباحا وكل تملا الافق انوارا
كان الذى القى الى الغرب رحلها لحاجته القى الى الشرق دينارا

وللطغرائى فى ذلك ايضا

وكانما الشمس المنيرة اذ بدت والبدر يبحث للغروب ويغرب
متحاربان لذا يحن صاغه من فضة ولذا يحن من ذهب

واما ما ورد فى الهلال فلا يكاد يحصره المقال بحال وفى شرح لامية العجم للصفدى وشرح البديعية لابن حجة نبذة منه فارجع اليهما (والكمال) التمام وفى فعله ثلاثة لغات اردافها الكسر كما فى الصحاح (والنور) بالضم الضوء ايا كان وشعاعه جمعه انوار ونيران قاله فى القاموس وقد يفرق بين النور والضوء كما يفهم من عبارة ابى السعود الماتن آنفا، وبه صرح غير واحد من العلماء والضوء عند معظم الاسلاميين ليس بجسم فقيل كيفية يخلقها الله تعالى عند مقابلة المضئ الزائلة بزوالها وقيل هو مراتب ظهور اللون والقائل بذلك ادعى ان الظهور المطلق هو الضوء والخفا المطلق هو الظلمة والمتوسط بينهما هو الظل* وتختلف مراتبه بحسب القرب والبعد من الطرفين فاذا الف الحس مرتبة من تلك المراتب ثم شاهد ما هو اكثر ظهورا من الاول حسب ان هناك بريقا ولمعانا وليس الامر كذلك بل ليس هناك كيفية زائدة على اللون الذى ظهر ظهورا تم فالضوء هو اللون الظاهر على مراتب مختلفة لا كيفية موجودة زائدة عليه ويبطل هذا القول ان القائل اعترف بان امرا متحدا فلا يكون الضوء نفس اللون ولانه مشترك بين الالوان فلا شك انها غير متشاركة فى الماهية بل متخالفة فيها فلا يكون الضوء نفسها وبان البلور فى الظلمة اذا وقع عليه ضوء يرى ضوءه دون لونه اذ لا لون له وكذلك الماء وايضا لو كان عين اللون لكان بعضه ضد البعض لكنه باطل اذ لا يقابله الا الظلمة وزعم بعض الحكماء الاقدمين بان الضوء اجسام صغار تنفصل من المضئ وتتصل بالمستضئ ويبطله انها اما غير محسوسة والضرورة تكذبه او محسوسة فتستر ما تحتها فيكون الاكثر ضوءا اكثر استتارا والمشاهد عكسه وانه لو كان جسما لكان حركته بالطبع اذ لا ارادة ولا قاسر فكانت الى جهة واحدة فلم يقع من كل جهة والتالى باطل ومما يقوى كونه غير جسم ان النور اذا دخل من الكوة ثم سددناها فانه لا يخرج ولا يعدم ذاته والا لزم ان يكون حيلولة جسم بين جسمين معدمة لاحدهما بل كيفية وهو مرادنا واختار الفلاسفة المحدثون انه اجسام

غير موزونة وزعموا مثل ذلك فى الحرادة ودفعوا ما يرد على ذلك واختار الملا صدرا انه اجسام لهية لامادة لها واطال فى اسفاره الكلام فى ذلك * وتحقيق هذا المطلب بماله وما عليه يطلب من شرح المواقف ونحوه ففيه ترى المقاصد (ومتزائد) من الزيادة بمعنى النمو ويقال زاد يزيد زيادة وزيدا وزيدا بالكسر مثله وروى بالوجهين قول الشاعر

وانتم معشر زيد علامات فاجمعوا امركم طرا فكيدونا

لكن المراد من هذا البيت ما هو بمعنى الفاعل كما لا يخفى وفى وصف البدر بتزايد النور مع انه لا يسمى بدرا الا اذا كمل نوره مبالغة لا تخفى * وحاصل معنى البيت على ما يقتضيه المقام ويشهد به الخاص والعام يا اخى وصاحبى ومن تحن اليه فى الوداد ركابى اخبرك بما تهش له الاذان وتبش من اجله الاذهان لاشنف سمعك بغرر درره واطيب فهمك بعبير عنبره والذ ذلك بذكر نعمان واونسك بنغمات هاتيك الالحان واكرر عليك تلك الاخبار واحاديث نجد لا تمل تكرارها الا فقد طار فى الافاق ما اقصه عليك واطلق فى اكناف الطباق ما اقنه بين يديك وهو ان خالدا الولى الكامل جمع كل مفرد من الفضائل ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ولم يدع مرتبة ولا منقبة الا بلغ اقصاها شعر

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

وانه بدر الكمال * الساطع فى افلاك الجمال * المتزايد نوره وان تم شكله وتدويره * وفى الكلام ما لا يخفى على ذوى الافهام * * * قال الناظم

راينا عظيم الهول فى خطبه كما رات بشرها فى الخلد منه الخرائد

قوله (راينا) من الرؤية النظر بالعين وبالقلب ورايته رؤية ورايا وراة ورئيانا قاله فى القاموس ويجوز عند الامام الاشعرى رحمه الله تعالى ومتبعيه تعلق الرؤية بكل موجود كالاصوات والطعوم والروايح والالوان والاكوان وعدم الرؤية الا لبعض الموجودات

كالاجسام عادى ولهذا قالوا يجوز رؤية الله تعالى يوم القيامة للملائكة
ومؤمنى الانس والجن وتحقيقه ان الابصار عبارة عن ادراك تام
وانكشاف بليغ يحصل عقيب فتح البصر وهذا فى الشاهد انما يحصل
بالمحازات والقرب والانطباع عند خروج الشعاع على هيئة مخروط
مستدير راسه عند الحدقة وقاعدته على سطح المرئى ومن هنا ترى
القبة فى الماء كالاجاصه وبيان ذلك يطلب من محله وفى حق الله تعالى
فى الاخرة يحصل هذا الادراك بدون تلك الشرائط ولا يلزم من كون
تلك الشرائط شرائط فى ادراكنا فى هذه النشاة كونها شرائط فى
النشاه الاخرى اذ لاشك فى قدرة الله تعالى على ان يخلق فى البصر
قوة يتمكن بها من ادراك ذاته بدون تلك الشرائط فلا مواد ولا مقابلة
ولا جهة بل هذه ونحوها اسباب عادية فيجوز الابصار بدونها فى
هذه النشاة كما عمى الصين يرى بقة اندلس واستدلوا على جواز
الرؤية بالنقل والعقل فاما النقل فقوله تعالى حكاية عن موسى على
نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام رب ارنى انظر اليك الآية
ووجه الاستدلال ان امران الاول ان سؤال موسى الرؤية يدل
على امكانها لان العاقل لا يطلب المحال فضلا عن النبى ولا مجال للقول
بالجهل لان الجاهل بما لا يجوز على الله تعالى لا يصلح للنبوة اذ الغرض
منها هداية الخلق ولا ريب فى نبوة موسى وانه من اهل العزم الثانى
انه علق الرؤية على استقرار الجبل وهو امر ممكن فى نفسه والمعلق على
الممكن ممكن لان معنى التعليق الاخبار بوقوع المعلق عند وقوع المعلق
به والمحال لا يثبت على شئ من التقادير الممكنة واما النقل فانا نرى
الاعراض والالوان والاضواء وغيرها ونرى الجواهر ايضا فلا بد
من امر مشترك بينهما يكون هو المتعلق الاول للرؤية وذلك الامر اما
الوجود او الحدوث او الامكان والاخيران عدميان لا يصلحان لان
تتعلق الرؤية بهما فلم يبق الا الوجود وهو مشترك بين الواجب
والممكنات فنجوز رؤيته عقلا وما قيل انه يجوز ان يكون الوجود بشرط
الحدوث والامكان او نحوهما لا يوجد فيه تعالى ففيه ان مجموع على

الرؤية يكون عدميا ايضا على ما قيل لكن انت تعلم ان القول باشتراك الوجود
ينافي مذهب الشيخ فانه ذهب الى ان وجود كل شئ عينه وانه لاشتراك
بين الموجودات الا في اللفظ كما هو المشهور وله صاحب المواقف بان
مراد الشيخ انه ليس في الخارج هويتان احداهما الوجود والاخرى الماهية
فالاتحاد بينهما بحسب التحقق لا بحسب المفهوم فلا ينافي اشتراكهما في
مفهوم مطلق الوجود وهذا التاويل في غاية البعد وقال الامدي ان الشيخ
وان انكر الوجود اقام الدليل على سبيل الزام المخالفين القائلين بالاشتراك
وقد ثبت وقوع رويته تعالى في الاخرة بالكتاب والسنة اما الكتاب
فكقوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والنظر في اللغة يكون
بمعنى الانتظار واستعمل متعديا بنفسه كقوله تعالى على ما قيل انظرونا
نقتبس من نوركم اى انتظرونا نقتبس ويكون بمعنى التفكر والاعتبار *
ويستعمل حينئذ بفي يقال نظرت في ذلك الامر اى تفكرت فيه وجاء بمعنى
الرافة والتعطف ويستعمل باللام يقال نظر السلطان لفلان اى راف به
وتعطف وجاء بمعنى الرؤية ويستعمل بالى والنظر في الاية مستعمل بالى
فوجب حمله على الرؤية وليس بمعنى الانتظار والى بمعنى النعمة مفعول به له
لان الاية وردت مبشرة للمؤمنين والانتظار يوجب الغم فلا يناسب سياق
الاية واما السنة فكقوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون
القمر ليلة البدر والمعتمد فيه اجماع الامة قبل حدوث المبتدعين على
وقوع الرؤية وهو مستلزم لجوازه وعلى كون الاية محمولة على الظاهر
المتبادر منها وقد احتج المنكرون بقوله تعالى لا تدركه الابصار لان الادراك
المنسوب الى الابصار هو الرؤية والله تعالى تمدح بكونه لا يرى وما
كان سلبه مدحا يكون وجوده نقصا يجب تنزيه الله تعالى عنه وقد
اجيب عن ذلك بوجوه * الاول ان الادراك هو الرؤية مع الاحاطة
بجوانب المرئي وحقيقة النيل والوصول كقوله تعالى انا لمدركون
اى ملحقون والرؤية المقارنة للاحاطة اخص من الرؤية المطلقة
فلا يلزم من نفيها بالمعنى الاول نفيها بالمعنى الثاني الثاني ان هذه
القضية رفع للايجاب الكلي ولا اقل من احتمال الاية لهذا المعنى بان يعتبر

اولا العموم ثم ورود السلب فيكون سالبة جزئية ومع هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال الثالث انا لو سلمنا ان الاية عامة فى الاشخاص فلا نسلم عمومها فى الاوقات فانها سالبة مطلقة ونحن نقول بموجبها حيث لا يرى

فى الدنيا شعر

ومن قال فى الدنيا يراه بعينه فذلك زنديق طغى وتمردا

على ما ذكره جمع من العلما وما قيل من التمدح ليس دليلا على مطلوبهم بل هو حجة لنا لانه لو امتنعت الرؤية لم يكن فيه تمدح وانما التمدح للتمنع المتفرد بحجاب الكبرياء مع امكان رؤيته ولان عدم رويته فى الدنيا مع كونه اقرب اليهم من حبل الوريد كاف فى التمدح فلا ينافى رؤيته فى الدار الاخرة وذهب بعض السادة الصوفية الى انه سبحانه انما يرى فى الاخرة متجليا بما شاء وكيف شاء واما ذاته تعالى الحق الذى هو الوجود المطلق حتى عن قيد الاطلاق فلا يمكن ان يرى مجردا عن جميع التعينات وقالوا ان ما وقع لنبينا عليه الصلاة والسلام من الرؤية ليلة المعراج كان يخل خاص ولعله اكمل التجليات ومتى كان التجلى فى مظهر فالحكم بالمقابلة ونحوها لذلك المظهر لا غير وسبحان العزيز الحكيم هذا والكلام فى هذا المقام كثير محله كتب العقائد وفيما ذكرناه كفاية (والعظيم) * من عظم الشئ عظما كبر فهو عظيم والعظام مثله بالضم كذا فى الصحاح (الهول) من هاله الشئ يهوله هولا افزعه كهوله فاهتال والهول المخافة من الامر لا يدرى ما هجم عليه منه والجمع اهوال وهول كالهيلة بالكسر وهول هائل ومهول كمقول تاكيد قاله فى القاموس (والخطب) الشان والامر عظم او صغر جمعه خطوب والمراد به هنا الامر العظيم (والبشر) من بشرت الرجل ابشره بالضم بشرا وبشورا من البشرى وكذلك الابشار والتبشير ثلاث لغات والاسم البشارة والبشارة بالكسر والضم يقال بشرته بمولود فابتشر ابشارا اى سر كذا فى الصحاح (والخلد) بضم الخا وسكون اللام دوام البقاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله تعالى وخلده تخليدا والمراد به دار الخلد يعنى الجنة وسميت بذلك لخلود اهلها وعدم فنائهم على ما هو

مذهب المسلمين وكذلك اهل النار وما ينسب الى سيدى محيى الدين فى صحة نسبته اليه ومقال نقل سيدى عبد الوهاب عنه نصوصا ناطقة بخلافه وان صح فهو قول مؤول واما الاستثناء فى قوله تعالى خالدين فيها الا ما شاء ربك فقد ذكر وله وجوها مشهورة فيما بينهم وراية لبعض المعاصرين من الفضلا المحققين توجيها لذلك ايضا زعم انه اخترعه فكره الوقاد وذهنه النقاد * ونصه والذى يلوح لذهنى الكليل * والله سبحانه وتعالى اعلم بمعانى التنزيل * ان الاستثنا فى الموضعين مبنى على الفرض والتقدير ومعنى الا ما شاء الله اى لو فرض ان الله شاء اخراجهم من النار والجنة فى زمان لكان مستثنى من مدة خلودهم ولكن ذلك لا يقع البتة لدلالة القواطع على نفى وقوعه ثم النكتة فى هذا الاستثناء والله تعالى اعلم ارشاد العباد الى تفويض الامور اليه تعالى واعلامهم بانها منوطة بمشيئته يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا حق لاحد عليه ولا يجب عليه شئ كما قال ان ربك فعال لما يريد وعلى هذا يكون المراد بالذين شقوا الكفار فقط فانهم الاحقاء بهذا الاسم على الحقيقة وبالذين سعدوا المؤمنين كافة مطيعهم وعاصيهم فيكون التقسيم فى قوله تعالى فمنهم شقى وسعيد للانفصال الحقيقى ولا ينافيه قوله فى الجنة لانه يصدق بالدخول فى الجملة ولعل هذا التاويل هو الحق الذى لا معدل عنه ان شا الله تعالى وان خلت عنه الدفاتر فكم ترك الاول للاخر انتهى * وكان كثيرا ما يخطر فى ذهنى هذا المعنى ولم اتجاسر على ابدائه لعلمى انى لست من فرسان هذا الميدان ولا من ارباب هذا الشان مع انه لا يخلو عن شئ فتامل فيه ظاهره وخافيه ثم انى ظفرت بمعناه فى معالم التنزيل فخبت من دعوى ذلك المعاصر الجليل ولا اظن فيه الاصالحا فاذا حققت ذلك فاعلم ان المؤمنين كلهم مخلدون فى الجنة بعد ان يعذب عصاتهم بقدر المعصية او يعفو عنهم وان الكفار مخلدون فى النار سواء فى ذلك الكافر المعاند والمبالغ فى الاجتهاد وخالف فى هذا الجاحظ وعبد الله العنبرى قال ان الخلود انما هو فى حق المعاند بن لا المبالغ فى الاجتهاد الساعى بقدر وسعه وان لم يهتد اليه اذ لا تقصير منه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وفى المنقذ

من

مِنَ الضَّلَالِ لِلْغَزَالِي كَلَامٌ يقرب منه بعض القرب وكذا الشيخ الاسلام ابن تيمية فى بعض فتاويه واما الاطفال فالجمهور على ان اطفال المشركين فى النار لما روى ان خديجة رضى الله عنها سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن اطفالها الذين ماتوا فى الجاهلية فقال هم فى النار وقيل من علم الله تعالى منه الايمان والطاعة على تقدير بلوغه فى الجنة ومن علم منه الكفر والعصيان فى النار وقال الامام النووى فى شرح صحيح مسلم الصحيح ان اطفال المشركين من اهل الجنة وقالت المعتزلة انهم لا يعذبون بل هم خدم اهل الجنة لقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يجزون الا ما كنتم تعملون قال بعض المدققين وهذا الدليل لا يدل على كونهم خدم اهل الجنة فلا بد لهم من دليل اخر ثم ان النار سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير * ثم سقر ثم الهاوية وبين العليا والسفلى خمس وسبعمائة سنة واختلفوا فى الجنة هل هى واحدة والاسماء والصفات المتعددة جارية عليها ام متعددة قال جمع بالاول وجمع بالثانى لكنهم اختلفوا بالمقدار فقال بعضهم انها سبع الفردوس وجنة الماوى وجنة الخلد وجنة النعيم وجنة عدن ودار السلام ودار الجلال وبعض انها اربع لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان والله تعالى اعلم (والخرائد) جمع خريدة وتجمع على خرد وخرد والخريدة من النساء الحسنة قال ابن الاعرابى وكل عذراء خريدة وكل لؤلؤة لم تثقب كذلك وقال فى الصحاح ودنما قالوا جارية خرود اى خفرة واراد بالخرائد الحور العين او غيرهن من نساء الدنيا اللاتى يفقهن بما يعطينه من الحسن جزاء على اعمالهن وفى البيت اشارة الى وجود الجنة الان وهو مذهب اهل السنة قالوا الجنة والنار مخلوقتان الان لقوله تعالى اعدت للمتقين واتقوا النار التى اعدت للكافرين وحملهما على التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى مبالغة فى تحققه مثل ونفخ فى الصور ونادى اصحاب الجنة خلاف الظاهر فلا يعدل اليه بدون قرينة على انه من تتبع الاحاديث الصحيحة وجد فيها شيئا كثيرا مما دل على وجودها دلالة ظاهرة نعم لم يرد نص صريح

فى تعيين مكانهما والاكثرون على ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش لقوله تعالى عند سدرة المنتهى الاية وقوله صلى الله عليه وسلم سقف الجنة عرش الرحمن وان النار تحت الارضين لقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين وقالت المعتزلة انهما ليستا مخلوقتين الآن بل يخلقان يوم الجزاء لانهما لو كانا موجودين فاما فى عالم الافلاك او العناصر او فى عالم اخر والكل باطل * اما الاول والثانى فلانه ورد فى التنزيل ان عرض الجنة كعرض السموات والارض فكيف توجد الجنة والنار فيهما معا واما الثالث فانه يستلزم الخلاء بينهما والجواب منع امتناع الخلاء وعلى تقدير التسليم يمكن ان يكون الفرج مملوة بجسم اخر ودلالة الكروية الحقيقية لا تتم حتى يقال ان الجسم الاخر ايضا يلزم ان يكون كرويا فوقوع الفرجة لازم البتة لا يقال ان خلقهما الان خال عن الحكمة والمصلحة اذ هما للجازات ولا مجازاة قبل يوم القيامة بالاجماع لانا نقول لا يجب على الله رعاية المصلحة والحكمة عندنا ولئن سلمنا فلا نسلم انحصار الفائدة بالمجازاة ولئن سلم فلا نسلم انه غير واقع وورد انه قد يفتح للمؤمن فى قبره باب الى الجنة وللكافر باب الى النار وان المؤمن يصل اليه من روح الجنة والكافر يصل اليه المكروه من النار بل قد ورد فى بعض الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات المؤمن اعطى نصف الجنة واراد نصف جنته فلا اشكال وقال بعض اكابر المحققين ان الجنة والنار مخلوقتان الآن لكن فى الجملة على معنى انه لم يتم خلقهما بحيث لم يتجدد فيهما شئ من اجزائهما لما صح انه يضم للنار يوم القيامة البخار الموجودة اليوم فى الدنيا على الارض وانه يغرس للمؤمن فى الجنة كذا شجرة كلما سبح وهلل اوكبر فيجوز ان يقال انهما مخلوقتان الآن ويكون صدق كل على اعتبار فافهم وكذا فى البيت اشارة الى ان خالدا من اهل الجنة ولا ضير فى ذلك بناء على قول كثير من العلماء من صحة اطلاق القول بدخول الجنة على غير المبشرين لقوله صلى الله عليه وسلم من اثنيتم عليه خيرا دخل الجنة وكذا القول بدخول النار لقوله صلى الله عليه وسلم ومن اثنيتم عليه شرا دخل النار وتحقيق المقام يطلب من كتب الكلام والتشبيه

فى قوله كمارات كالتشبيه فى قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وكالتشبيه فى الصلاة الابراهيمية على وجه فيهما * وحاصل معنى البيت * انار ابينا الهول العظيم * والخطب الجسيم * عند حلول المنية ونزول تلك البليه * بساحل هذا الولى الكامل * والعالم الفاضل * كمارات الخرائد سرورها فى جنة الخلد برؤياه * واستهجت الحور بلقياه * وهذا امر لا مرية فيه * ولا شبهة تعتريه * وعد ما حل بجناب الشيخ خطبا انما هو بالنسبة الينا واما بالنسبة اليه * فهو من احب الاشياء لديه كيف لا وهو سبب للقاء مولاه * والتمتع برؤياه * والفوز بالنعيم السرمدى * والبقاء الابدى وكان قدس سره قبل وفاته بايام * يظهر الاستبشار بالوفود على الملك العلام * كما نقل ذلك الثقات من اهل دمشق الشام * فرحم الله تعالى زكى تربته * وحشره فى زمرة احبته وآجرنا على مصيبته * والهمنا الصبر على فرقته * * *

قال الناظم

بذا قضت الايام ما بين اهلها ... مصائب قوم عند قوم فوائد

اقول هذا البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها سيف الدولة * ويذكر فيها بعض غزواته ومطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد ... وان ضجيع الجود منى لماجد

وقبل هذا البيت

فتبكى عليهن البطاريق فى الدجا ... ودمن لدنيا ملقيات كواسد

وبعده

ومن شرف الاقدام انك فيهم ... على القتل موقوف كانك كاسد

(وذا) اسم اشارة يشار به الى المفرد المذكر المحسوس المشاهد وقد ينزل المعقول لنكتة كما هنا منزلته ولقلة المذكر او شرفه لم يوضع للاشارة اليه الا لفظ واحد ولكثرة المؤنث لاستفتاح التصريح بكثرة لفاظ الاشارة اليه فيها ذى وذه بالكسر والسكون والاختلاس وتا وتهو وته كذه ووضعها كلى والموضوع له فيها شخص على ما هو التحقيق عند هم وبيانه من كلام العلامة عبد الحكيم السالكوتى فى حواشيه على المطول

ان الاختلاف لفظى فليراجع فانه غريب (وقضت) اى حكمت ومنه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه ومصدره القضا واصله قضاى لانه من قضيت الا ان الياء لما جاءت بعد الالف همزت واليه تنسب القضية فى اصطلاح المنطقيين وهى من نسبة الكل الى جزئه اذ الحكم جزء منها كذا قيل فتامل (والايام) جمع يوم واصله ايوام فادغم بعد القلب قاله فى الصحاح ويطلق اليوم على مطلق الوقت كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة وعلى اليوم الشائى وقد يقال الشؤنى المشار اليه فى قوله تعالى كل يوم هو فى شان وهو مركب من اثنتى عشرة ساعة مفرقة فى الايام العرفية والليالى وهى ساعات الكواكب السيارة وللشيخ الاكبر رسالة فى ذلك وعلى اليوم الشرعى وهو كالنهار من طلوع الفجر الثانى الى غروب الشمس * وذهب سليمان الاعمش الى انه من اول بزوغ الشمس الى غروبها محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة النهار عجما وان قال بعضهم ولعمرى ان الحديث ان صح معه وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن صلاة النهار عجما فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجما وهى المجهورية والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان مشهودا اى مجهورا به وما جهر به كان حكمه داخلا فى الليل * ويقال انه قيل لابى حنيفة رضى الله عنه الا تمضى الى الاعمش تسلم عليه قال كيف اسلم على من لا صام رمضان قط وقال وكيع سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبى هذا كان مذهب الاعمش وهو الذى روى النساى باسناده الى حذيفة رضى الله عنه قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان هو النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك فى تاريخه الكبير وقد اكد الامام فخر الدين الرازى مذهب الاعمش ونصره ببحث قال فيه لو بحثنا عن حقيقة الليل فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل وجدنا عبارة عن غيبة الشمس بدليل ان الله سمى ما بعد المغرب ليلا بعد بقاء الضوء فيه فثبت ان يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون قبل طلوع الشمس ليلا وان لا يوجد النهار الا عند

طلوع الفجر انتهى قال بعض المحققين قلت الاية الكريمة قد بينت حرمة اكل الصائم فى قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد بينت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح فى غاية مدة اكل الصائم فى الليل والخيط الابيض هو الفجر الثانى الذى يظهر فى الافق من القبلة الى الشمال وليس بالفجر الكاذب الذى يأخذ اولا من ذيل الافق قريبا من ثلثه طولا وهو المسمى ذنب السرحان اورد على ما تقدم ان حديث صلاة النهار عجاوان وكذا حديث صلاة الليل عجاف فى صحته مقال كما اشرنا اليه سابقا وبفرض الصحة الاستدلال بر مبنى على ان مفهوم اللقب حجة ولم يقل بذلك احد من القائلين بالمفهوم الا الدقاق والصيرفى وان جويز منداد ومنصور بن احمد والامام احمد نفسه ونحن من وراء المنع ثم انه ليس معنى مشهودا مجهورا انه عند جمهور المفسرين بل معناه تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار الذين يتعاقبون فينا وخبر النسائى عن حذيفة بعد تسليم سلامته عن العلة محمول على المبالغة فى تاخير السحور جمعا بين الاخبار وكلام الرازى فى الانتصار للاعمش فى غاية الضعف اذ لا يلزم من تسمية ما بعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء ان يكون الطرف الاول من النهار كذلك كما لا يخفى على المنصف وبالجملة لا يتبع الاعمش فى هذه المسألة الا الاعمى وتمام الكلام فى هذا المقام يطلب من كتب الفقه الاعلام واليوم اطلاقات اخر وانهى بعضهم اطلاقاته الى نيف وخمسين اطلاقا واغرب ما فيها اطلاقه على المرتبة وجعل من ذلك ما فى قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام والبحث فى ذلك مجال ولولا خوف الاطالة لذكرت جميع كلامه وما عليه (وبين) قال فى الصحاح بمعنى وسط تقول جلست بين القوم كما تقول وسط بالتخفيف وهو ظرف فان جعلته اسما اعربته تقول لقد تقطع بينكم برفع النون كما قال الهذلى ابو خراش يصف عقابا

فلاقته ببلقعة براح فصادف بين عينيه الحبوبا

وتقول لقيته بعيدات بين اذا لقيته بعد حين ثم امسكت عنه ثم اتيته

وهذا الشئ بين بين اى بين الجيد والردى وهما اسمان جعلا واحدا انتهى
ومهنا بحث نفيس ذكره الحريرى فى درة الغواص فى اوهام الخواص لا
باس بذكره وهو انهم يقولون المال بين زيد وبين عمرو بتكرير لفظة
بين فيهمون فيه والصواب فيه ان يقال بين زيد وعمرو كما قال سبحانه
وتعالى بين فرث ودم والعلة ان لفظة بين تقتضى الاشتراك فلا
تدخل الا على مثنى او مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة
فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدى عن شيئين
وان كانت مفردة وتنوب مناب لفظتين الا ترى انك تقول ظننت
ذلك فتقيم لفظة ذلك مقام مفعولى ظننت وكان تقدير الكلام مذبذبين
بين الفريقين وكشف سبحانه هذا التاويل بقوله تعالى لا الى هولاء ولا
الى هولاء ونظيره لفظة احد فى مثل قوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله وذلك ان لفظة احد تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع
وليست بمعنى واحد يعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبى لستن كاحد
من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءنى احد فقد اشتمل هذا النفى على استغراق
الجنس من المذكر والمؤنث والمثنى والجمع فان اعترض معترض بقول
امرء القيس بين الدخول فحومل فالجواب عنه ان الدخول اسم واقع
على عدة امكنة فلهذا جاز ان يعقب بالفاء كما يقال المال بين الاخوة
فزيد ومثله قوله تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه وانما ذكر السحاب وهو
جمع لانه من قبيل الجمع الذى بينه وبين واحده الهاء وهذا النوع من
الجمع مثل الشجر والسحاب والنخل والنبات يجوز تذكيره وتانيثه كما قال
سبحانه وتعالى فى سورة القمر كانهم اعجاز نخل منقعر وقال تعالى
فى سورة الحاقة كانهم اعجاز نخل خاوية قال الشيخ الاجل الامام
الاجد ابو محمد اطال الله بقاءه وادام رضاه الله برحمته واظن الذى اوهمهم لزوم
تكرير لفظ بين مع الظاهر ما راوه وجوب تكريرها مع الضمير فى
مثل قوله عز وجل هذا فراق بينى وبينك وقد وهموا فى المسالة بين
الموطنين وخفى عليهم الفرق الواضح بين الموضعين وهو ان المعطوف
فى الاية قد عطف على المضمر المجرور الذى من شرط جواز العطف

عليه

عليه عند النحويين من اهل البصرة تكرير الجار فيه كقولك مررت به وزيد
ولهذا لحنوا حمزة فى قرائته واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام حتى
قال ابو العباس المبرد لو انى صليت خلف من قراها لقطعت صلاتى
ومن تاول فيها الحمزة جعل الواو الداخلة على لفظة الارحام واو القسم
لا واو العطف وانما لم يجز البصريون تجريد العطف على المضمر المجرور
لانه لشدة اتصاله بما جره ينزل منزلة احد حروفه او التنوين منه فلهذا
لم يجز العطف عليه كما لا يجوز العطف على التنوين ولا على احد حروف
الكلمة فان قيل كيف جاز العطف على المضمرين المرفوع والمنصوب
بغير تكرير وامتنع العطف فى المضمر المجرور الا بالتكرير فالجواب عنه
انما جاز ان يعطف ذانك المضمران على الاسم الظاهر فى مثل قولك
قام زيد وهو وزرت عمرا واياك جاز ان يعطف الظاهر عليهما
فيقال قام هو وزيد وزرتك وعمرا ولما لم يجز ان يعطف المضمر
المجرور على الظاهر الا بتكرير فى مثل قولك مررت بزيد وبك لم يجز ان
يعطف الظاهر على المضمر الا بتكرير ايضا نحو مررت بك وبزيد
وهذا من لطائف العلوم العربية ومحاسن الفروق النحوية * واقول
قد وهم فى ذلك العامل عامله الله تعالى بعد له فى قوله الذى هو دون
غيره من اهله

وثوران حاطا بهذا الورى ... ثور الثريا وثور الثرى
فمن بين هذا ومن بين ذا ... حمير مسرحة للعرى

ثم قال الحريرى ايضا فى درته ويقولون للمتوسط الصفة هو بين
البينين والصواب هو بين بين اى كما ذكر فى الصحاح وقد كان
الاصل فى هذا الكلام ان يضاف بين فلما قطع عن الاضافة وضم حد
الاسمين الى الاخر وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا كما بنى
العدد المركب نحو احد عشر ونظائره واختيرت له عند بنائه الفتحة
لانها اخف الحركات وليست هذه الفتحة التى فى قولك بين بين من جنس
الفتحة فى لفظة بين عند الاضافة لان هذه فتحة اعراب دلالة اعتقاب
الجر عليها فى مثل قوله تعالى من بين فرث ودم ثم قال ومن خصائص

بين الظرفية ان الضم لا يدخل عليها بحال فاما قوله من قرا لقد تقطع بينكم بالرفع فانه عنى بالبين الوصل كما عنى به الشاعر البعد فى قوله

لقد فرق الواشون بينى وبينها ... فقرت بذاك الوصل عينى وعينها

لان لفظة بين من الاضداد انتهى وفى الصحاح ما يقرب منه وهو من الحسن بمكان * وما الواقعة قيل بين هاهنا موصولة منصوبة بنزع الخافض اى فيما بين اهلها ولا يبعد القول بزيادتها بل المعنى عليه اظهر كما لا يخفى على ذى نظر نعم الشائع زيادة ما بعد بين كقوله

فاستقدر الله خيرا وارضين به ... فبينما العسر اذ دارت مياسير

وبينما المرء فى الاحياء مغتبط ... اذا هو الرمس تعفوه الاعاصير

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته فى الحى مسرور

واورد ابو بكر بن محمد بن القاسم الانبارى لهذا البيت حكاية هى من ظروف الاعاجيب وغير التجاريب فروى باسناده الى هشام بن الكلبى قال عاش عبيد بن سريت الجرهمى ثلاثمائة سنة وادرك الاسلام * فاسلم فدخل على معاوية بالشام وهو خليفة قال حدثنى باعجب ما رايت قال مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميتا لهم فلما انتهيت اليهم اغرورقت عيناى بالدموع فتمثلت بقول الشاعر

يا قلب انك من اسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعك اليوم تذكير

قد بحت بالحب ما تخفيه من احد ... حتى جرت لك اطلاقا محاضير

فلست تدرى وما تدرى اعاجلها ... ادنى لرشدك ام ما فيه تاخير

فاستقدر الله خيرا وارضين به ... فبينما العسر اذ دارت مياسير

الى ان ابيت الى قوله يبكى الغريب البيت فقال لى رجل اتعرف من يقول هذا الشعر قلت لا قال ان قائله هذا الذى دفناه الساعة وانت الغريب الذى يبكى عليه وليس يعرفه وهذا الذى خرج من قبره امسى الناس رحما به واسرهم بموته فقال له معاوية لقد رايت عجبا فمن قائل هذا البيت فقال عمرو بن لبيد العذرى وقيل الميت عمرو ابن لبيد وفى كتاب المعمرين الميت جريث بن خبلة ذكر ذلك الحريرى

فى درته عند تخطئة من قال هو قرابتى ذاكرا ان الصواب هو ذو قرابتى واستشهد بالبيت واورد القصة ولحسنها اوردناها ثم ان الجريرى نوقش فى بعض كلامه السابق فارجع الى شرحه للشهاب الخفاجى ولا تعقل والضمير فى (اهلها) راجع للايام والمراد من الاهل هنا ظاهر وقال المطرزى فى المغرب اهل الرجل اخص الناس به واشترط بعضهم ان يكون الاختصاص بالقرابة ويقال اهل البيت لسكانه واهل الاسلام لمن تدين به واهل القران لمن يقراءه ويقوم به والال بمعناه الا انه خص استعماله بالاشراف وقيل الال فى الاصل الشخص ويسمى الاولاد بذلك لانهم خرجوا من الشخص ثم عموا واستعملوا فى اهل البيت واهل الدين ذكر ذلك العلامة البرجندى قال فى الصحاح الاهل اهل الرجل واهل الدار وكذلك الاهلة قال الشاعر

واهلة ود قد تبزيت ودهم وابليتهم فى الحمد جهدى ونائلى

اى رب من هو اهل للود قد تعرضت له وبذلت له فى ذلك طاقتى من نائلى والجمع اهلات واهالات واهال زاد وافيه الياء على غير القياس كما جمعوا ليلا على ليال وقد جاء فى الشعر على اهال مثل فرخ وافراخ وزند وازناد وانشد الاخفش

وبلدة ما الانس من اهالها ترى بها العوهن من وبالها

اى به اهلها ثم قال وتقول فلان اهل لكذا ولا تقول مستاهل والعامة تقوله انتهى (والمصائب) جمع مصيبة وهى والمصاب والمصوبة الامر المكروه الذى بالانسان وقيل هى فى الاصل ما يصيب الانسان ويصل اليه من مكروه او محبوب ثم خصها العرف بما يصيب من مكروه وجمعها المشهور مصائب وربما جمعت على مصيبات (والقوم) قال فى الصحاح الرجال دون النساء لا واحد له من لفظه قال زهير

وما ادرى وسوف اخال ادرى اقوم آل حصن ام نساء

قال الله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال ولا نساء من نساء وربما

دخل النساء فيه على سبيل التبع لان قوم كل نبي رجال ونساء جمع القوم اقوام وجمع القوم اقاوم قال ابو صخر

فان يعذر القلب المعيشة والصبي فواد لا يعذرك فيه الاقاوم

عنى بالقلب العقل قال ابن السكيت يقول اقائم واقاوم والقوم يذكر ويؤنث[٣] مثل رهط ونفر وقوم قال الله تعالى وكذب به قومك فذكر وقال كذبت قوم نوح فانث فان صغرت لم تدخل عليها الهاء وقلت قويم ورهيط ونفير وانما يلحق التانيث فعله وتدخل الها فيما يكون فيه لغير الآدميين مثل الابل والغنم لان التانيث لازم له واما جمع التكسير مثال جمال ومساجد فان ذكر وانث فانما تريد بجمع اذا ذكرت وتريد الجماعة اذا انثت انتهى وقوم الرجل اقرباؤه والذين يجتمعون معه في جد واحد وقد يطلق على الاجانب توسعا ومنه قوله تعالى يا قوم اتبعوا المرسلين على ان القائل كان مقيما بين اولئك ولم يكونوا ذوي قرابته وكانه انما سمي القوم قوما لقيامهم بالعظائم والمهمات (وعند) مثلثة العين وهي ظرف تستعمل في المكان والزمان تقول عند الليل وعند الحائط الا انها ظرف غير متصرف لا تقول عندك واسع بالرفع وقد ادخلوا عليه من حروف الجر من وحدها كما ادخلوها على لدن قال تعالى رحمة من عندنا وقال من لدنا ولا يقال مضيت الى عندك ولا الى لدنك قاله في الصحاح وانما اختصت من بذلك لانها ام حروف الجر ولام كل باب اختصاص فتمتاز به وتنفرد بخصوصيته كما اختصت ان المكسورة بدخول اللام في خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضي خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر قال غير واحد ولا يرد ما تقدم قول الشاعر

كل عند لك عندي لا يساوي نصف عندي

لانه كقوله

ليت شعري واين مني ليت ان ليتا وان سوف عناء

[٣] لان اسماء الجمع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت للآدميين تذكر وتؤنث

هذا وقد ذكروا ان عند تستعمل لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندى زيد افضل من عمرو وبمعنى الملكة كقولك عندى مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندى افضل من عمرو اى فى حكمى وبمعنى الفضل والاحسان كما قال تعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما السلام فان اتممت عشرا فمن عندك اى من فضلك واحسانك وتاتى لغير ذلك كما لا يخفى على المتتبع وحاصل معنى البيت ظاهر فلا يحتاج لذكر ذاكر وفى هذا البيت من انواع البديع ارسال المثل وهو عبارة عن ان ياتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت او غير ذلك مما يحسن بالتمثيل كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها * وقوله

زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه ... وتغرس الا فى منابتها النخل

وقول بشار

فعش واحدا او صل اخاك فانه ... مقارف ذنب مرة ومجانبه

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى ... ظمئت واى الناس تصفو مشاربه

وللمتنبى من ذلك شئ كثير وذكر ابن ابى الاصبع انه استوعب امثاله فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربع مائة بيت فمن ذلك قوله من قصيدة وذكروا انه هو الذى ادعى بها النبوة

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى ... عدوا له ما من صداقته بد

وقوله فى القصيدة التى هذا البيت من شروحها

اهم بشئ والليالى كانها ... تطارد فى عن كونه واطارد

وقوله

وحيد من الخلان فى كل بلدة ... اذا عظم المطلوب قل المساعد

وقوله

ولكن اذا لم يحمل القلب كفه ... على حاله لم يحمل الكف ساعد

وقوله

وكل سرى طرق الشجاعة والندى ... ولكن طبع النفس للنفس قائد

وقوله

وان قليل الحب بالعقل صالح وان كثير الحب بالجهل فاسد

وله من امثال ذلك شئ جليل * ومالابى الطيب وامثاله مثيل * ولقد صدق فيما يقول

وما الدهر الا من رواة قصائدى اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

فسار به من لا يجر بسير مسهرا وغنى به من لا يغنى مغردا

ودع كل صوت غير صوتى فانى انا الصائت الحكى والاخر الصدى

ولولا حذر الاطناب لاتينا من كلامه بالعجب العجاب وفى الكلام غير ما ذكرنا من انواع البديع فافهم ان كنت ذا ذهن رفيع ولشهرة هذا البيت سأغ للناظم تضمينه وذلك ليس من السرقة فى شئ ومثل ذلك كثير واكثر منه تضمين الشطر كما لا يخفى على المتتبع * * *

قال الناظم

دعاه لصقع القدس مولاه عنده فلبّاه سرّا وهو اياه قاصد

اقول (دعاه) ناداه (والصقع) بالضم الناحية ويقال ما ادرى اين صقع اى اين ذهب وفلان من اهل هذا الصقع اى من اهل هذه الناحية والمراد بصقع القدس حضرته تعالى المقدسة (والمولى) له معان قال فى الصحاح المولى المعتق والمعتق وابن العم والناصر والجار * والصهر والولى وكل من ولى امر واحد فهو وليه * وقول الشاعر *

هم المولى وان جنفوا علينا وانا من لقائهم لزور

قال ابو عبيده يعنى الموالى اى بنى العم وهو كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا واما قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها

فيريد انه اولى موضع ان يكون فيه الحرب وعند قوله فغدت تم الكلام كانه قال فغدت هذه البقر وقطع الكلام ثم ابتدأ فكانه قال تحسب كل الفرجين مولى المخافة والمولى الحليف قال

موالى حلف لا موالى قرابة ولكن قطينا يسألون الاناوبا

يقول هم حلفا لا ابناء عم وقول الفرزدق

فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا
لان عبد الله بن ابى اسحاق مولى الحضرميين وهم حلفاء بنى عبد شمس بن
عبد مناف والحليف عند العرب مولى وانما قال مواليا فنصبه لانه
رده الى اصله للضرورة ولم ينون لانه جعله بمنزلة غير المعتل الذى لا
ينصرف والنسبة الى المولى مولوى انتهى والمراد بالمولى هنا الناصر
او من ولى امره وزعمت الشيعة ان من جملة معانى المولى الاولى بالتصرف
ولهذا جعلوا حديث الغدير قطعيا فى امامة على رضى الله تعالى عنه
وهو ما رواه بريدة ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان بغدير خم
حين رجوعه من حجة الوداع اخذ بيد على كرم الله وجهه فحضر من
الصحابة وقال يا معشر المسلمين الست اولى بكم من انفسكم قالوا بلى
قال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وذكروا فى الاستدلال ان المولى بمعنى الاولى فى التصرف وكونه اولى
بالتصرف عين الامامة ولا يخفى ان اول الغلط فى هذا الاستدلال انكار
اهل العربية قاطبة ثبوت ورود المولى بمعنى الاولى بالتصرف بل
قالوا لا يجئ قط مفعل بمعنى افعل الا ان ابا زيد اللغوى جوز ذلك
متمسكا فيه بقول ابى عبيدة فى تفسير قوله تعالى هو مولاكم اولى بكم
لكن جمهور اهل العربية خطأوه قائلين لو صح هذا القول لزم ان يقال مكان
فلان اولى منك مولى منك وهو باطل بالاجماع وتفسير ابى عبيدة
بيان لحاصل المعنى والثانى ان المولى لو كان بمعنى الاولى ايضا لا يلزم
ان يكون صلة بالتصرف اذ يحتمل ان يكون المراد اولى بالمحبة او التعظيم
* والثالث ان القرينة البعدية تدل صراحة على ان المراد بالولاية للمفهومة
المحبة وهى قوله اللهم وال من والاه وعاد من عاداه والا لقال اللهم
وال من كان فى تصرفه وعاد من لم يكن كذلك فذكر المحبة والعداوة
دليل صريح على ان المنوى ايجاب محبته والتحذير عن عداوته ولو كان المقصود
من الحديث بيان الخلافة لصرح بذلك صلى الله عليه وسلم ولقال
ايها الناس ان عليا والى امركم من بعدى والقائم فى الناس بامرى وبعدى
رد الحسن المثنى بن الحسن السبط الاكبر رضى الله عنه على من زعم

ان الحديث يدل على الخلافة كما رواه عنه ابو نعيم ووجه تخصيص الامير بالذكر دون غيره ما علمه عليه الصلاة والسلام بالوحي من وقوع الفساد والفتن في زمان خلافته وانكار بعض الناس لامامته لا يقال ان قوله في صدر الحديث الست اولى بالمؤمنين من انفسهم يدل على ان المولى الاولى بالتصرف لانا نقول اى حاجة الى حمل الاولى على معنى الاولى بالتصرف بل هو ايضا بمعنى الاولى بالمحبة وحاصل المعنى يا معشر المسلمين انكم تحبوني ازيد من انفسكم فمن يحبني كذلك يحب عليا اللهم احبب من احبه وعاد من عاداه وهو كلام منتظم غاية الانتظام كما لا يخفى على ذوى الافهام ومن العجائب ان بعض المدققين من الشيعة اورد دليلا على نفي معنى المحبة وهو ان محبة الامير امر معاد حيث كان ثابتا في ضمن اية والمؤمنين والمؤمنات بعضهم اولياء بعض فلو افاد هذا الحديث ذلك المعنى ايضا كان لغوا ولا يخفى فساده والجواب انكم فرق بين بيان وجوب محبة احد في ضمن عموم شئ وايجاب محبته بخصوصه ولو فرض اتحاد مضمون الاية والحديث لا يلزم ايضا قباحة لان وضيفة النبي صلى الله عليه وسلم تاكيد مضامين القران كما هو ظاهر لمن له عينان وايضا عند الشيعة التنصيص على امامة الامير كان مرارا فيلزم عليهم ما زعموا لزومه علينا ولكن من يضلل الله فما له من هاد وفي هذا المقام للشيعة روايات تعد عند العلما من الترهات ولو لا خوف الاطناب لاوردناها ورددناها على وجه يتضح به الصواب ويكشف النقاب ويزيل الارتياب وقد اودعنا عندك ما تعلم منه وضمير (عنده) للمولى والظرف في موضع الحال من صقع القدر (فلباه) اى اجابه اجابة بعد اجابة والمراد اجابه على اتم وجه او قال له لبيك قيل وهو من البر الرجل بالمكان اذا اقام به ولب لغة فيه فمعنى لبيك انا مقيم على طاعتك اقامة بعد اقامة والتثنية فيها مثلها في قوله تعالى فارجع البصر كرتين من حيث انها لم يقصد بها سوى التكرار اى كرة بعد كرة يشعر بذلك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ونصبه على المصدرية كحمدا وشكرا وفي المصباح اصل نبيك لبين لك فحذفت النون للاضافة بعد حذف حرف الجر وعن يونس انه ليس مثنى بل اسم

مفرد يتصل بالضمير بمنزلة على ولدى اذا اتصلا به وانكره سيبويه وحكى من كلامهم لبى زيد بالياء مع الاضافة الى الظاهر وانشد للاسدى

دعوت لما نابنى مسنور فلبى فلبى يدى مسور

وهو يدل على انه ليس مثل على ولدى وتمام الكلام فى محله (والسر) قال فى القاموس مايكتم كالسريرة جمعه اسرار وله اطلاقات اخر وجوز ان يكون المراد هنا الباء خفية حيث لم يشعر الناس وان يكون المراد لباه فى سره اى قلبه او السر الذى هو احد اللطائف الخمس وقيد التلبية بذلك للاشارة الى انه فى جميع احواله ابعد عن الرياء فتدبر وهو ضمير منفصل مرفوع المحل وقد تشدد واوه كما فى قوله

وان لسانى شهدة يشتفى بها وهو على من صبه الله علقم

وتمام الكلام فى صحاح الجوهرى فارجع اليه ان لم تغنك كتب النحو (والقصد) اتيان الشى ويقال قصدته وقصدت اليه والكل من باب ضرب طلبته بعينه وفى مفردات الراغب القصد استقامة الطريق يقال قصدت قصده اى نحوت نحوه انتهى وجمع القصد على مافى مجمع البحرين موقوف على السماع واما المقصد فيجمع على مقاصد وفى جواز نسبة القصد مصدر المبنى للفاعل اليه تعالى تردد وينبغى ان لا يتردد فى ذلك اذا اريد منه الارادة او نحوها نعم لم يسمع ذلك عن الشارع عليه الصلاة والسلام ولا اهل القرون الثلاثة والله تعالى اعلم والظاهر ان الدعاء والتلبية كنايتان عن تعلق الارادة وقبول مقتضاها او عن نحو ذلك ويحتمل ان يراد بالدعاء امره تعالى اياه قدس سره بالامر التكوينى بناء على مذهب السلف من انه لا يوجد شئ الا بكن اى بهذا اللفظ حقيقة ومما قاله الرازى فى رد ذلك مردود بعد امعان النظر وبالتلبية التكوين وكونها اجابة بعد اجابة من حيث انه كان عن قوة استعداد وفى البيت اشارة الى انه قدس سره بعد انقطاع تعلق روحه الطيبة عن بدنه الشريف ووفاته صار فى مقعد صدق عند مليك مقتدر وفى مستقر الارواح بعد مفارقة الابدان خلاف وقد استوفى الكلام

فى ذلك السفار بين فى البحور الزاخرة * وذكر بعضهم ان منها كارواح بعض الكاملين مما هو جوال فى عالم الملك والملكوت وربما يتطور بما اذن الله تعالى ان يتطور به وهل تكتسى الروح بعد المفارقة وخلعها ثوبها المنسوج لها من غزل العناصر قال الشيخ ابراهيم الكورانى على ما رايته فى بعض رسائله نعم تكتسى بدنا مثاليا تتعلق به الله اعلم بحقيقته وفى تقديم المعمول فى قوله وهو اياه قاصد اشارة الى ان المرئى قدس سره ممن لا يلتفت الى السوى وليس ممن قصده الحور والولدان وسائر ما اعد من النعيم فى جنة المأوى * وحاصل معنى البيت ان هذا الحبيب الذى يسر له فى هذا العصر ضرب * دعاه مولاه الى مرابع القدس ومراتع الانس فلبّاه سرا واطاع على اتم وجه له امرا وقصده ولم يقصد سواه * وسار اليه ولم يعرج على حمى غير حماه * * *

قال الناظم

نحاه ولا ينحو سواه وانه اليه به منه عليه لوافد

اقول (نحاه) من النحو بمعنى القصد ومنه سمى العلم المخصوص نحوا وذلك لان عليا رضى الله عنه لما اخبره ابو الاسود بما سمع من قراءة بعض الناس ان الله برى من المشركين ورسوله بالجر قرر له كلاما واعطاه اياه وقال انح هذا النحو وهذا ما ذكره بعضهم فى سبب وضع النحو واخرج ابو بكر محمد بن القاسم الانبارى فى امالية والحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن ابن ابى مليكة قال قدم اعرابى فى زمن عمر رضى الله عنه فقال من يقرئنى مما انزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم فاقراه رجل براءة فقال ان الله برئ من المشركين ورسوله بالجر فقال الاعرابى او قد برئ الله تعالى من رسوله ان يكن الله برئ من رسوله فانا ابرء منه فبلغ عمر مقالة الاعرابى فعلاه فقال اتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا امير المؤمنين انى قدمت المدينة ولا علم لى بالقرآن فسألت من يقرئنى فاقرانى هذا سورة براءة فقال عمر ليس هكذا يا اعرابى فقال كيف هى يا امير المؤمنين فقال ان الله برئ من المشركين ورسوله فقال الاعرابى وانا والله ابرئ

مما يرى الله ورسوله عنه فامر عمر رضى الله عنه ان لا يقرا القران الا عالم باللغة وامر ابا الاسود الدؤلى فوضع النحو وقال ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجى النحوى فى امالية باسناده الى ابى الاسود قال دخلت على امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فرايته مطرقا مفكرا فقلت فيم تفكر يا امير المومنين قال انى سمعت ببلدكم هذا لحنا فاردت ان اصنع كتابا فى اصول العربية فقلت ان فعلت هذا احييتنا وبقيت فينا هذه اللغة ثم اتيته بعد ثلاث فالقى الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف فالاسم ما انباء على المسمى والفعل ما انباء عن حركة المسمى والحرف ما انباء عن معنى ليس باسم ولا فعل ثم قال ائتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا ابا الاسود ان الاشياء ثلاثة ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال ابو الاسود فجمعت منه اشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها ان وان وليت ولعل وكاد ولم اذكر لكن فقال لم تركتها فقلت لم احسبها منها قال بل هى منها فزدها وقيل ان الواضع لعلم النحو ابو الاسود بامر زياد وقيل بامر عبيد الله بن زياد لكن المشهور انه بامر على رضى الله عنه وقد كان ابو الاسود من شيعته كما نص عليه الهندى فى التحفة الاثنى عشرية وزياد وابنه بعيد ان عن التوفيق لمثل هذه الصدقة الجارية * واخرج ابو طاهر فى النحويين عن ابى عبيدة معمر بن المثنى انه قال اول من وضع النحو ابو الاسود الدؤلى ثم ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبد الله بن اسحاق قال ووضع عيسى بن عمر فى النحو كتابين سمى احدهما الجامع والاخر المكمل وقال الشاعر

بطل النحو جميعا كله ... غير ما احدث عيسى بن عمر
ذاك اكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

وقد مدح ابو حيان علم النحو بقصيدة ذكر فيها واضعه والسابقين فيه فقال

هو العلم الا كالعلم شئ سترا وده ... لقد فاز بالغنيه وانجح قاصده

وما فضل الانسان الا لعلمه ... وما امتاز الا ثاقب الذهن واقده
وقد قصرت اعمارنا وعلومنا ... يطول علينا حصرها وتكابده
وفي كلها خير ولكن اصلها ... هو النحو فاحذر من جهول تعانده
به يعرف القرآن والسنن التي ... هما اصل دين الله من انت عابده
فناهيك من علم على مشتيد ... مبانيه اعز زبالذي هو شائده
لقد حاز في الدنيا فخارا وسوددا ... ابو الاسود الدئلي فلاحبر حائده
هو استنبط العلم الذي جل قدره ... وطار به للقرب ذكر تعاوده
وسار عطاء بخله وابن هرمز ... ويحيى ونضر ثم ميمون ناهده
وعنبسة قد كان ابرع صحبه ... فقد قلدت جيد المعاني قلائده
ومازال هذا العلم يمنيه سادة ... جهابذة تاتي به وتعاضده
الى ان اتى الدهر العقيم بواحد ... من الازد تمنيه اليه فرائده
امام الورى ذاك الخليل بن احمد ... اقوله بانسبق في العلم حاسده
وبالبصرة الغراقد لاح فجره ... فنارت اداديه وضاءت اباعده
يا ذكى الورى ذهنا واصدق لهجة ... اذا ظن امرا قلت هاهو شاهده
ويا اختص في ذا بل جميع علومه ... تجلت فاعيت كل حبر يجالده
هو الواضع الثاني الذي فاق اولا ... ولا ثالث في الناس يضحى قواصده
وقد كان ربانى اهل زمانه ... صوم قوام الليل راكع ساجد
يقسم منه دهره في مثوبة ... ويشوقا بان الله حق مواعده
فنعام الى الحج وعام لغزوة ... فنعرفه البيت العتيق ووافده
ولم يثنه يوما عن العلم والتقى ... كواعب حسن تنثني وتواهده
واكثر سكناه بقفر بحيث لا ... تشاغله الا الضباوا وابده
ويا قوته الاشعير بسيفه ... بماء قراح ليس تغني موارده
غروبا عن الدنيا وعن زهراتها ... وشوقا الى المولى وما هو واعده
ولما راى في سيبويه نجابة ... وايقن ان الحبن ادنى مباعده
تخيره اذ كان وارث علمه ... ولاضن حتى كانه وهو والده

وسواه اى غيره قال الاعشى

تجانف عن جو اليمامة ناقتي ... وما عدلت عن اهلها السوا كا

وفى سوى بهذا المعنى وكذا بمعنى العدل كما قال الاخفش ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت وقد وقعت سوى هنا مفعولا به ليخو وقد تقع ايضا فاعلا كما فى قوله

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

وفى ذلك كلام للنحويين فارجع اليه (ووافد) اى وراد يقال وفد على الامير اذا ورد عليه والجمع وفد وجمعه اوفاد ووفود والاسم الوفادة وقيد فى الصحاح قوله ورد بقوله رسولا ولا يخفى عدم استقامته هنا وقال الراغب يقال وفد يفد وفادة وهو وافد وهم وفود وهم الذين يقدمون على الملوك مستجيزين الحوائج ومنه الوفد من الابل وهو السابق لغيرها انتهى وجاء من طريق الامامية باعلى الوفد لا يكون الا ركبانا والظاهر ان بيان لحكم وفد المتقين الى ربهم يوم القيامة لا بيان المدلول اللغوى للوفد لان عليا كرم الله وجهه اجل من ان يجهل ذلك مع ان عليه الصلوة والسلام لم يبعث لبيان المدلولات اللغوية فتدبر وقوله اليه برمنه عليه لوافد متعلق بقوله وافد والباء فيه للسببية وفى ذكر اليه وعليه نوع استدراك كما لا يخفى ولعل فى البيت اشارة الى وحدة الوجود فتامل وهذا البيت يشبه قول ابى الطيب

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة سبوح لها منها عليها شواهد

وفى اخلال مثل ذلك فى الفصاحة كلام * وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ قصد مولاه الذى خلقه فسواه وهيأه ان يقصد احدا سواه فى علانيته وبخواه لانه بمعونته ورد عليه وباعانته توجه اليه فليس عنده سوى الله فى سائر احواله ولا يستعين باحد فى مشاق الدهر واهواله وهو ينادى بلسان الحال الذى هو افصح من لسان المقال

لأنت منى قلبى وغاية بغيتى واقصى مرادى واختيارى وخيرتى

وليتامل فى هذا البيت مع سابقه ولينظر فيه مع لاحقه فانه يختلج فى القلب على هذه الابيات الثلاث بعض شئ لا اظنه يخفى على من له ادنى ممارسة بالابحاث * * * *

قال الناظم

وما امر غير الله مدة عمره ... وحاشا وما للغير في السير عابد

قول (امر) من الامر بالفتح بمعنى القصد يقال امه وامه وتامه اذا قصده (وغير) قال في الصحاح بمعنى سوى والجمع اغيار وهي كلمة يوصف بها ويستثنى فان وصفت بها اتبعتها اعراب ما قبلها وان استثنيت بها اعربتها بالاعراب الذي يجب للاسم الواقع بعد الا وذلك ان اصل غير صفة والاستثناء عارض قال الفراء بعض بني اسد وضباعة ينصبون غيرا اذا كان في معنى الا تم الكلام قبلها او لم يتم يقولون ما جاءني غيرك وما جاءني احد غيرك وقد يكون غير بمعنى لا فنصبها على الحال كقوله تعالى غير باغ ولا عاد كانه قال فمن اضطر جائعا لا باغيا وكذلك قوله تعالى غير ناظرين اناه وقوله سبحانه غير محل الصيد انتهى وقد ذكر ارباب العربية ان غيرا متوغلة في الابهام فلا تكتسب تعريفا بالاضافة الا في نحو قوله تعالى غير المغضوب عليهم وما وقعت فيه غير بين متقابلين نص عليه غير واحد (والله) تقدم على سبيل الاختصار الكلام فيه (والمدة) بضم الميم الغاية من الزمان والمكان والبرهة من الدهر قاله في القاموس (والعمر) قال في القاموس بالفتح وبالضم وبضمتين الحياة جمعه اعمار وهو هنا بضم العين وسكون الميم ولا يستعمل في القسم الا المفتوح تقول لعمرك لافعلن كذا في الصحاح وغيره وفي مفردات الراغب العمر والعمر اسم لمدة عمارة البدن بالحياة فهو دون البقاء فاذا قيل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه فاذا قيل بقاؤه فليس يقتضي ذلك فان البقاء ضد الفناء ولفضل البقاء على العمر وصف الله تعالى به وقل ما يوصف بالعمر ثم ان العمر المفتوح العين الساكن الميم يقال للحم الذي بين الاسنان وجمعه عمور (وحاشا) كلمة تنزيه ويقال حاشى لله ولا يقال حاشاك قياسا عليه وانما يقال حاشاك وحاشى لك وتكون للاستثناء كخلا وعدا ولا تدخل عليها في الغالب ما مثلما وتكون بمعنى استغنا كما في قوله ما حاشا فاطمة على رأي ويؤيده ولاغيرها *

(والغير)

(والغير) متعلق بعائد قال الحريرى ومن اوهامهم فعل الغير ذلك فيدخلون على غير الة التعريف والمحققون من النحويين يمنعون من ادخالها عليه لان المقصود من ادخال آلة التعريف على الاسم النكرة ان تخصصه بشخص بعينه فاذا قيل الغير اشتملت هذه اللفظة على ما لا يحصى كثرة ولم تتعرف بآلة التعريف كما انها لا تتعرف بالاضافة فلم يكن لادخال الالف واللام عليها فائدة ولهذا السبب لم تدخل الالف واللام على المشاهير من المعارف مثل عرفة وذكا لوضوح اشتهارها والاكتفاء عن تعريفها بمعرفة ذواتها ونظير هذا الوهم قولهم حضرة الكافر وانما هو كافر بدون تعريف قال الله تعالى ادخلوا فى السلم كافة فالعرب لا تلحق بها لام التعريف كما لم تلحقها بلفظة معا ولاطرا وكذا قولهم فعل ذلك من الراس والعرب كما تقول لا افعله من راس بالتنكير انتهى ملخصا وانا ارى باسا فى ادخال آل على غير فى مثل هذا الموضوع فانها كالعوض من المضاف اليه او عوض عنه اى عن غير الله وقد استعمل ذلك شيخى وسندى علاء الدين على افندى قدس الله روحه واعلى فى الجناب فتوحه فى قصيدته التى مدح بها فخر الوزرا وتاج العلماء داود باشا يسر الله تعالى له من الخيرات ما يشاء وقد ابتهما صدر الدين فى التاريخ الذى الفه له ولم يتم لما اعتراه من نوائب الزمان وعوائق الحدثان وذلك قوله

نجده فى عكاظ الملك مفتخر والغير حاشاه فخار بعسجده

وقوله ايضا فيها

يا من يناظره بالغير من ملك هذا ك ربك ما دير اك كمسجده

(والسير) الذهاب كالمسير والسيار والمسيرة والسيرورة (وعابد) من العبادة وهى الخضوع قال العلامة الثانى السعد التفتازانى فى شرح الاربعين النووية العبادة فعل اختيارى مناف للشهوات المبنى تصدر عن نية يراد بها التقرب الى الله تعالى طاعة للشريعة قال الراغب وهى الغاية القصوى من ابداع الخلق وارسال الرسل وكمل زاد العبد معرفة ازداد عبودية ولذا خص الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم العلم بخصائص ولا ينفك العبد عنها ما دام

حقيقة البرزخ عليه عبودية اخرى كمسائلة الملكين عن ربه ونبيه وفى القيامة يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود واذا دخل الجنة كانت عبوديته سبحانك اللهم مقرونا بانفاسه * وفى كلام الصوفية ان العبادة حفظ الحدود والوفاء بالعهود وقطع العلائق والشركا عن كل شرك والغناء عن مشاهدتك فى مشاهدة الحق ولها ثلاث مراتب لانه اما ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة فى الثواب وهو المسمى بالعبادة وهذا لمن له علم يقين او يعبد الله تشرفا بعبادته وقبول تكليفه وتسمى بالعبودية وهذا لمن له عين اليقين او يعبده لكونه تعالى الها وكونه هو عبدا والالهية توجب العبودية والعبودية وتسمى بالعبودية وهذا لمن كان له حق اليقين انتهى وهذا معنى ما قاله بعضهم العبادة هى غاية التذلل للعامة والعبودية للخاصة الذين صحوا النية الى الله تعالى بصدق القصد اليه فى سلوك طريقه والعبودية الخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة لله تعالى فى خدمته فهم يعبدونه فى مقام احدية الفرق والجمع ولهم فى ذلك عبادات كثيرة مآلها بضرب من المجاز الى ما ذكره العلامة وما ذكره من ان اول المراتب ان يعبده رهبة من العقاب ورغبة فى الثواب اراد به مع اعتقاد الاستحقاق الذاتى اما من عبد الله سبحانه كذلك مع نفى الاستحقاق قائلا لولا العقاب والثواب ما عبدته فهو كافر مخلد فى النار لو مات على ذلك اعاذنا الله تعالى واياكم من المعاطب والمهالك والظاهر ان قوله للغير وقوله فى السير متعلقان بعابد واللام فى للغير للتقوية وتقرب من الزائدة وشجع عليها كون العامل انما عمل لمشابهته الفعل وكون معموله مقدما عليه وان عابد خبر لمبتدا محذوف اى وما هو عابد الغير فى السير ولعله اراد بعبادة الغير ما يعم اراداته والميل اليه فان ذلك فى دين الغرام شرك وعليه قول سيدى عمر بن الفارض قدس سره

ولو خطرت لى فى سواك ارادة ... على خاطرى سهوا حكمت بردتى

وما هو فى حكم العبادة للغير الرياء فى عبادة الله تعالى كما يشير اليه قوله تعالى فى الحديث القدسى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن اشرك

فى عمله

فى عمله احدا فهو لمن اشرك وقوله عليه الصلاة والسلام الرياء شرك خفى فيجوز ان يراد بالعبادة المنفية ايضا ما يعم ذلك والا يكن هذا ولا ذاك لا يكن فى الشطر كثير مدح للمرثى قدس سره لا سيما بعد ان مدحه بالشطر الاول فتدبر * وحاصل معنى البيت ظاهر فافهم *

قال الناظم

مراحل لم يستقصها قط ناسك سواه ولا يرقى لها قط زاهد

اقول اراد هناك اى فى السير (مراحل) وهى جمع مرحلة وهى المسافة يقطعها المسافر عادة فى كل يوم و (لم) لنفى المضارع وجزمه وقلبه ماضيا على المشهور (ويستقصها) اى يبلغ اقصاها واستقصى فلان فى المسئلة وتقصى بمعنى (وقط) مشددة الطا اسم مبنى على الضم مثل حيث ومنذ ومعناها الزمان الماضى ومنهم من يقول قط يتبع الضمة بالضمة وتخفف قط فتكون ح اسما مبنيا على السكون مثل قد وكلهما بمعنى حسب قال الحريرى وقرات فى اخبار الوزير على ابن عيسى انه راى كاتبا يبرى قلما بمجلسه فانكر ذلك عليه وقال مالك فى مجلسى الا القط فقط وقد تدخل نون العماد على قط وقد مع ضمير المتكلم المجرور كما قال الراجز فى قط

امتلاء الحوض وقال قطنى مهلا رويدا قد ملات بطنى

قيل اى قد بلغ من الامتلاء الى الحد الذى لو كان له نطق لقال حسبى وفى معناه ما قيل انه قول بلسان الحال * ومما انشدته من ابيات المعانى

اذا نحن نلنا من ثريدة عوكل فقد نالها ما قد بقى من طعامها

اراد هذا الشاعر بقوله فقدنا اى فحسبنا ثم استانف فقال لها ما قد بقى من طعامها اى لا نرزؤها بر لاستغنائنا عنه واكتفائنا بما نلنا منه انتهى واقول مثل قوله

وعرضن لى بالوصل حتى قلت قد اعرضن عنى

ولك ان تقول هو من باب ما تم شئ الا بدا نقصه واعرضن على الاول فعل امر وعلى هذا فعل مضارع والنون على الوجهين ضمير النسوة

فاعل لما اتصل به فافهم ولهذا كرمثال قد وقد مثلوا بقوله فدنى من نصر الخبيبين قدى (والناسك) العابد وقد نسك وتنسك اى تعبد ونسك بالضم نساكة اى صار ناسكا واكثر ما استعمل النسك فى اعمال الحج وادعى الراغب انه اختص بها والمراد به هنا العبادة مطلقا وشاع عند المتصوفة اليوم ان الناسك هو العابد الذى ليس له باطن ولا وقوف على المقامات ويجعلونه دون السالك الطائر باجنحة العشق الى حظائر القدس وينشدون على ذلك قول سيدى ابن الفارض

تمسك باذيال الهوى واخلع فيا ... وخل سبيل الناسكين وان جلوا

وقال من قال

تمسك باذيال البنى وشرعه ... ولا تستح من قتية خلعوا الحيا

(وسواه) تقدم معناه (ويرقى) من رقيت فى السلم بالكسر رقيا ورقيا اذا صعدت وارتقيته مثله (وقط) الثانية ليست فى محلها فقوله لا يرقى لها قط زاهد على حد قول العامة لا اكلمه قط وقد قال الحريرى هذا من افحش الخطأ لتعارض معانيه وتناقض الكلام فيه وذلك ان العرب تستعمل لفظة قط فيما مضى من الزمان كما تستعمل لفظة ابدا فيما يستقبل منه فيقولون ما كلمته قط ولا اكلمه ابدا والمعنى فى قولهم ما كلمته قط اى فيما انقطع من عمرى لانه من قططت الشئ اذا قطعته ومنه قط القلم اى قطع طرفه ومما يؤثر من شجاعة على رضى الله عنه انه كان اذا اعتلى قدوان اعترض قط فالقد قطع الشئ طولا والقط قطعه عرضا انتهى المراد منه واجاب بعض المعاصرين عما وقع هنا بانه من قبيل المشاكلة مع قط الاولى لانها فى محلها كما لا يخفى فهو على حد قوله تعالى من اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم *

وقوله

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبخه ... قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

وهو كما ترى واقول قد استعمل قط فى مثل هذا الموضع صاحب الكشاف غير مرة وهو اما مر فى العربية لا يسعه ان يكون استعماله كروايته * نعم شنع عليه فى ذلك ابو حيان فى بحره بما شنع فقبصر (والزاهد)

من الزهد وهو كما فى الصحاح خلاف الرغبة تقول زهد فى الشئ وعن الشئ يزهد زهدا وزهادة وزهد يزهد لغة فيه وفلان يتزهد اى يتعبد وقال بعض الصوفية الزهد اسقاط الرغبة عن الشئ بالكلية فلا يفرح بموجود ولا يأسف على مفقود لانه ناظر الى الحقائق وقال القشيرى الزهد ترك الفضلة والبذل على الوهلة وقال الامام حجة الاسلام الزهد عبارة عن فرار الناس عن الدنيا مع القدرة عليها لاجل الاخرة خوفا من النار وطمعا فى الجنة او ترفعا عن الالتفات الى ما سوى الحق ولا يكون ذلك الا بعد انشراح الصدر بنور اليقين ولا يتصور ذلك من ليس له مال ولا جاه وثمرة القناعة من الدنيا بقدر الضرورة من زاد الطريق وهو مطعم يدفع الجوع وملبس يستر العورة ومسكن يصونه عن الحر والبرد واثاث يحتاج اليه انتهى والى ذلك ارشد الامام الشافعى رضى الله عنه حيث يقول

ايا نفس كفيك طول الحياة ... اذا ما قنعت ورب الفلق
رغيف يبيس وماء روى ... وثوب خلق وحفش تكنك جدرانه ... فماذا العناء وماذا القلق

وفى المنازل ما حاصله ان الزاهد اسقاط الرغبة فى الشئ عنه بالكلية وهو على ثلاثة مراتب الزهد فى الشبهة بالحذر عن معتبة الحق عليه ثم الزهد فيما زاد على البلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت بالاشتغال بالمراقبة ثم الزهد فى الزهد باستحقار ما زهدت فيه بالنسبة الى عظمة الرب * وانشدوا

وما الزهد الا فى انقطاع العلائق ... وما الحق الا فى وجود الحقائق
وما الحب الا من كان قلبه ... عن الخلق مشغولا برب الخلائق

والكلام فى الزهد كثير لا ينبغى هذا الموضع بذكره فلنتركه لذلك لان هذا فيه * وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ قطع قدس سره فى سيره مراحل لم يستقصها قط عابد ورقى مقامات لا يرقى اليها ابدا زاهد فهو السابق الذى لا يشق له غبار * والفائق الذى لا تدرك شاوه الافكار

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفر

ثم اعلم ان المقامات فى المشهور قيل ثلاثة وقيل سبعة وقيل عشرة وقد شاع ذلك وذاع وملأ الاسماع * وطبق البقاع * وقد اشبع الكلام فيه ابو القاسم الكاني فى كتابه السير والسلوك الى ملك الملوك * وقد رايت لبعضهم رسالة ترجم فيها مائة مقام وكشف ماهياتها وحقايقها وغايتها ولا باس بذكر شئ منها فنقول قال منها اليقظة وهى انتباه النفس من سنة الغفلة بداعية الموعظة الحسنة بلسان المخيلة الصالحة وحقيقتها نور قدحه زناد الايمان بيد اليقين فى حراق الوهم فاشتعل مصباح البصيرة فى ليل الظلمة الطبيعية وغايتها اعمال النظر فى تحصيل اسباب النجاة ونفس المحاسبة وهى حصر الهفوات النفسانية بضابط القوانين الشرعية وحقيقتها رفع العقل المعيشى الى ميزان الشرع لاعتبار النقص والزيادة وغايتها اخراج اضغان النفس وردعها عن الدعاوى المكدرة لصفا جوهر القربان ومنها التوبة وهى الترك وحده السنيان وغايته الجهل الحقيقى الحاصل عند انعدام الفكر وحقيقتها تجريد النفس عن رعونات الطبع بواسطة تقبيح مخالفات الاوامر الشرعية وغايتها رفض كل نسبة اضيفت لفاعل معتل * والادبة وهى الرجوع عن مرفوض بالترك الى ملحوظ بالقصد * وحقيقتها مراعاة الاصلح واختيار الحسن بالراجحية على القبح بالمرجوحية وغايتها الرجوع عن كل ما صدق عليه التغير الى الذات الموصوفة بسلب الحدوث ونفى العدم والانابة وهى الخروج من القيود والحدود الى الشهود والوجود وحقيقتها تخليص الاسباب الموصلة الى المقاصد الفانية من الثواب المعترضة فى سبل المقاصد وغايتها انقلاب الاعيان * الخلقية عند تجلى الوجودات الحقية والفكرة وهى اعمال النظر فى كيفية وتحصيل مطلوب غلب على الظن حصوله وحقيقتها تحصيل الصور المعنوية وتركيبها وغايتها الاطلاع على عجائب الملكوت بتبصر التصور لبديهى نقل جماعة المثل المعلقة ونقشها فى لوح الخيال باقلام القوة الناطقة والتذكر وهو انكشاف غطاء النسيان بيد القوة الذاكرة

عن طرق القوة الحافظة وحقيقته اخراج السوابق من قوة الفهم الى تصور الذهن وغايته اثارة الشوق الى حصول نتائج المقدمات الروحانية والاعتصام وهو التبرى من الحول والقوة والاعتراف بالعجز وحقيقته التمسك بعروة الاستعانة بالله تعالى على كل قصد وغايته العصمة بشهود الحضرة الالهية عن رؤية تاثير الاسباب وغلبة تصور النسب والاضافات والفرار وهو نفرة الارادة المحكمة عن دعاوى الاوهام الى داعى الالهام وحقيقته هرب يرهب وطلب يطرب وغايته اجابة داعى الله المحيط بكل لسان وسمع والمتجلى من كل وجه وجهة والرياضة وهى نهى النفس الانسانية بنفى عوارض المعارضة والاعتراض لقبول ما لابد منه وحقيقتها نفى حركة النفس بوجد سكينة القلب التى هى زيادة اليقين الذى لايتناهى وغايتها جلاء جوهر النفس بنور العلم والعمل من شوائب الاوهام لتمكين التصور الذهنى من قبول الحق بالحق والسماع وهو اصلاحة القلب لناطق الغيب من وراء حجاب العزة بشرط خمود الحس وانقطاع خير الفكر وحقيقته تمييز الخير المطابق لعينه من عكسه وغايته فهم معانى الكلمات الواجبة المتعلقة بحروف الامكان الكائنة بمداد القول الالهى فى لوح الحدوث المحيط بذات الكثرة التى لاتتناهى بالعدد ولاتنقطع من تواصل المدد والحزن وهو الم يقوم بالنفس لوجود ارادة وفقد وعدم القدرة على تحصيله وحقيقته انكسار القوة النفسانية لاستصعاب اسباب المسير وغايته تلذذ يتذلل لتعزز مطلب لابد منه والخوف وهو الاهتمام بالحذر من وقوع منافر للطبع غالبا وحقيقته الاحجام عن الاقدام على ما غلب على الظن سوء العاقبة فيه وغايته ملاحظة سطوات العز من حضرات تجلى الجلال والاشفاق وهو رقة فى الطبع توجب الحذر مما يظن حصول المشقة بسببه وحقيقته تدور بين الحذر والخشية والترحم وغايته مقدرة البشر بملاحظة تصاريف القدر والنظر الى كل مصنوع صانعه الحق والخشوع وهو اجلال رهبوت يوجب خبوت النفر وخمود الطبع وجمود الجوارح وحقيقته اضمحلال الملكة المحكمة

عند هجوم طوارق العظمة وغايته اعدام ظلمة الامكان عند تجلى انوار الوجود الواجب والاخبات وهو استئناس الطبع المستوحش من شواهد الحق المتواضع المخلص من شوائب العلل وحقيقته استغراق النفس الطبيعية باللذة فى محض العبودية وغايته اقتطاف ثمر الايمان على بساط السكينة والزهد وهو ترك كل ما يشغل عما لابد منه وحقيقته الرغبة عن كل مفتقر فى وجوده للغير وغايته التقانى عن كل ما يجوز هلاكه والورع وهو اجتناب كل ما يفسد انواع القربات ويكدر صفا المعاملة وحقيقته توقى كل ما يحذر منه وغايته تدقيق النظر فى طهارة الاخلاص من نجاسة الشرك الخفى والتبتل وهو لزوم الانقطاع فى خلوة التجلى المطلوب والغلب على الظن حصوله وحقيقته رسوخ قدم صدق الطلب على طريق الاستقامة وغايته استدامة النظر فى حل رموز اسرار القدر والرجاء وهو تعليل النفس ببلوغ المنى وحقيقته تمنى المريد ما ليس فى قوة امكانه وهو انبساط الامل الى ما لا يدرك بعلم وعمل وغايته رغبة الاطماع فى حصول المحجوز عنه بالقطع والرغبة وهى انبساط الامل فى الطلب وقد غلب على المؤمل بلوغ الادب وحقيقته استكثار النفس من حاصل ملائم لا تمل الاكثار منه وغايته الاقدام فى موضع الاحجام بشرط بسط الانس وطى بساط الوحشة والرعاية وهى حراسة مستيقظ لا يتسهل فى حصول اسباب الضيعة وحقيقتها صورة ملحوظ بعين العناية من كل جهاته وغايتها انزال مخصوص بالمحبة منزلة نفس المخصص والمراقبة حذر يمنع صاحبه من الغفلة عن ملحوظ وحقيقتها اعمال الفكر فى استخراج اسباب النجاة وغايتها مطالعة الغيوب فى كل شئ من كل جهاته والحرمة وهى تعظيم مهاب بالغيبة والشهادة وحقيقتها الامتناع من تعدى حد يحذر ما وراءه وغايته حضور ما لا يغيب شاهده ولا يتمكن مخالفته والاخلاص وهو تصحيح القربات من افات علل الالتفات وحقيقته تقديس المحبة من نجاسة الشرك الخفى وغايته استحضار حضرة الواحد الذى

لا يقبل

لايقبل الشوبة ولايشهد مع وجود حكم المعية والتهذيب وهو تسكين النفس من اضطراب الطبع عند طوارق المحن وحقيقته تمرين القوة البشرية على مايليق بالحضرة الالهية من اداب المحاضرة وغايته التسبب في تحصيل مقدمات من الرياضة تنتج حقيقة السلوب عند وجود المطلوب والاستقامة وهي بقاء المامور على ما امر به حسب المراد منه وحقيقتها لزوم الوسط الذي يصفو منه القرب غالبا وغايتها رسوخ القدم على الصراط الذي ينتهي الى الحق والتوكل وهو ترك التدبير اعتمادا على المقادير وحقيقته اسقاط رؤية الاسباب بملاحظة السوابق وغايته تحقق النفس بالعجز من كل وجه مع الثقة بصلاح القدرة للقيام بمصالح الخلق وتبليغ المخصوص من المنح مما ليس في قوة الاجتهاد والتفويض وهو ترك النظر ورد الامر الى منزله وحقيقته تفريج النفس من احكام المعارضة وتحكمات التعليل وغايته الترقي عن حضيض الحطوط الى اوج السمو عن معالجة التدبير والثقة وهي محض اليقين بحصول النجاة من مواطن الهلكة وحقيقتها سكون النفس الى موعد لايعارضها فيه تردد الطبع وتشكيك القياس وغايتها اعتصام بحبل عصمة التوحيد الذي لا يجزه قاطع الشوبة والتسليم وهو انقياد النفس بخطام الطاعة الى قبول ما ورد عليها من الحق وحقيقته وقوف النفس في موقف ترك الاختيار اعترافا بالعجز عن تقويم الامر وغايته اعراض النفس عن التعرض على الاقدار واقرار العقل بعد الاعتراض بالعجز عن مفهوم سر القدر والصبر وهو تحمل المشقة بانتظار الفرج ثقة بصدق الوعد وحقيقته تجرع المكروه المنضر اذا غلب على الظن حصول ما يلائم بهذا السبب وغايته حمل بلا تكلف وكلف بلا تكلف والبقاء في الشيء المستكره مع القدرة على نقيضه والرضا وهو غض بصر الامل عن ملاحظة المزيد على الحاصل في الوقت وحقيقته انقطاع جواد التمني عن مجاراة سوابق الامل وغايته حصول ما لا يسعه لتوسع المال ولا يخطر على قلب بشر بحال *

والشكر وهو الاعتراف بالنعمة والعمل بما يقتضي المزيد من النعم وحقيقته ملاحظة النعمة بلواحظ احترام المنعم وغايته الاقرار بالعجز عن القيام بحق المنعم ومدكف الفقر والفاقة للاعتراف من بحبوحة بحر الفضل والحيا وهو تعظيم حرمة الرقيب الذي لا يجوز عليه الغفلة ويستحيل الستر عنه في حال من الاحوال وحقيقته استعظام سبب يؤدي الى السقوط من عين الكمال بوجه من وجوه التنقيص وغايته اسبال ستر الحسن عند موجبات هتك حجاب السترية وكشف غطاء العورة والايثار وهو شفقة يغيب عنها عن ملاحظة الاولية فيبذل ما مست اليه ضرورة وحقيقته استفراغ الوسع في بذل النصيحة للخلق لموضع حفظ حرمة الحق فيهم وغايته شهود الحق في كل شئ فيميزه على نفسه من كل وجه مع عدم الالتفات لاعتبار الضرورة والخلق وهو تصفي النفس من رعونات الطبع ومجانبة نفقة العادة والتجافي عن مراكنة دواعي الحظوظ وحقيقته العفو مع القدرة لغير علة وحمل الكل عن الخلق وايصال الراحة لهم وعدم الالتفات الى الجزاء وغايته النظر لكل شئ بعين الحقيقة مطلقا والاخذ في كل شئ من الله والعطا في كل شئ بالله والتواضع وهو خفض جناح الذل لعزة الحق ومحق كبر النفس لمباريد عظمة الجبروت وحقيقته اعتراف النفس بالعبودية مع دوام استحضار حضيرة الربوبية وغايته تلاشي النفس المتميزة عند تطلع احاطة الحق في كل شئ والفتوة وهي ان تحقق النفس الانسانية بانها لا تملك شيئا ولا تستحقه وحقيقتها انزال النفس كل شئ منزلته في المعاملة وغايتها النظر للكل بعين الحسن وغض بصر البصيرة عن ملاحظة القبح وتتبع العورة والانبساط وهو اطلاق اساءة النفس من قيود اوهام العقل المستفاد بالوضع وحقيقته خلع عذار الحشمة عند انقطاع اسباب الوحشة على بساط الانس وغايته تفرغ النفس من احوال العبودية وتحكم احكام الربوبية والقصد وهو الهمة الى مطلوب متميز في النفس قد خصصته الارادة بالعزم

على تحصيل الاسباب الموصلة اليه وحقيقته طلب يصحبه صدق يمنع صاحبه من الالتفات لترك شغل او التعلل بعارض يعرض دون حصول المطلوب وغايته تعلق الهمة المنفردة بعين الجمع فى كل وجه من وجوه الفرق لا بطلب محض ولا بترك منسى والعزم وهو جزم الهمة على الشروع فى التوصل الى ما اهمت به وحقيقته حمل النفس على ركوب الاخطار دون ما عز حصوله وغايته قطع الوهم بالقدرة على تحصيل ما لا يقدر عليه بسبب خارج عنه والارادة وهى صفة توجب تخصيص المراد بما يستحيل عند المريد حصول مثله منه لغير من تعلقت به ارادته وحقيقتها عشق يثير شوقا يحمل صاحبه على بذل نفسه طوعا فى مضاة مراده وغايتها استغراق يوجب لصاحبه شهود مراده فى كل شئ فيحمله على الانقياد لطاعته حسب ما شهد والادب وهو ملكة فى النفس تمنعها من تعدى الحد ومخالفة الاذن وحقيقته وقار ينبج للنفس باستعمال مقدمات من الرياضات العلمية والعملية وغايته ذوق يفهم به صاحبه عن الله مراده عنه فى كل حال ومقال ومقام فيكون ابدا بالموافقة على الكشف واليقين وهو تميز العلم الذى لا يحتمل النقيض وحقيقته تصور ينزل المسموع منزلة المشاهد وغايته استغناء النفس من كل مسموع بما حصل منه فى داخل الذهن لان عين الجمع لا يعتبر الخارج لاستغنائه عنه فلا يفتقر الى المطابقة وله مراتب الاولى علمه والثانية عينه والثالثة حقه ومنها غير ذلك ولولا خوف الاطناب والخروج عن عادة الكتاب لذكرنا جميع ذلك ولاشبعنا الكلام فيما هنالك ولاتينا بما للقوم من كلام يشجد له رهبان الاقلام فى صوامع الارقام وعليك بالتامل فيما ذكرناه والتفكر فيما نقلناه وحررناه واقول ان المراحل فى السير الى الله تعالى متناهية وهى فى السير فى الله تعالى غير متناهية فالتفاوت بين الكمل من اولياء الله تعالى انما هو فى كثرة قطع المراحل وقلته فى هذا السير والسالك كلما اوغل فيه ازداد حيرة وهى حيرة يتنافس فيها المتنافسون ولها تغنى سيدى ابن الفارض بقوله * *

زدنى بفرط الحب فيه تحيرا وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

قال الناظم

نفى ظلمة الشرك العميم وقد محا غياهبه كيما تصح العقائد

اقول فى الصحاح (نفاه) طرده تقول منه نفيته فانتفى ونفوه ايضا يتعدى ولا يتعدى قال القطامى

فاصبح جاركم قتيلا ونافيا اصم فزادوا فى مسامعه وقرا

اى منتفيا والنفى من الارض فى قوله تعالى او ينفوا من الارض التغريب عند الشافعيه والحبس عند الحنفيه والادلة فى محلها (والظلمة) * خلاف النور والظلمة بضم اللام لغة فيه والجمع ظلم وظلمات وظلمات

قال الراجز

يجلوا بعينيه دجى الظلمات

وفى المواقف وشرحه الظلمة عدم الضوء عما من شانه ان يكون مضيئا فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة والدليل على انها امر عدمى رؤية الجالس فى الغار المظلم الخارج عنه اذا وقع على الخارج ضوء ولا عكس وما هو الا لانه ليس الظلام امرا حقيقيا قائما بالهواء مانعا من الابصار اذ لو كان كذلك لم ير احدهما الاخر اصلا لوجود العائق عن الرؤية بينهما فتعين انه عدم الضوء وح ينتفى شرط كون الجالس فى الغار قريبا فلا يرى دون شرط كون الخارج قريبا ولذلك اختلف حالهما انتهى * وعلى القول بعدمية الظلمة يفسر خلقها فى قوله تعالى خلق الظلمات والنور بقدر كما قيل وذهب بعضهم ان اعدام الملكات تتصف بالمخلوقية فتامل ولا تغفل وتمام البحث هناك (والشرك) الكفر وقد اشرك فلان بالله تعالى فهو مشرك ومشركى * قال الراجز * ومشركى كافر بالعرق * اى بالفرقان وقد ذكروا ان الشرك اكبر وهو ان تجعل لله سبحانه ندا ويخوفك واصغر وهو الرياء روى ابن ماجه بسكون الهاء ان اخوف ما اخاف على امتى الاشراك بالله اما انى لست اقول يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولكن اعمالا لغير الله وشهوة خفية وكثيرا ما يعبر عنه بالشرك الخفى روى الحاكم الشرك الخفى ان يعمل الرجل لمكان الرجل

ومنه على قول من قوله تعالى ومايؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون والاحاديث
في ذلك كثيرة ذكر طرفا منها العلامة ابن حجر في زواجره ثم ان اطلاق الشرك
على مطلق الكفر شائع ومنه قوله تعالى فاقتلوا المشركين وقوله سبحانه
وتعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به وقال بعضهم انه اخص من الكفر
وعليه قوله تعالى ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى
والمجوس والذين اشركوا ومع كونه اخص ينقسم الى شرك في الالوهية
بان يعبد المرء والعياذ بالله تعالى الها اخر كما كانت العرب تفعله وشرك
في الربوبية بان يزعم والعياذ بالله تعالى ان صانع العالم اثنان او اكثر
كالثنوية ولم يكن ذلك في العرب ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله (والعسيم) اراد به العام وفي القاموس العسيم
موضع وبيس البهمي وصميم القوم (ومحا) من المحو وهو اذهاب
الاثر يقال محا لوحه يمحو محوا ومحيه محيا ومحاه ايضا فهو ممحو ومحي
صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها فادغمت في الياء التي هي لام الفعل
وانشد الاصمعي

كما راية الورق المحيا * والمحي انفعل منه وافهمي * لغة فيه ضعيفة
قاله في الصحاح (والغياهب) جمع غيهب وهو الظلمة الشديدة يقال
فرس ادهم غيهب اذا اشتد سواده (وكيما) اي لاجل فكي بمعنى اللام
التعليلية وما مصدرية (وتصح) تصير صحيحة اي سليمة او العقائد
جمع عقيدة وهو ما يعتقده الشخص ويشد قلبه عليه وتطلق
العقائد على علم الكلام وقد ذكروا ان الاحكام الشرعية المأخوذة
من الشرع قسمان احدهما ما يقصد به نفس الاعتقاد كقولنا الله
تعالى قادر سميع بصير وهذه تسمى اعتقادية واصلية وعقائد
وقد دون علم الكلام لحفظها والثاني ما يقصد به العمل كقولنا
الوتر واجب والزكاة فريضة وهذه تسمى عملية وفرعية واحكاما
ظاهرة وقد دون علم الفقه لها وهي لاتكاد تنحصر ومبلغ من يعلمها
التهيؤ التام لها بخلاف العقائد فانها مضبوطة لا تزايد فيها
انفسها وانما التزايد في وجوه استدلالاتها وطرق شبهاتها

وهى اما حقة كالعقائد التى عليها اهل السنة والجماعة وهم الفرقة الناجية
واما باطلة كغالب العقائد التى عليها سائر الفرق من المعتزلة القائلين
بان العباد خالقوا اعمالهم وبنفى رؤيته تعالى وبوجوب الثواب والعقاب
وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطين الغالين فى محبة على رضى الله
عنه القائلين انه الخليفة الحق بعد الرسول صلى الله عليه وسلم بلا
فصل وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطين فى بغضه المكفرين
له وحاشاه ولمن اذنب كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجئة القائلة
بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا تنفع مع الكفر طاعة وهى خمس
فرق والنجارية الموافقة اهل السنة فى عدم خلق العباد لافعالهم
والمعتزلة فى نفى الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية
القائلين بسلب الاختيار والقدرة عن العباد بالكلية اى لا تاثير
ولا مقارنة وهى فرقة واحدة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فى
الجسمية والحلول وهى فرقة ايضا فتلك اثنتان وسبعون فرقة كلهم فى
النار لسوء عقائدهم ومما انطوا عليه والفرقة الناجية هم اهل
السنة البيضا المحمدية والطريقة النقية الاحمدية ولها علما اشتهر
بين المتصوفة ظاهر يسمى بالشريعة مشروعة للعامة وباطن يسمى
بالطريقة منهاجا للخاصة وخلاصة خصت باسم الحقيقة معلما
لاخص الخاصة فالاول نصيب الابدان من الخدمة والثانى نصيب
القلوب من العلم والمعرفة والحكمة والثالث نصيب الارواح من
المشاهدة والرؤية قال القشيرى رحمه الله تعالى الشريعة امر بالتزام
العبودية والحقيقة مشاهدة الربوبية وكل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة
غير مقبولة وكل حقيقة غير مقيدة بالشريعة غير محصولة فالشريعة
قيامك بالامر والحقيقة شهود لما قضى وقدر واخفى وظهر والشريعة
حقيقة من حيث انها وجبت بامره والحقيقة ايضا شريعة من
حيث ان المعارف به سبحانه وتعالى انما وجبت تحليه بامره تعالى

ولله در من قال

الافالزموا سنة الانبياء الافاحفظوا سيرة الاتقياء

ومن يبتدع بدعة لم يكن يوجد دا مرتبة الاولياء

ولهذا البحث تتمة ان شاء الله تعالى وحاصل معنى البيت ان هذا البند المنير والعالم النحرير ازال ظلمة الشرك باسره ومحا غياهبه بانوار سره فكم من مشكل حله ومجمل فصله وشبهة اذهبها وصاحت هذبها ومسائل حررها ومطالب قررها مع عذوبة بيان وحلاوة تبيان * ولطافة معانى ورصانة مبانى

من كل معنى كاد الميت يفهمه لطفا ويعبده القرطاس والقلم

كل ذلك لتصح العقائد وتتم الفوائد والعوائد ويتضح سبيل الحق للسالك ويامن المؤمن من المعاطب والمهالك وقد اتفق لهذا العبد الفقير انى لما قرات حواشى عبد الحكيم السالكوتى على حواشى الخيالى على شرح التهذيب للسنوسية ورايت قوله نقلا عن المحقق الدوانى فى شرح العقائد العضدية ما نصه * اعلم ان مسئلة زيادة الصفات وعدم زيادتها ليست من الاصول التى يتعلق بها تكفير احد الطرفين وقد سمعت عن بعض الاصفيا انه قال عندى ان زيادة الصفات وعدمها وامثالها لا يدرك الا بالكشف ومن اسنده الى العقل فانما يرى ما كان غالبا على اعتقاده بحسب الفطرة ولا ارى باسا فى اعتقاد احد طرفى النفى والاثبات فى هذه المسئلة انتهى حمل شوق عظيم لتحقيق هذا البحث وانه كيف هو عند اهل الكشف الصريح والذوق الصحيح فاجبت ان اسئل الشيخ عن ذلك ليكون مرشدا فى ما تيك المسالك فجبنى حاجب الحياء عن مشافهته والجلوس فى مجلسه المنيف ومكالمته فكتبت اليه ابياتا اسئله فيها واطلب منه تحقيق هذه المسئلة ظاهرها وخافيها فلما فازت الورقة بلثم يديه وتشرفت بحلولها لديه وافتخرت بوقوع نظره عليها وباهت بتوجه فكره اليها نادانى وادنانى وحيانى وبانى وقال لا ينبغى الحياء من اقتناص العلوم واخذ المنطوق منه والمفهوم ففتحت الكتاب بين يديه وقرات العبارة عليه وانا مسند ركبتى بركبتيه وقد جعل راسه فوق راسى لينظر ما فى الكتاب وانى لاجد قلبى من عظيم هيبته قد ذاب فقرر وحرر وبين وفسر وقال الحق المعول عليه القول بزيادة الصفات

وانها ليست عين الذات واتى على ذلك بادلة نقلية وبراهين عقلية مما سمعتها اذنى ولا خطر شئ منها فى ذهنى ورد شبهة المعتزلة وكلما ذكرت دليلا من ادلتهم ابطله حتى صفا الى الحق الحقيق وكرعت حميا الصواب فى كؤس التحقيق فقال هل بقى فى ذهنك شئ من اوهامهم وبقية من كلامهم فقلت لا متعنا الله تعالى بحياتك وارشدنا بانوار هدايتك وسنى كلماتك ثم قال هضما لنفسه وتواضعا مع ابناء جنسه لا تظن انى عرفت ذلك بالكشف ولكن رايته فى كتب المحققين من المتقدمين والمتاخرين ولست من ارباب الكشف وصحبه واهل الذوق وخزيه فقبلت يده ودعوت الله ان يسبل ثوب العافية عليه وامثال ذلك لا يحصى ولا يعد ولا يستقصى فرحمه الله تعالى بما اعلمه وما انجبه وما احلمه

شعر

ويعجز طرف تدرد موعه ... على فضله العالى فتلك دره

قال الناظم

بصيرة القلبية استنهضت به ... الى سبل للشر فيها مراصد

اقول (البصيرة) الاستبصار بالشئ وتطلق على الحجة قال الله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة وعلى ما بين شفتى البيت وعلى غير ذلك وقال بعض العلما البصيرة هى فقد القلب فى حل اشكال مسائل الخلاف مما لا يتعلق به العلم تعلق القطع وحقيقتها نور يقذف فى القلب يستدل به العقل الخابط خبط عشواء على سبيل الاصابة وقد يظلم ليل الحيرة وغايتها النظر الى الحق من الوجه الذى ينظر هو منه اليه انتهى وعدها غير واحد من المقامات (والقلبية) المنسوبة الى القلب وهو كما فى الصحاح الفؤاد وقد يعبر به عن العقل قال الفراء فى قوله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل والقلب فى الانسان كالملك وسائر اعضاء الجسد رعيته قال صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب ولهذا شق صدر النبى صلى الله عليه وسلم اولا فى سنة ثلاث او اربع من مولده

ثم بعد ما تم له أربعون سنة ثم اعيد ليلة المعراج فشق ما بين
المغرة الى العانة واستخرج قلبه الشريف فشق واستخرج منه علقة
وقيل له هذا حظ الشيطان منك ثم اتى بطشت من ذهب مملوة
ماء فغسل وحشي ايمانا وحكمة ثم اعيد ولهذا سر يعرفه العارفون
ويخفاء امره انكر الحديث الشق الملحدون وقال بعض العارفين رحمهم
الله تعالى اجمعين القلب هدف سهام القهر واللطف وهي لطيفة
متقلبة في قبض خالقها فاذا وقعت في بحار النكرات مالت من
تاثير القهريات الى عالم الشهوات وافاضت الى الجوارح مباشرة
الآثام واذا وقعت في بحار المعارف مالت بنعت المحبة والشوق الى
مشاهدة الله تعالى فاستنارت بنورها فنورت العقل والحس
والروح والصورة فيتولد من حسن جوارحها خشوع الصورة
وصلاح الجوارح في خدمته والقلب لغة صرف الشئ الى عكسه ومنه
المقلوب سمي القلب بذلك لكثرة تقلبه قال الشاعر

فسمي القلب قلبا من تقلبه ... فاحذر على القلب من قلب وتحويل

وقال

وما سمي الانسان الا لانسه ... ولا القلب الا انه يتقلب

وله ظاهر وهو المضغة الصنوبرية المودعة في التجويف الايسر
من الصدر وهو محل اللطيفة الانسانية ولذا انست اليه الصلاح
والفساد وباطن وهو اللطيفة النورانية الربانية العالية التي هي
مهبط الانوار الالهية وبها يكون الانسان انسانا وبها يستعد
لامتثال الاوامر والنواهي وبها صلاح البدن وفساده وهي
خلاصة تولدت من الروح الروحاني ويعبر عنها بالنفس الناطقة
قال تعالى ونفس وما سواها والروح قل الروح من امر ربي وهو
مقر الايمان كما ان الصدر محل الاسلام افمن شرح الله صدره للاسلام
والفؤاد محل المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد
انما يتذكر اولوا الالباب اى الذين خرجوا من قشر الوجود المجازي
ونفوا بلب الوجود الحقيقي لكن معرفتها كما هي متعذرة والاشارة

الى حقيقتها على ارباب الحقائق متعسرة وشاع بين الصوفية حديث لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الواديع وهو حديث صحيح عند اهل الكشف وان قال العراقي لم ار له اصلا وقال ابن تيمية هو مذكور في الاسرائيليات وليس له اسناد معروف عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد شيد اركان صحته وشرحه بلا مزيد عليه الشيخ ابراهيم الكوراني في رسالته المسماة بالمسلك الوسط الدانى فارجع الى ذلك ان اردته (واستنهضت) من نهض قال في الصحاح نهض ينهض نهضا ونهوضا اى قام وانهضته انا فانتهض واستنهضته لامر كذا اذا امرته بالنهوض (والسبل) جمع سبيل بمعنى الطريق يذكر ويؤنث قال تعالى قل هذه سبيلي فانث وقال وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا فذكر (والسر) الذى يكتم والجمع اسرار كما تقدم * وقال بعض القوم اسرهو ما يخص كل شئ من الحق عند التوجه الايجادى المشار اليه بقوله تعالى انما امرنا لشئ اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ولهذا قيل لا يعرف الحق الا الحق ولا يحب الحق الا الحق ولا يطلب الحق الا الحق لان ذلك السر هو الطالب له والمحب له والعارف له كما قال عليه الصلاة والسلام عرفت ربي بربي انتهى وقال القاسم الرقام السر ما لطف عن ادراك الروح ويطلق فيقال سر العلم بازاء حقيقة العالم لان العلم عين الحق في الحقيقة وغيره في الاعتبار وسر الحال بازاء ما يعرف من مراد الله تعالى فيها وسر الحقيقة بازاء ما يقع به الاشارة والسر محل المشاهدة والروح محل المحبة والعقل محل المعرفة والقلب محل التعلق والنفس محل التخلق والجسم محل الخدمة وقيل السر ما ليس لك عليه اشراف ويطلق لفظ السر على ما كان مصونا مكتوما بين العبد والرب من المواجيد وعليه يحمل قول من قال اسرارنا بكر لم يفتضها وهم واهم وقال العارف سيدى عمر بن الفارض

ولقد خلوت مع الحبيب وبيننا ... سر ارق من النسيم اذا سرى

وعندهم شئ يقال له سر التجليات وهو شهود لكل شئ في كل شئ وشئ يقال له سر سر الربوبية وهو ظهور الرب بصور الاعيان فهي من حيث

الربوبية وهو وقوفها على
الصور لكونها نسبة لابد لها
من شيئين وشئ يقال له

مظهريتها

مظهريتها للرب القائم بذاته الظاهر بتعيناته قائمة به موجودة بوجوده فهم عبيد مربوبون من هذه الحيثية والحق رب لها فاحصلت الربوبية في الحقيقة الا بالحق والاعيان معدومة وهي عندهم اليوم بحالها في الأزل وشئ يقال له سر الآثار وهي الاسماء الالهية التي هي بواطن الاكوان وشئ يقال له سر السر وهو ما انفرد به الحق عن العبد كما لم يعلم بتفصيل الحقائق في اجمال الاحدية وجمعها واشتمالها على ما هي عليه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وغير ذلك وتحقيقه في محله (والمراصد) جمع مرصد يقال رصده يرصده رصدا والرصد الترقب (وحاصل معنى البيت ان نوره القلبي * واستبصاره الوهبي * اخذ بيده فسار الى الطرق فيها مواضع ترقب منها مكنونات الاسرار * ففاز منها باوفر نصيب * وحاز من قداحها المعلى والرقيب واطلعه ربه على علوم ما دونتها افهام ذوي الافهام * ولا داستها اقدام اوهام اولى الاقدام * وبذلك امتاز على ابناء عصره * وعلماء مصره * فرحمه الله تعالى رحمة واسعة * وجعل روحه في رياض حضرات القدس رائعة * وهذه العلوم المشار اليها هي بعض العلوم اللدنية وتقوى الله اقوى سبب لافاضتها * وفي الحديث من عمل بما علم الله علمه علم ما لم يعلم وفي التنزيل اتقوا الله ويعلمكم الله وليست مما يصطاد بعناكب الافكار * ولو نضبت شباكها طول الليل والنهار بل هي علوم تنال بكف التقوى من عالم السر والنجوى ولذا قال سبحانه وتعالى وقل رب زدني علما * ولم يقل سبحانه تعلم او اكتسب علما او نحو ذلك فافهم هديت لا وضح المسالك

قال الناظم

تقرب من قوس الصعود حمى فلا ... يقاس به الاه والله صاعد

اقول (تقرب) اي دنا من القرب وهو الدنو وللقرب عند السادة الصوفية معنى آخر وهو القيام بالطاعة وهو ملزوم لما ذكرنا والقرب الى الله تعالى يكون بالفرض والنفل * قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه جل وعلا ما تقرب الى المتقربون باحب من اداء ما افترضت

عليه ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا مؤيدا ويروى بلفظ اخر مشهور ومقتضى القرب بالفرائض تجلى الحق له وظهور العبد بحسب الحق غير محدود ولامتناه ومقتضى القرب بالنوافل تجلى الحق للعبد متلبسا بقابليته المحدودة * ورايت فى بعض الرسائل ان بعض اكابر السادة الصوفية فرق بين قرب النوافل وقرب الفرائض بان قرب النوافل يترتب عليه ان يكون الحق سمع العبد الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويداه التى يبطش بها وقرب الفرائض يترتب عليه ان يكون العبد للحق سمعا وبصرا ويدا الى غير ذلك انتهى وهو كلام تقشعر من ظاهره جلود الذين امنوا وعامة ما نقول انه طور وراء طور العقول وحسن الظن بقائله يحكم بانه قصد معنى صحيحا لا تاباه الشريعة الحنفية التى ليلها كنهارها ثم القرب اما غير مفرط وهو مختلف بحسب كثرة النطاعات وقلتها واما مفرط وهو وان كان خفيا يعبر عنه بقاب قوسين وان كان اخفى عبر عنه بادنى ولذا قيل انه قد يطلق القرب على حقيقة قاب قوسين وفى هذا المقام يحصل الاتصال بالحق سبحانه ولكن مع بقاء التميز والاثنينية وفى المقام الاخر وهو القرب الاخفى يحصل الفناء المحض والطمس الكلى المرسوم فيرتفع التميز والاثنينية الاعتبارية هناك وهذا طور ايضا ما وراء طور العقل وبالله تعالى الاعتصام وعليه الاعتماد فى كل مقام وكان مراد الناظم بقوس الصعود مقام قاب قوسين وهو مقام عال جدا حتى قيل لا مقام اعلى من هذا المقام (والقوس) قال فى الصحاح تذكر وتؤنث فمن انث قال فى تصغيرها قويسه ومن ذكر قال قويس وفى المثل هو خير قوس سهما والجمع قسى واقواس وقياس وانشد ابو عبيدة ووزن الاساور القياسا وكان اصل قسى قووس لانه فعول الا انهم قدموا اللام وصيروه قسو على فلوع ثم قلبوا الواو ياء وكسروا القاف كما كسروا عين عصى فصارت قسى على فليع كانت من ادوات الثلاثة فصارت من ادوات الاربعة واذا نسبت

اليها

اليها قلت قسوى لانها فعول فترد ها الى الاصل انتهى (واقتعود) خلاف الهبوط (والحمى) المكان وهو تمييز محول عن فاعل على ما يظهر لى واصل الحمى ما يحمى من الارض لاجل الدواب ويمنع عن دخول الغير وهو غير جائز الا للنبى صلى الله عليه وسلم لقوله لا حمى الا لله ورسوله قاله السعد (ويقاس) من قست الشئ بغيره وعلى غيره اقيس قيسا وقياسا فانقاس اذا قدرته على مثاله وفيه لغة اخرى قسته اقوسه قوسا وقياسا ولا يقال اقسته كذا فى الصحاح فالقياس التقدير والمساواة وفى اصطلاح اهل الميزان قول مؤلف من اقوال متى سلمت لزم عنها لذاتها قول اخر وفى اصطلاح الاصوليين مساواة فرع الاصل فى علة حكمه وهو احسن تعاريفه وله اركان اربعة الاصل والفرع وحكم الاصل والوصف الجامع والكلام فى تفصيل ذلك وبيان انقسام القياس ودليل اثباته طويل جدا فليطلب فى محله وليرجع الى كتاب اعد لمثله وقوله (الاه) من الاغلاط الشائعة فى اشعار المولدين قال الحريرى فى درته ما نصه ويقولون جاء فى القوم الاك والاه فيوقعون الضمير المتصل بعد الا كما يوقع بعد غير فى مثل قولك جاء القوم غيرك فيهسون فيه كما وهم ابو الطيب فى قوله

ليس الاك يا على همام سيفه دون عرضه مسلول

والصواب ان لا يوقع بعد الا الا الضمير المنفصل كما قال الله تعالى امر الا تعبدوا الا اياه والفرق ههنا بين الا وغير ان الاسم الواقع بعد غير لا يقع ابدا الا مجرورا بالاضافة وضمير المجرور لا يكون الا متصلا ولما امتنع ان يفصل بينهما وليس كذلك الاسم الواقع بعد الا لانه يقع اما منصوبا او مرفوعا وكلاهما يجوز ان يفصل بينه وبين العامل فيه ولذا جعل له ضميران متصل ومنفصل الا انه لما اعترضت الا فى الكلام وفصلت بين العامل والمعمول اوقع بعدها الضمير المتصل كما قال سبحانه وتعالى فى الضمير المنصوب ضل من تدعون الا اياه وكما قال عمرو بن معدى كرب فى الضمير المرفوع

قد علمت سلمى وجاراتها ما قطر الفارس الا انا

واما قول القائل

فيا رب لي اذا ما كنت جارتنا الا يجاورنا الاك ديار

فلم يات في اشعار المتقدمين سواه والنادر لا يعتد به فلا يقاس عليه انتهى واقول لا يبعد اغتفاره في الشعر وعند الضرورات تباح المحظورات وهو في اشعار المولدين اكثر من ان يحصى واعظم من ان يستقصى فافهم ذلك عصمك الله وهداك * وحاصل معنى البيت ان جناب هذا الامام والنحرير الهمام * قرب مكانه في صعوده وصار اذ سار قريب قاب قوسين من معبوده فلا يقاس به في حالته ومزيد جلالته الا ابن لخت خالته وفي اثبات القرب له من قوس الصعود نوع ادب مع نور الوجود وبدر السعود افضل كل موجود محمد سيد المرسلين وخاتم النبيين حيث اثبت مقام قاب قوسين لجنابه صلى الله عليه وسلم وعلى اله واصحابه ولم يثبت ذلك للمرئي قدس سره ولان كان ذلك معنى وما يثبت هنا لو اثبت بمعنى ولكن فيه نوع ما من سوء الادب كما لا يخفى على من بلغ في الادب ادنى الرتب والمراد من قوله فلا يقاس به الا نفي القياس بالكلية لا نفي قياس سواه به واثبات قياسه بنفسه ضرورة ان القياس يقتضي مقيسا ومقيسا عليه متغايرين والقول بذلك والتزام التغاير الاعتباري وكفاية في صحة القياس خروج عن ذوق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم

قال الناظم

وشاهد من شمس الحقيقة مشرقا يذوب بسيما الحصا والجلامد

اقول (شاهد) اي عاين (والشمس) كوكب نهاري ينسخ وجوده ظهور الليل قال في الصحاح تجمع على شموس كانهم جعلوا كل ناحية منها شمسا كما قالوا للمفرق مفارق قال الاشتر

حمي الحديد عليهم فكانه ومضان برق او شعاع شموس

انتهى قيل وان الجمع باعتبار التعدد الاعتباري بل هذا هو المشهور * لدى الجمهور والمقول بان كل يوم له شمس تخصه كذا به اظهر من الشمس وجوز ان تكون الافراد فرضية وسميت الشمس شمسا لكونها في وسط

السموات السبع فاشبهت شمسة القلادة وهي الخرزة الكبيرة التي في
وسطها كذا قيل وفيه ان هذا مبني على المشهور من اقوال اهل الهيئة
من انها في السماء الرابعة ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك فلعل الوجه
في تسميتها انها لكبرها بالنسبة الى سائر النجوم تشبه تلك الخرزة
التي في وسط القلادة فانها اكبر ما في القلادة فوجه الشبه الكبر
لا التوسط وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور انها مثل الارض
مائة ونيفا وستين مرة والكواكب اصغرها مقدارا مثل جبل احد
وقيل مثل اعظم جبل في الدنيا وقيل مثل الدنيا ثمان مرات وقدرة
الله تعالى اعظم من ذلك والذي ذهب اليه اهل الهيئة اليوم من
الافرنج ان الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها وانها اعظم
من الارض بألف الف مرة وثلاثمائة وثمانية وعشرين الف مرة وان
لها حركة على نفسها وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفتها التي
يظهر على ظهرها ورجوعه في ازمنة مخصوصة انها تدور على نفسها
في خمسة وعشرين يوما واثنتي عشرة ساعة وجزموا بان ليس لها
حركة حول الارض بل للأرض حركة حولها وان الارض احدى السيارات
وهي عندهم عطارد * والزهرة * والارض * والمريخ * والمشتري * وزحل * وقد
كشفها رجل منهم يقال له اولبوس في حدود سنة الف ومائتين
وثلاثة وعشرين هجرية ويورنوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هارد ق
في حدود سنة الف ومائتين وعشرين ومرريس وقد كشفها رجل
منهم يقال له بياظي في حدود سنة الف ومائتين وستة عشرة
وبلاس وقد كشفها اولبوس ايضا في حدود سنة الف ومائتين
وسبع عشرة والمشترى وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم
يقال له هرشيل في حدود سنة الف ومائة وسبع وتسعين ولم
يعد والقمر من السيارات بل من سيارات السادات لانه يدور
حول الارض دورانها حول الشمس وهو عندهم دون عظم الارض
بتسع واربعين مرة وزعموا ان بعد الشمس عن الارض اربعة وثلاثون
الف الف فرسخ فرنساوي وهي المقدرة بمسافة ساعة وخمسمائة

الف فرسخ ومع هذا يصل نورها الينا فى مدة ثمان دقائق وثلاث
عشرة ثانية وان البعد الابعد للقمر عنها احد وتسعون الفا واربعمائة
وخمسون فرسخا والبعد الاقرب له ثمانون الفا ومائة وخمسة فراسخ
فيكون البعد الاوسط بخوستة وثمانين الف فرسخ وكانوا يزعمون
من قبل ان ليس للشمس حركة على كوكب اخر وانما لها حركة على نفسها
فقط ثم ادركوا على ما نسمع ان لها حركة على كوكب من كواكب الثريا
وجوزوا ان يكون لذلك الكوكب حركة على كوكب اخر ابعد منه وهكذا
الى ما لا يعلمه الا الله تعالى فان سعة الجو غير متناهية عند هؤلاء
وفيها من الكواكب ما لا يتناهى ايضا وزعموا ان من هاتيك الكواكب
ما لا يصل نوره الى الارض فى مائة سنة بل اكثر مع شدة سرعة
حركة الضوء كما اشير اليه انفا فى بيان حركة نور الشمس وهم فى دعوى
عدم تناهى الابعاد كثيرة من فلاسفة الهند المتقدمين وقد
ابطل ذلك فى علم الكلام والحكمة فلا تغفل واحذر كل الحذر من
اعتقاد ما يصادم نصا من نصوص الشريعة الغراء (والحقيقة)
تقدم معناها (والمشرق) موضع شروق الشمس وطلوعها ويوحد
فيراد به الجنس ويثنى فيراد به مشرق الصيف ومشرق الشتاء ويجمع
فيراد به مشرق كل يوم وكذا المغرب وعلى هذا الانحاء الثلاثة ورد فى
كلام الله تعالى العزيز وقد قيل ان فى جبل قاف طاقات فى جهة المشرق
كل يوم تطلع الشمس من واحدة منها وكذا فى جهة المغرب والفجر الصادق
والكاذب مبنى على ذلك قال بعضهم ان فى جبل قاف طاقة اذا حادتها
الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة واذا انعدت المحاذات بطل الضوء
فاذا قاربت الشمس اخرى بدا الضوء الثانى فحصل فجر او نسب الصفدى
هذا القول لبعض الحمقى ثم قال عقبه وهذا من خرافات القول واكاذيب
الاوهام وقد ابطله القرافى ايضا بان جبل قاف لا وجود له وبرهن
عليه بما يرده مما جاء عن ابن عباس من طرق اخرجها الحفاظ وجماعة
منهم ممن التزموا تخريج الصحيح وقول الصحابى ذلك ونحوه مما لا مجال
للرأى فيه حكمه حكم المرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم منها ان وراء

ارضنا بحرا محيطا ثم جبلا يقال له قاف ثم ارضا ثم بحرا ثم جبلا وهكذا حتى عد سبعا من كل واخرج بعض اولئك عن عبد الله بن يزيد انه جبل من زمرد محيط بالدنيا عليه كتف السماء وعن مجاهد مثله وكما اندفع بذلك قوله لا وجود له اندفع قوله اثره ولا يجوز اعتقاد ما لا دليل عليه لانه اراد بالدليل مطلق الامارة فهذا عليه ادلة او الامارة القطعية فهذا تما يكفى فيه الظن كما هو جلى وقال بعض المحققين فى سبب الفجر الكاذب وكونه مستطيلا واعلاه اضوء من باقيه ثم يعقبه ظلمة انه يعرض للشعاع الناشئ عنه الفجر الثانى انعكاس قرب ظهوره كما يشعر به التنفس فى قوله تعالى والصبح اذا تنفس فعند ذلك الانعكاس يتنفس منه شئ من شبه كوة والمشاهد فى المنعكس اذا خرج بعضه دفعة ان يكون اوله اكثر من اخره ثم قال وهذا الكون كلام الصادق قد يدل عليه ولا بنائه عن سبب طوله واضاءته اعلاه واختلاف زمنه وانعدامه بالكلية الموافق للحس اولما ذكره اهل الهيئة القائم عن كل ذلك انتهى وكل ذلك مما ذكره العلامة ابن حجر فى تحفة المحتاج بشرح المنهاج وانا لا اقول اكثر من ان الشمس اذا قربت من الافق الشرقى بخو سبع عشرة درجة ظهر الفجر باذن الله تعالى فهو اثر من اثارها وانكار الامام الرازى ذلك لا يسمع وما ذكره من الشبهة اشبه شئ بالفجر الكاذب وتحقيق سبب الفجر الكاذب مسطور فى كتب الهيئة فارجع اليه ان اردت واراد بمشرق شمس الحقيقة تجليات الذات قبل الفناء التام فى عين احدية الجمع ويحتمل انه اراد غير ذلك فليتامل (ويذوب) مضارع ذاب ذوبا وذوبانا نقيض جمد (والسيما) مقصور العلامة قال الله تعالى سيماهم فى وجوههم من اثر السجود وقد يمد كالسيمياء قال اسيد بن عنقاء الفزارى يمدح عميله حين قاسمه ماله

غلام رماه الله بالحسن يافعا له سيمياء لا تشق على البصر

(والحصا) معلوم جمع حصاة ويجمع على حصيات مثل بقرة وبقرات (والجلامد) جمع جلمود وهو كالجلمد الصخر ويطلق ايضا على الرجل

الشديد وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ عاين من شمس الحقيقة مطلعا باهرا * ومشرقا زاهرا * غير مشرق شمس الحقيقة * الذى يعاينه ويعاينه ارباب الطريقة * كيف وهو مشرق يذوب بسيماه الحصا والجلمود وتميع بسيمياه الحشا والكبود لما فى ذلك من تجليات باهره * ومعاينات قاهره * لا تطيق لحملها رواسخ الرجال ولا يقدر عليها الا من ربته العناية فى حجرها وغذته الهداية من افاويق درها ومن هنا يعلم انه اراد بالمشرق غير ما هو المشهور * وسوى ما هو المسطور * فليفهم * والله سبحانه وتعالى اعلم * * *

قال الناظم

وما بدليل لان ترعاه نسبة اجل بطريق اللم للعلم حاشد

اقول اراد (بدليل الان) البرهان الانى وبطريق اللم البرهان اللمى والفرق بينهما ان الاول هو الذى يستدل فيه بالمعلول المساوى على العلة والثانى هو الذى يستدل فيه بالعلة على المعلول وبعبارة اخرى الحد الاوسط فى البرهان لابد ان يكون علة للنسبة الاكبر الى الاصغر فى الذهن فان كان علة لوجود تلك النسبة فى الخارج ايضا يسمى برهانا لميا لانه يفيد اللمية فى الذهن والخارج كما يقال هذا متعفن الاخلاط محموم فهذا محموم فتعفن الاخلاط علة ثبوت الحمى فى الذهن والخارج جميعا وان كان علة للنسبة فى الذهن دون الخارج يسمى برهانا انيا لانه يفيد انية النسبة اى انها كذا فى الذهن دون لميتها مثل هذا محموم وكل محموم متعفن الاخلاط فهذا متعفن الاخلاط فالحمى وان كانت علة لثبوت تعفن الاخلاط فى الذهن الا انها ليست علة له فى الخارج بل الامر بالعكس قاله غير واحد (والدليل) فى اللغة ما يستدل به والذال وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلالة ودلولة والفتح اعلا وانشد ابو عبيدة * وانى امرء بالطرق ذو دلالة * وفى تعريفات السيد الدليل فى اللغة المرشد وما به الارشاد وفى الاصطلاح هو الذى يلزم من العلم به العلم بشئ اخر والدلالة هى كون الشئ بحالة يلزم من العلم به العلم بشئ والشئ الاول هو الدال

والثانى

والثانى هو المدلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح الاصوليين محصورة فى عبارة النص واشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص ووجه ضبطه ان الحكم المستفاد من النظم اما ان يكون ثابتا بنفس النظم اولا والاول ان كان النظم مسوقا له فهو العبارة والا فالاشارة والثانى ان كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة او شرعا فهو الاقتضاء فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة اى يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تامل كالنهى عن التافيف فى ولا تقل لهما اف فانه يوقف به على حرمة الضرب وغيره مما فيه نوع من الاذى لغة بدون الاجتهاد انتهى وللدليل وكذا الدلالة تقسيمات اخر عند العلماء يطول الكلام بذكرها مع شهرة امرها (والان) كلمة مستحدثة يفهم معناها مما قدمناه (وترعاه) تقدم ما يفهم منه معناه (والسنبة) بكسر النون وضمها كالسنب واحد الانساب (واجل) حرف جواب مثل نعم قال الاخفش الا انها احسن من نعم فى التصديق ونعم احسن منه فى الاستفهام فاذا قال انت سوف تذهب قلت لجل وكان احسن من نعم واذا قال اتذهب قلت نعم وكان احسن من اجل قاله فى الصحاح ومما عنه الجواب مقدر كما لا يخفى (والطريق) السبيل يذكر ويؤنث تقول الطريق الاعظم والطريق العظمى والجمع اطرقة اوطرق قال صخر

فلما اجزمت به قربنى تيممت بها طرقة اوخليقا

(واللهم كالاتى (والعلم) على القول بانه نظرى صفة توجب لمحلها تميزا لا يحتمل النقيض وقيل صفة يتجلى بها المذكور لمن قامت هى به وقيل غير ذلك والمراد بالعلم ههنا قيل المعرفة قال الواسطى المعرفة ما شاهدته حسا والعلم ما شاهدته خبرا وليس بمتعين ومما ذكر اصطلاح واستغناء الكلام فى العلم مما يضيق عنه هذا الكتاب وامر علم الله حقا تحير فيه وحقوا هم كثير من ذوى الالباب وقريب منه عندى امر كلامه سبحانه والحق ان كل شان الله تعالى غريب وليس للانسان من الوقوف على الحقيقة نصيب

ميهات ان تصطاد عنقاء البقا بلعابهن عناكب الافكار

(وحاشد) اى جامع يقال حشد وا يحشدون بالكسر حشدا اى اجتمعوا وكذلك احتشدوا وتحشدوا وحاصل المعنى ان جناب الشيخ لا يستدل بالمعلولات على عللها والمصنوعات على صانعها كما استدل الاعرابى لما سأله الاصمعى بحضرة الرشيد بم عرفت الله فقال البعرة تدل على البعير والاثر يدل على المسير فسماء ذات ابراج وبحار ذات امواج الا تدل على اللطيف الخبير وقريب من ذلك ما انشده فى الزجر ابو نواس حيث قال ولله دره

تامل فى رياض الارض وانظر الى اثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات على اهدابها ذهب سبيك
على قضب الزبرجد شاهدات بان الله ليس له شريك

ونظائر ذلك كثيرة جدا ذكر نبذة منها العلامة السفيرى فى شرح البخارى بل ان سألت عن حال هذا الجامع للمنقول والمعقول فهو الذى يستدل بالعلة على المعلول وهذا المزيد شهوده وملاحظته لمعبوده قال بعض القوم اعلم ان المعرفة تنقسم الى قسمين استدلالية وشهودية اما الاستدلالية فهى المشار اليها بقوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم الاية وهى درجة العلماء واما الشهودية فهى المشار اليها بقوله تعالى اولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد وهى درجة الصديقين قال بعض المشايخ رايت الله قبل كل شئ وهو عرفان الايقان والاحسان فعرفوا كل شئ به واوحى الله تعالى الى داود على نبينا وعليه افضل الصلاة واكمل السلام يا داود اتدرى ما معرفتى قال لا قال حياة القلب فى مشاهدتى وقال احمد بن عاصم الانطاكى ما اغبط الا من عرف مولاه جل جلاله واشتهى ان لا اموت حتى اعرف معرفة العارفين الذين يستحيون لا معرفة الصديقين انتهى ملخصا وفى هذا البيت من انواع البديع الجناس المطرف بين اللم والعلم وهو ما زاد احد ركنيه على الاخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المزيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى اخره

فهي له كالذيل نحو قوله

وسألتها باشارة عن حالها وعلى فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت مالكو الا الهوان ازيل عنه النون

وقوله

ان الكلام هو الشفاء من الحوى بين الجوانح

والمطرف تكون الزيادة في اوله لتصيره كالمطرف ويسمى الناقص والمردف وفي تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف في التسمية ظاهرة والمقدم فيه قوله تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تكون تارة في الركن الثاني كما تقدم وتارة في اول الركن الاول كقول ابي فخ البستي

ابا العباس لا تحسب بانى بشيء من حلى الاشعار عارى
فلي طبع كسلسال معين زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما كتب الادوار زندا فلي زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الى عوارف ثنائي على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف لشكري على تلك اللطائف طايف

الى غير ذلك مما لا يحصى وفيما ذكرناه كفاية

قال الناظم

وما نافع دين العجائز لامرئ بمرئى نهاه للجمال يشاهد

اقول (النافع) من النفع ضد الضر يقال نفعته بكذا فانتفع به والاسم المنفعة (والدين) تقدم معناه (والعجائز جمع عجوز وهو المراة الشيخة ولا تقول عجوزة او هي لغة ردية والعجوز معان كثيرة تقارب السبعين المتبادر منها هنا ما ذكرناه (والامرئ) الانسان او الرجل وفيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاها الفراء وضمها على على كل حال واعرابها على كل حال ولا جمع له من لفظه واما المرء فكذلك ايضا لكن بعضهم يقول المرؤن وجاء في الحديث ايها المرون ذكر في الصحاح وحرف الجر الداخلة عليه للتقوية لتعدى نافع بنفسه

(والرئ) المنظر (والنهى) العقل وكانه سمى بذلك لنهيه صاحبه عن القبيح حسب ادراكه كما انه سمى عقلا لانه كالعقال يعقل صاحبه عن ذلك (والجمال) الحسن والفرق الذى يذكره بعضهم غير مسلم وقد جمل الرجل بالضم جمالا فهو جميل والمراة جميلة وجملاء ايضا عن الكسائى وانشد

فهى جملاء كبدرها لع بذت الخلق جميعا بالجمال

والجمال عند القوم نعوت الرحمة وانطاف من الحضرة الالهية المشتملة على الحقايق الاسمائية ويقابله الجلال بمعنى نعوت القهر والعظمة من الحضرة الالهية وقال بعضهم الجمال هو كلية توجهه لذاته ولجماله المطلق جلال فهو قهار بنيته لكل عند تجليه بوجهه فلم يبق احد حتى يراه وهو على الجمال وله دنو يدنو منا وهو ظهور فى الكل كما قال قائلهم

جمالك فى كل الحقائق سافر وليس له الا جلالك ساتر

ولهذا الجمال جلال هو احتجابه بتعينات الاكوان فلكل جمال جلال ووراء كل جلال جمال ولما كان فى الجلال ونعوته معنى الاحتجاب والعزة لزمه العلو والقهر من الحضرة الالهية والخضوع والهيبة منا ولما كان فى الجمال ونعوته معنى الدنو والسفور لزمه اللطف والرحمة والعطف من الحضرة الالهية والانس منا انتهى والمراد بدين العجائز ما كان بطريق التقليد ومجرد الاعتقاد اذ لا قدرة لهن فى الغالب على النظر وقد ورد عليكم بدين العجائز وبه استدل من قال ان النظر فى معرفة الله تعالى وصفاته وافعاله والعقائد الدينية والمسائل الكلامية ليس واجبا وفيه انا لا نسلم صحته بل قيل انه من كلام سفيان الثورى رحمه الله تعالى فانه روى ان عمرو بن عبيد من روساء المعتزلة قال ان بين الكفر والايمان منزلة بين المنزلتين فقالت عجوز قال الله تعالى هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن فلم يجعل الله تعالى من عباده الا الكافر والمؤمن فبطل قولك فسمع سفيان كلامها فقال عليكم بدين العجائز وعلى تقدير تسليم صحته فالمراد به التفويض الى الله تعالى فيما قضاه وامضاه والانقياد له فيما امر به ونهى عنه لا الكف عن النظر والاقتصار على مجرد

التقليد

التقليد على انه خبر احاد فلا يعارض القواطع الدالة على وجوب النظر مثل قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقوله سبحانه قل انظروا ماذا في السموات والارض وقوله تعالى فانظر الى اثار رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها الى غير ذلك من الادلة وعندي ان النظر انما يجب اذا توقف عليه حصول العلم الواجب فمتى لم يتوقف عليه وتحقق بسبب اخر كالفيض الالهي لم يجب النظر وبالجملة المطلوب الغنب * * * * وحاصل معنى البيت * ان هذا العالم النحرير والعارف الخبير لا يرد حياض التقليد ذهنه ولا يميل اليه ولا يستحسنه لانه امرء مراة لبه وانوار منور قلبه يشاهد الجمال ويعاين صفات ذي الجلال والملك المتعال ولا يحتاج للمصباح من اسفر له الصباح ولا ينتفع بالاثر من شاهد العين ولا يقنع بالمدر من حصل العين واللجين وشتان ما بين التبر والتراب وكم من فرق بين الشراب والسراب وليس الخبر كالعيان ولا الامارة كالبرهان

الم تر ان السيف ينقص قدره اذا قيل ان السيف خير من العصا

لكن ينبغي ان يعلم انه لابد ان يبقى لاهل الكشف والشهود ما يكون ايمانهم به ايمانا بالغيب فليحفظ وفي البيت اشارة الى ان التقليد نافع في الجملة وحاصل الكلام في هذا المقام انهم اختلفوا في هذه المسئلة * فنقل عن الاشعري والقاضي والاستاذ وامام الحرمين والجمهور منهم من يقول المقلد مؤمن الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح ومنهم من فصل وقال هو مؤمن عاص ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وغير عاص ان لم يكن فيه اهلية ذلك ونقل عن طائفة ان من قلد القران والسنة القطعية صح ايمانه لاتباعه القطعي ومن قلد غير ذلك لم يصح ايمانه لعدمه من الخطاء على غير المعصوم وعن بعض انه جعل النظر والاستدلال شرط كمال فيه وعن اخرانه حرم النظر قال العلامة المحلي وقد اتفقت الطرق الثلاثة يعني الموجبة للنظر والمحرمة والمجوزة على صحة ايمان المقلد وان كان اثما بترك النظر على الاول ومحل الخلاف في غير النظر الموصل لمعرفة الله تعالى اما هو

* عدم الاكتفاء بالتقليد في العقائد الدينية وعزى للامام مالك الكرخي المخالف *

فواجب اجماعا كما ان الخلاف انما هو فيمن نشاء على جبل شاهق مثلا
ولم يتفكر فى ملكوت السموات والارض فاخبره غير معصوم بما يفترض
عليه اعتقاده فصدقه فيما اخبره به بمجرد اخباره من غير تفكر ولا
تدبر وليس الخلاف فيمن نشاء فى دار الاسلام من الامصار والقرى
والصحارى وتواتر عندهم حال النبى صلى الله عليه وسلم وما اتى به من
المعجزات ولا فى الذين يتفكرون فى خلق السموات والارض فانهم كلهم
من اهل النظر والاستدلال * وحكى الآمدى اتفاق الاصحاب على
انتفاء كفر المقلد وانه ليس للجمهور الا القول بعصيانه بترك النظر ان قدر
عليه مع اتفاقهم على صحة ايمانه وانه لا يعرف القول بعدم صحة ايمان
المقلد الا لابى هاشم الجبائى من المعتزلة وقال ابو منصور الماتريدى
اجمع اصحابنا على ان العوام مؤمنون عارفون بربهم وانهم حشو الجنة
كما جاءت به الاخبار وانعقد عليه الاجماع لكن منهم من قال لابد
من نظر عقلى فى العقائد وقد حصل لهم منه القدر الكافى فان فطرتهم
جبلت على توحيد الصانع وقدمه وحدوث ما سواه من الموجودات
وان عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين والعلم بالعبادة علم
زائد لا يلزمهم وقد حقق العلامة التاج السبكى هذا المقام تحقيقا
يصير به الخلاف لفظيا فقال ان يجزم المقلد الذى فيه اهلية النظر
ولا يخشى عليه من الخوض الذى فيه الوقوع فى الشبه والضلال اعتقاده
بصدق قول المخبر له غير المعصوم دون حجة صح ايمانه عند اهل
السنة الاشعرى وغيره فى اجراء الاحكام الدنيوية
عليه اتفاقا فينا كح ويؤم ويتوكل ذبيحته ويرثه المسلمون ويرثهم
ويدفن فى مقابرهم وفى الاحكام الاخروية عند المحققين من اهل
السنة فلا يخلد فى النار ان دخلها ولا يعاقب فيها على الكفر وما له
الى النجاة فى الجنة لقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست
مؤمنا وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل مسجدنا
واستقبل قبلتنا فهو مسلم لكنه عاص بترك النظر وان لم يجزم
المقلد عقيدته بصدق المخبر له على الوجه السابق لم يكفه ذلك

في صحة اسلامه وترتب احكامه عليه لانه في شك وهو مناف للايمان وهذا ليس من محل الخلاف في شئ لانهم متفقون على عدم صحة ايمانه هذا والخلاف في ايمان المقلد انما هو بالنظر الى احكام الاخرة وفيما عند الله واما بالنظر الى احكام الدنيا فالايمان الكافي هو الاقرار فقط فمن اقر اجريت عليه الاحكام الاسلامية في الدين ولم يحكم عليه بكفر الا اذا اقترن به ما يدل على كفره كالسجود للصنم ذكر ذلك غير واحد من علماء الكلام وحكماء الاسلام وانا بعد هذا القيل والقال اختار ان المدار على حصول الجزم فمتى حصل كفى وكم رايت مقلدا لا يزحزح جبل ايمانه عواصف الشبهات وشخصا يزعم انه ناظر تقلب قلبه الشكوك على فراش التخيلات فافهم والله اعلم

قال الناظم

امير رياض للنفوس وان من اساطينها تلقى اليه المقاليد

اقول (الامير) ذو الامر (والرياضات) جمع رياضة يقال رضت المهر اروضه رياضا وروضة اذا ذللته والرياضة عند القوم هي الخروج عن طبع النفس وتهذيب اخلاقها وفي التعريفات الشريفية هي تهذيب الاخلاق النفسية وتخليصها عن نزغات الطبع وهو قريب مما ذكر (والنفوس) جمع نفس وقد تقدم بعض الكلام عليها وقال بعض القوم النفس هو الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والارادة وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهي الواسطة بين القلب الذي هو النفس الناطقة وبين البدن المشار اليها في القران بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الانسان وبركته بها ولكونها ليست من شرق عالم الارواح المجردة ولا من غرب عالم الاجساد الكثيفة انتهى وذكروا ان للنفس سبع صفات الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة والمقام في الاولى مقام ظلمة الاغيار وفي الثانية مقام الانوار وفي الثالثة مقام الاسرار وفي الرابعة مقام الكمال وفي الخامسة مقام الوصال

وفى السادسة مقام تجليات الافعال وفى السابعة مقام تجلبات الصفات والاسماء وبعضهم ذكر ان النفوس ثلاثة النفس اللوامة وهى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتامر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية فهى ماوى الشر ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى والنفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب بقدر ما نبهت به من سنة الغفلة وبدت باصلاح حالها مترددة بين جهة الربوبية والخلقية فكلما صدرت منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية تداركها النور الالهى فاخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة الى باب الغفور الرحيم ولهذا نوه الله تعالى بذكرها بالاقسام بها فقال لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة والنفس المطمئنة وهى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة وتوجهت الى جهة القلب بالكلية متابعة له فى الترقى الى جناب عالم القدس متنزهة عن جانب الرجس مواضبة على الطاعات ساكنة الى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها ربها بقوله عز من قائل يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى هذا وما ذكرناه اولا هو المشهور لدى الجمهور (والاساطين) * جمع اسطوانة بالضم وهى السارية معرب استون وهى اما افعوله او فعلوانة والمراد بالاساطين المشايخ الذين هم كالسوارى فى مساجد اليقين وكالاركان فى ارشاد المسترشدين وتسليك السالكين (وتلقى) اى تطرح (والمقالد) كالمقاليد جمع مقلد وهو مفتاح كالمنجل ويقال ضاقت مقالده ومقاليده اى اموره ويحتمل غير ذلك والظاهر ان اسم ان ضمير الشان كما فى قوله

ان من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جاء ذرا وظباء

وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ اميرى فى تدريب النفوس

الابية وخبيرة بتهذيب اخلاقها الرديئة فالنفس الامارة منقادة تحت امارتر والنفس اللوامة لائمة بالخروج عن طاعته اذ لا يدعوا الا الى دعا الله تعالى ورسوله اليه ولا يعد النفوس الا على ما يعد المخلصون عليه فهى مطمئنة باقواله راضية مرضية باعماله كاملة باتباع اقواله وان الشان ان المشايخ العظام ومن كل منهم فى هذا المقام امام يلقون اليه المقاليد ويرجعون اليه فى المعضلات والشدائد لعلمهم بانه جزيلها المحكك بين الانام وعذيقها المرجب بين الخاص والعام لازالت سحائب الرحمة منهلة عليه ولا برحت موائد النعمة منصوبة بين يديه

قال الناظم

عليه رحى العرفان دارت لانه هو القطب والابدال فيها فرائد

اقول قال فى الصحاح (الرحى) معروفة مؤنثة والالف منقلبة من الياء تقول هما رحيان قال مهلهل

كأنا غدوة وبنى ابينا بجنب عنيزة رحيا مدير

وكل من مد قال رحاء ورحاء ن وارحية مثل عطاء وعطاء ن واعطية وجعلها منقلبة من الواو ولا ادرى ما حجته وما صحته وثلث ارح والكثير ارحا انتهى (والعرفان) مصدر عرف وكذا المعرفة والعرفان عند القوم شهود الله تعالى فى مظهر جامع بين الظاهر والباطن ورحى العرفان من باب اظفار المنية (ودارت) تحركت مستديرة (والقطب العمود الذى تدور عليه الرحى وفيه ثلاث لغات قطب وقطب وقطب بتثليث القاف ويقال فلان قطب بنى فلان اى سيدهم الذى يدور عليه امرهم والقطب عند السادة الصوفية هو الواحد الذى هو موضع نظر الله تعالى من العالم فى كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام قد حصل له الكمال الانسانى والمقام الرحمانى وله خمسة اعمال ظاهرة يقوم الليل ويصوم ويفطر ويجاهد هواه ويأكل الحلال وستة باطنة الغناء والبقاء والمعرفة والتجريد والتحقيق والاحاطة وفى الفتح المكى

منزلة القطب والامامه منزلة مالها علامة
يملكها واحد تعالى عن صفة السير والاقامه
يعلوه في لون اصفرار في ايمن الخدمنه شامه
حقيقة مالها نبوه ايده الله بالسلامه

قيل لا يكون القطب في كل زمان الا واحدا وهو الغوث وهو اما جامع للخلافة الظاهرة والباطنة كابي بكر رضي الله تعالى عنه واما منفرد بالخلافة الباطنة كالسبتي قدس سره واجل الاقطاب بعد ائمة اهل البيت المعروفين حضرة سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره فقد ذكر الامام الرباني مجدد الالف الثاني في مكتوباته ان القطبية كانت لائمة اهل البيت اصالة وصارت من بعدهم وكالة حتى ظهر الشيخ عبد القادر الكيلاني قدس سره فاعطيها اصالة حتى اذا ذهب الى حظائر القدس اعطيها من جاء بعده وكالة عنه فكل الاقطاب من بعده نوابه ووكلاؤه ولا يزال الامر كذلك حتى يظهر المهدي فيعطاها اصالة وفي قوله قدس سره

غربت شموس الاولين وشمسنا ابدا على فلك العلى لا تغرب

رمز الى ذلك انتهى فليحفظ (والابدال) قال في الصحاح قوم من الصالحين لا تخلو الدنيا منهم اذا مات واحد ابدل الله تعالى مكانه باخر قال ابن دريد الواحد بديل انتهى وقال بعض السادة الصوفية الابدال سبعة في كل زمان يحفظ الله تعالى بهم الاقاليم السبعة لكل واحد منهم اقليم منهم على قدم الخليل عليه السلام ومنهم على قدم الكليم عليه السلام ومنهم على قدم هارون عليه السلام * ومنهم على قدم ادريس عليه السلام ومنهم على قدم عيسى عليه السلام ومنهم على قدم آدم عليه السلام وقال بعضهم هم سبعة رجال يسافر احدهم عن موضع ويترك جسدا على صورته بحيث لا يعرف احد انه فقد وذلك معنى البدل لا غير وهم على قلب ابراهيم عليه السلام ويصير جسد البدل كالبيت ان شاء نزل فيه وان شاء ارتحل عنه وراثة نبوية وذلك

ان سيدنا ونبينا محمدا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يستفتى فيفيت في الوقت الحاضر فيوحى اليه فيقول ابن السائل عن كذا انتهى وذكر انهم عارفون بما اودع الله جل جلاله في الكواكب السبعة السيارة من الاسرار في حركتها ونزولها في المنازل المقدرة ولهم من الاسماء اسماء الصفات ومنهم عبد الحي وعبد العليم وعبد القادر وعبد المريد وهذه الاربعة موافقة للاوتاد في الاسم وعبد الشكور وعبد السميع وعبد البصير وما من شخص الا وله نسبة الى اسم الاهي منه يتلقى ما يكون عليه من اسباب الخير بحسب ما تعطيه حقيقة ذلك الاسم الالهي من الشمول والاحاطة وعلى تلك الموازنة يكون علم ذلك الرجل ولم يرد الحديث الا في الابدال دون هذا التفصيل وسمعت عن الشيخ المرثي قدس سره انه قال يوما ان الامام ابا حنيفة كان من الاقطاب والامام الشافعي كان من الابدال ولعمري انه اعرف الناس بمراتب الرجال وضمير (فيها) راجع الى رحى (والفراقد) جمع فرقد هو كالفرقود النجم الذي يهتدى به ويقال هما فرقدان قال في القاموس وجاء في الشعر مثنى وموحدا انتهى وفي الصحاح الفرقدان نجمان قريبان من القطب اقول وهما النجمان الظاهران من بنات نعش الصغرى المسماة بالدب الاصغر بينهما قدر ذراع وهما محفوظ عليهما وضعهما لا يفترقان وانشدوا

وكل اخ مفارقه اخوه لعمر ابيك الا الفرقدان

وحاصل معنى البيت ان جناب الشيخ هو القطب الذي تدور عليه رحى العرفان والغوث الذي تدور ببركته نوائب الحدثان وان الابدال يدورون حوله ولا يصلون محله فهيهات ان يدرك شاواه وان يبلغ علاه اذ هو السابق الذي لا يشق له غبار والمحرز لقصبات السبق في ذلك المضمار ثم اعلم ان الناظم ذكر في هذا البيت قسمين من الاولياء وبقيت منهم اقسام رجمة لا باس بذكر

شى منها اذ يذكر الصالحين تنزل الرحمة فمنهم الائمة ولا يزادون
فى كل زمان على اثنين الواحد عبد الرب والاخر عبد الملك نظر
احدهما مقصور الى الملك والاخر الى الملكوت ومنهم الاوتاد وهم
اربعة فى كل زمان احدهم متصرف فى جهة المشرق والاخر فى
المغرب واخر فى الجنوب واخر فى الشمال والتقسيم انما يكون فى الكعبة
وقد تقدمت الاشارة الى اسمائهم ومنهم النقباء وهم اثنا عشر
فى كل زمان على عدد بروج الفلك كل نقيب عالم بخاصة كل برج
بما اودع الله تحافيه من الاسرار وما يعطى المنازل فيه من الكواكب
السيارة والثوابت فان لها حركات ايضا لا يحس بها اذا لا تظهر
الا فى الاف سنين واعمال اهل الرصد تقصر عن ذلك وقد الهمهم
الله تعالى استخراج خبايا النفوس وعوائلها حتى انهم ليعرفون من
ابليس ما لا يعرفه من نفسه وهم من العلم بحيث اذا رأى احدهم
وطأ شخص فى الارض علم انه شقى او سعيد ومنهم النجباء وهم ثمانية
فى كل زمان ومقامهم الكرسى لا يتعدونه ما داموا نجباء ولهم القدم
الراسخ فى العلم بتسيير الكواكب كشفا لا نظرا وقد حازوا علم الافلاك
الثمانية تدون الفلك التاسع ومعرفته انما هى للنقباء ومنهم الحواريون
ولا يكون منهم فى كل زمان الا واحد وهو من جمع فى نصرة الدين بين
السيف والحجة واعطى العلم والعبادة ومقامه التحرى فى اقامة الحجة
على صحة هذا الدين القويم والزبير بن العوام كان صاحب هذا المقام
فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة انصار الدين
ومنهم الرجبيون وهم اربعون نفسا فى كل زمان وحالهم القيام
بعظمة الله تعالى وهم متفرقون فى البلدان يعرفون بعضهم بعضا
وسموا بذلك لانه اذا كان اول يوم من رجب يجدون كأنما
اطبقت عليهم السماء ويجدون من الثقل ما لا يقدرون معه
على حركة ولا كلام ويتكلمون بعد اليومين والثالث ويقع لهم
من الكشوفات والاطلاع على المغيبات ما يقع الى ان يكمل
الشهر فاذا خرج ودخل شعبان قاموا كأنما نشطوا من عقال

فان كان

فان كان احدهم صاحب تجارة او صنعة اشتغل بشغله وسلب عنه بعض حاله وبعضهم يسمونهم ابدالا وبعض اخر يسمّى النقباء ابدالا ولا مشاحة فى التسمية ومنهم ثلاثمائة تنفس على قلب آدم عليه السّلام يرد على قلوبهم ما ورد على قلبه وهم فى كل زمان كما قال ذلك ارباب الكشف والعرفان وهم المجتبون المصطفون ويستحبّون فى الدعاء ما ذكره الحقّ سبحانه فى كتابه ربّنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ومنهم اربعون شخصا على قلب نوح عليه السّلام وصفتهم القبض ومقامهم الغيرة الدينيّة ودعاؤهم ربّ اغفر لى ولوالدىّ ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا ومنهم سبعة على قلب الخليل عليه السّلام ومقامهم السّلامة من كلّ ريب وشك وقد نزع الله تعالى الغل من صدورهم وسلم الناس من سوء ظنهم وبينهم وبين الشرور التى عليها الناس حجاب وهم علماء حلماء واخوان صدق على سرر متقابلين ومنهم الخاتم وهو واحد فى كل زمان بل واحد فى العالم يختم الله تعالى به الولاية المحمدية فلا يكون فى الاولياء المجتهدين اكبر منه ثم خاتم اخر يختم الله تعالى به الولاية العامة من آدم عليه السلام الى اخر ولى وهو عيسى عليه السّلام والاول قيل هو الشيخ الاكبر قدس سره واستظهر انه المهدى المنتظر رضى الله تعالى عنه والله تعالى اعلم ومنهم خمسة على قلب جبرئيل عليه السّلام لهم من العلوم عدد ما لجبرئيل من القوى المعبر عنها بالاجنحة ولا يتجاوز علمهم مقامه وهو الممد لهم من الغيب ومعهم يقف فى المحشر يوم القيامة ومنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السّلام والغالب عليهم البسط ولين الجانب والشفقة المفرطة ولهم من العلوم قدر ما لميكائيل من القوى ومنهم واحد على قلب اسرافيل عليه السّلام وله الامر كالاسرافيل وله علم ايضا قيل وكان ابو يزيد منهم ومنهم رجال الغيب وهم عشرة فى كل زمان اصحاب خشوع لا يتكلمون الا همسا ويمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما دابهم الحياء واذا سمعوا احدا يرفع صوته ترعد فرائصهم وذلك لغلبة

لحال عليهم يتخيلون انه قد تجلى من اورث عندهم الخشوع وقد يطلق
رجال الغيب على صالح الجن وكذا على الذين لا ياخذون شيا من العلم
والرزق المحسوس لكنهم ياخذونه من الغيب ومنهم الظاهرون بامر
الله وهم ثمانية عشر نفسا قائمون بحقوق الله تعالى مثبتون الاسباب
خرق العوائد عندهم عادة كان منهم سيدى ابو مدين رحمه الله تعالى
ومنهم رجال القوة وهم ثمانية رجال القهر شانهم الشدة على
الكفار لا تاخذهم فى الله تعالى لومة لائم لهم همم فعالة فى النفوس
وبهذا يعرفون وكان منهم ابو عبد الله الدقاق ومنهم خمسة رجال
على قدم هؤلاء غير ان فيهم لينا فى بعض المواضع ومنهم خمسة عشر
نفسا رجال العطف لهم شفقة على عباد الله تعالى مؤمنهم وكافرهم
ينظرون الخلق بعين الوجود والجود لا بعين القضاء والحكم ومنهم
رجال الهيبة وهم اربعة انفس تمدون الاوتاد والغالب على احوالهم
الروحانية وقلوبهم سماوية مجهولون فى الارض معروفون فى السماء
واحد منهم ممن استثنى الله تعالى فى قوله ونفخ فى الصور الاية والثانى
له العلم بما لم يتناهى والثالث له الهمة الفعالة فى الايجاد ولكن لا يوجد
عنه شئ والرابع توجد عنه الاشياء وليس له ارادة ولا همة متعلقة
بها اطبق العالم الاعلى على علو مراتبهم احدهم على قلب محمد صلى الله عليه
وسلم والثانى على قلب شعيب والثالث على قلب صالح والرابع على قلب
هود عليهم السلام ينظر الى احدهم من العالم الاعلى عزرائيل عليه السلام
والى الارض ميكائيل عليه السلام والى الاخر اسرافيل عليه السلام
ومنهم اربعة وعشرون نفسا يسمون رجال الفتح بهم يفتح الله تعالى
على قلوب اوليائه ما يفتحه من المعارف والاسرار وهم متفرقون كل
شخص منهم لازم مكانه فمنهم باليمن اثنان وبالمغرب ستة وبلاد
المشرق اربعة والباقى فى سائر الجهات ومنهم سبعة انفس يقال
لهم رجال النداء لهم فى كل نفس معراج الى الله تعالى لتحصيل علم خاص
ومنهم احد وعشرون رجال التحت الاسفل فهم اهل النفس الذى
يتلقون من الله تعالى لا معرفة لهم بالنفس الخارج منهم فهم مع

النفس

النفس الرحمانى النازل الذى برحيائهم وغذاؤهم ومنهم ثلاثة
انفس يستمدون من الحق ويمدون الخلق يقبلون على الله بالاستغا
ويرجعون الى الخلق بالافادة واذا افادوا افادوا بلطف بحيث يظن
انهم يستفيدون ومنهم رجال ونساء قد اهلهم الله تعالى للسعى فى
قضاء حوائج الناس عنده لا عند غيره وشانهم عجيب ومعناهم
لطيف ومنهم رجل واحد وقد يكون امراة له يد الاستطالة
على كل شئ شهم شجاع مقدام كبير الدعوى يحق يقول حقا ويحكم
عدلا وكان صاحب هذا المقام سيدى وسندى العالم الربانى
والعارف الصمدانى الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره وعمنا
بره ومنهم رجل مركب ممتزج ولا يكون الا واحدا وهو شبيه عيسى
عليه السلام لا يعلم له اب بشرى وهو مخلوق من ماء امه فالله تعالى
على كل شئ قدير ومنهم رجل واحد ويكون امراة له دقائق ممتدة
الى جميع العوالم وهو شخص غريب ذو حال عجيب وليس بالقطب
كما قد يتوهم ومنهم رجل واحد يسمى مقامه سقيط الرؤف
ابن ساقط العرش كبير الشان عظيم الحال شغله بنفسه وبربه
رؤيته مؤثرة فى حال من يراه ومنهم رجال عين التحكم والزوائد
وهم عشرة انفس فى كل زمان مقامهم التصرف وحالهم زيادة
الايمان بالغيب واليقين فى تحصيل ذلك العلم فلا يصرف لهم
غيب شهادة الا ويزيدون ايمانا بغيب اخر ويقينا فى تحصيله وثلاثة
اثنى عشر نفسا هم البدلاء وسموا بذلك لان الواحد منهم ينوب
مناب الباقين اذا غابوا ويقوم بما يقوم به جميعهم وكل واحد
منهم فى عين الجمع

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد

وليس هم بالابدال وان اشتبه ذلك على كثير من الناس ومنهم
رجال الاشتياق خمسة انفس وهم اصحاب القلق تقلقهم
الاشواق فى عين المشاهدة وفيهم قال واصف لحالهم *

البست ادرى اطال ليلى ام لا كيف يدرى بذاك من ينقلى

وهم ملوك اهل طريق الله وهم رجال الصلوات الخمس كل رجل
منهم مختص بحقيقة من الغرائض لا يفترون من صلاة ليل
ونهار ومنهم سبعة انفس رجال ايام السنة التي خلق الله فيها
العالم ولهم سلطان على الجهات الست التي ظهرت لوجود الانسان
قيل وكان منهم احمد السبتي ومنهم رجال غير ما ذكرنا محصورون
ايضا لا يخلو الزمان منهم ولله سبحانه رجال آخرون لا يحصون
بعد دبل يزيدون وينقصون وهم على طبقات متعددة واصناف
متفاوتة ولنقتصر على ذكر بعض الطوائف من اكابرهم وائمتهم
فمنهم رجال الماء وهم قوم يعبدون الله تعالى في قعر البحار والانهار
لا نعلمهم يحكى عن ابي البدر البغدادي وكان صدوقا ثقة عن
الشيخ ابي سعيد السبتي امام وقته في الطريق قال كنت بشاطئ
دجلة فخطر في نفسي هل لله سبحانه وتعالى عباد يعبدونه في
الماء فما استتم الخاطر الا وقد انفلق البحر عن رجل فقال نعم يا ابا
السعود لله تعالى رجال يعبدونه في الماء وانا منهم وانى من
تكرينت وقد خرجت منها لانه يحدث فيها كذا وكذا ثم غاب عني
في الماء فلما انقضت المدة وقع ذلك الامر على صورة ما ذكره ومنهم
الافراد وهم المقربون بلسان الشرع وهم رجال خارجون عن دائرة
القطب ولهم كشف خاص لا ينالة سواهم قيل ومنهم الخضر
عليه السلام ومنهم المحدثون ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه وهم صنفان صنف يحدثهم الحق تعالى من وراء حجاب
وصنف تحدثهم ارواح الملائكة في قلوبهم احيانا في اذانهم وقد
يكتب لهم وطريق هذا الصنف الرياضات النفسية والمجاهدات
البدنية ومنهم غير ذلك نسال الله تعالى ان يفيض علينا من بركاتهم
ويمن علينا بصالح دعواتهم انه بر رحيم جواد كريم لا رب غيره
ولا خير الا خيره ثم لا يخفى ما في قول الناظم والابدال فيها اى في بدر حى
العرفان فواقد من السماجة نظم ان الغرا قد انما تناسب السماء
دون الرحى فلا تغفل * قال الناظم

فتى قصده عرفان باريه هل ترى تقويمه ابياتنا والقصائد

اقول (الفتى) فى اللغة الشاب والسخى الكريم يقال هو فتى بين الفتوة وكثيرا ما يستعمل فى العرف بمعنى الرجل مطلقا ولعل هذا المعنى هو المراد هنا وهو فى عرف القوم من اتصف بالفتوة وهى خمود حرارة الطلب اللازمة للبداية ولها عندهم تعريفات كثيرة منها ان تؤثر الخلق على نفسك بالدنيا والاخرة (وقصده) اى مقصوده ومرامه (والعرفان) المعرفة (والبارى) الخالق (وترى) تعتقد (وتقويمه) اى تكافئ مدائحه (وابياتنا) جمع بيت ويجمع ايضا على بيوت وابايت عن س مثل اقوال واقاويل وتصغير البيت يبيت بكسر اوله والعامة تقول بويت والمراد بالبيت هنا البيت من الشعر ومنه قوله

وبيت على ظهر المطى بنيته باسم مشقوق الخياشيم رعف

اراد ببيت شعر وبنيته كتبته بالقلم (والقصائد) جمع قصيدة وهى الاشعار العديدة واختلف فى مقدارما تطلق عليه فقيل ثلاثة ابيات فصاعدا وقيل ما فوق السبعة والا فهى نتفة وقيل غير ذلك فليراجع (وحاصل معنى البيت) ان من هو فتى موصوف بان قصارى مقصوده معرفة خالقه ومعبوده * كيف تقوم الاشعار ببيان صفاته واحصاء مدائح ذاته

ولوان ثوباحيك من نسج تسعة وعشرين حرفا فى علاه قصير

بل يحق ان ينشد فيه من غير شك ولا تمويه

تجاوز قدر المدح حتى كأنه باحسن ما يثنى عليه يعاب

ثم اعلم ان المعرفة التصديق بوجوده تعالى ووجوبه وصفاته الكمالية الثبوتية والسلبية بقدر الطاقة البشرية اذ معرفته تعالى بالكنه غير واقعة عند المحققين بل منهم من قال بامتناعها كحجة الاسلام وامام الحرمين والصوفية والفلاسفة قال مولانا جلال الدين الدوانى ولم اطلع على دليل منهم على ذلك سوى ما قال ارسطو فى عيون المسائل كما تعترى العين

عند التحديق فجرم الشمس ظلمة وكدورة تمنعها عن تمام الابصار
كذلك تعثر العقل عند ارادة ادراكه ذاته حيرة ودهشة تمنعه عن
ادراكه تعالى وهو كما ترى كلام خطابي بل شعري وقد يستدل على
امتناعها بان حقيقته ليست بديهية والرسم لا يفيد الكنه والحد
ممتنع لانه بسيط ووجه ضعفه ظاهر لان البساطة العقلية
محتاجة الى البرهان وعدم افادة الرسم الكنه ليس كليا اذ الدليل
على امتناع افادته الكنه في شئ من المواد وعدم البداهة بالنسبة
الى جميع الاشخاص يحتاج الى دليل فربما تحصل البداهة بعد
تهذيب النفس بالشرائع الحقة وتجريدها عن الكدورات
البشرية والعوائق الجسمانية والاحاديث الدالة على عدم حصولها
كثيرة مثل قوله صلى الله تعالى عليه وسلم سبحانك ما عرفناك
حق معرفتك وتفكروا في الاء الله ولا تفكروا في ذات فانكم لن
تقدروا قدره وقال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك
ادراك وضمنه على ما قيل على المرتضى كرم الله تعالى وجهه فقال
شعرا

العجز عن درك الادراك ادراك ... فالبحث عن كنه ذات الله اشراك

انتهى كلامه والحق عندي الامتناع فهو سبحانه القاهر فوق عباده
وتحقيق هذا المقام يطلب من كتب الكلام

قال الناظم

فيا كهف ابناء الطريقة والذي ... تكفل في ارشادها وهو والد
سريت من الناسوت حزما وهمة ... الى ملكوت عنده الملك خالد

اقول (الكهف) كالبيت المنقور في الجبل والجمع الكهوف
ويقال فلان كهف اي ملجا قاله في الصحاح (والابناء) جمع
ابن مثل حمل واحمال (والطريقة) في اللغة تطلق على اطول ما
يكون من النخل بلغة اليمامة والجمع طريق قال الاعشى

طريق وجبار رواء اصوله ... عليه اباييل من الطير ينعب

وعلى نسيجة تنسج من صوف او شعر في عرض الذراع او اقل

وطولها على قدر البيت فتحيط فى ملتقى الشقاق من الكسر الى الكسر وعلى الاشراف من الرجال يقال هذا رجل طريقة قومه وهولاء طريقة قومهم وعلى المذهب يقال ما زال فلان على طريقة واحدة اى مذهب واحد وحالة واحدة والمراد بها ههنا ما هو فى مصطلح القوم وهى المسيرة المختصة بالسالكين الى الله تعالى من قطع المنازل والترقى فى المقامات وهى غير الطريق عندهم لانه عبارة عن سر اسم الله تعالى واحكامه التكليفية المشروعة التى لا رخصة فيها (وتكفل) اى ضمن (والارشاد) بيان الطريق الموصل (والوالد) الاب ويطلق على المربى ولعله المراد ومنه قول الله تعالى شانه لعيسى عليه السلام على ما قيل انت بنى وانا ولدتك اى ربيتك ومن هنا ونحوه توهمت النصارى فقالت انه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وبهذا المعنى اطلق عليه السلام اسم الاب عليه فى قوله انى ذاهب الى ابى لا بالمعنى الذى توهموه كيف وقد ورد ايضا انى ذاهب الى ابى وابيكم والمشاكلة خلاف الظاهر (وسريت) سرت وذهبت وفى الصحاح سريت سرى وسرى واسريت بمعنى اذا سريت ليلا وبالالف لغة اهل الحجاز وجاء القرآن بهما جميعا قال حسان بن ثابت

هى المضيرة ربة الخدر اسرت الى ولم تكن تسرى

انتهى والتقييد هنا بالليل بعيد (والناسوت) ما قابل اللاهوت وتفصيل ذلك على ما قاله بعض ارباب القلوب ان اللاهوت هو حضرة المعلومات الالهية التى استأثر الله تعالى بعلم ماهيتها على ما هى عليه وهى ذوات مجردة عن الغواشى الخارجية لم يظهر بها سوى التعين الذاتى من غير زائد ولذا لا تختلف ولا تقبل نسخا وهذه الحضرة من حيث ادراكها لما فيها تسمى العقل الاول ومن حيث فيضها على العقول تسمى القلم الاول ومن حيث امدادها للنفوس الناطقة والاستعدادية

المناسبة تسمى يمين الله ومن حيث اختصاص علمها بالرحمن تسمى العرش ومن حيث وعيها لما فيها تسمى ام الكتاب ذات الصفحات الصفاتية وذلك ان كل صفة من الصفات الالهية من حيث قيامها بالذات حاوية لجميع المعلومات لكن بذوات مناسبة لحكمها * فالمعلومات كلها فى حضرة صفة الرحمة مثلا لكن على صورة رحمة ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وكذلك ايضا جميع المعلومات فى حضرة صفة الخالقية لكن على صور مخلوقة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وكذلك فى حضرة كل صفة لكن على صورة حكمها وليست مجردة من جميع المعانى الا فى حضرة اسم الله وهو العلم الدال على الذات من غير اشتقاق وحيث كانت هذه الحضرة المسماة بام الكتاب هى النور الرحمانى كانت جميع الصفات صفاتها وهذا النور هو المقول فيه قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين فهو سر البيان وهو لسان المتكلم بالكلمات الذاتية والصفاتية فانما يسرناه بلسانك فاول كلمة وقعت من هذا اللسان فى مسمع جوهر الوجود المجرد آدم فكانت على صورة ما تصورها السامع وتصورها القائل وعلمها المتكلم انسانا ذا قرنين فلما قابلت قطرة هذه الصورة وهى المسماة بالناسوت حضرة اللاهوت ارتسم فى قبولها مثل ما فى ام الكتاب على ما هى عليه لخلوها من جميع الشواغل الموجبة للتحريف فهى نسخة ام الكتاب وما بعدها من الوانح القوابل لنسخها وفى هذه النسخة حصل التنوع بحسب حصول بعض المعلومات فى محل المقارنة النفسانية الحمانية وبعضها فى محل المقارنة الروحانية الملكية وبعضها فى المحل الاقدس وهو الانسانية التى هى المرآة الرحمانية وهذه النسخة لها حيثيات عديدة فى كل حيثية منها تسمى باسم كاللوح المحفوظ وسدرة المنتهى والفردوس الى غير ذلك مما يطلق عليه من مسطورات كتب العوام (والحزم) ضبط الرجل امره واخذه بالمشقة (والهمة) قال فى الصحاح

* القدرة لكن على صورة مقدورة وهو القاهر فوق عباده وذلك فى حضرة صفة

واحدة الهمم يقال فلان بعيد الهمة والهمة ايضا بالفتح وتطلق
الهمة عند القوم بازاء تجريد القلب للمعنى وتطلق بازاء اول صدق
المريد وتسمى هذه همة الارادة وتطلق بازاء جمع الهمم بصفاء
الالهام وهذه الهمة تسمى الهمّة الخفية وهى همة المكمل من اهل
الله قال بعضهم الهمّة ثلاثة اقسام همّة الافاقة وهى اول درجات
الهمة وهى الرغبة على طلب الباقى وترك الفانى وهمّة الانفة وهى
الدرجة الثانية وهى التى تورث صاحبها الانفة من طلب الاجر على
العمل حتى يانف قلبه ان يشتغل بتوقع ما وعده الله تعالى من
الثواب على العمل والهمة العالية وهى الدرجة الثالثة وهى التى لا تعلق الا بالحق
ولا تلتفت الى غيره فهى على الهمم حيث لا ترضى بالاحوال والمقامات
وبالوقوف مع الاسماء والصفات ولا تقصد الا الذات انتهى وليس بين
الكلامين كثير فرق كما لا يخفى (والملكوت) قال فى الصحاح ايضا كالرهبوت
من الرهبة يقال له ملكوت العراق وملكوت العراق مثل الرغبوت هو الملك
والعز وعند القوم الملكوت عالم الغيب المختص بالارواح والنفوس
المجردة والملك عالم الشهادة من المحسوسات الطبيعية كالعرش والكرسى
(وخالد) يحتمل على بعد انه منادى ويحتمل انه خبر الملك وعنده متعلق
به وهو الظاهر والخلود دوام البقاء ويستعمل بمعنى المكث الطويل
كما قاله غير واحد فى قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاه جهنم
خالدا فيها وايا ما كان هنا لا ادرى وجه صحته لكون الملكوت
خالدا عنده الملك وكانه عنى بالملك ما يملك وارد فيما يحصل لمن فى عالم
الغيب من الارواح والنفوس المجردة من الصفات الكاملة واراد بخلود
عدم زوالها وتبدلها كما يزعمه الفلاسفة فى صفات العقول المجردة
اولمن وصل اليه من السالكين والاولياء الكاملين فتامل ثم ان من
الناس من فرق بين الملك بضم الميم والملك بكسرها بان الاول ضبط
الشئ المتصرف فيه بالحكم والثانى كالجنس له فكل ملك ملك ولا عكس
(وحاصل المعنى) يا ملجأ ارباب الطريقة ومأمل اصحاب الحقيقة
ويا من تكفل بالارشاد واهدى الانام الى السداد فكانه والد شفيق

للسالكين وابناء الطريق بشراك ثم بشراك بما اولاك مولاك حيث سريت من عالم الناسوت الى عالم الملكوت وعرجت من عالم المحسوسات الى عالم المغيبات بعزم شديد وهمة استوى لديها القريب فالبعيد وهذا هو الملك العظيم والنعيم المقيم قال الناظم

مقامك جمع الجمع فيه لانه ... مقام به للاكرمين مقاعد
بعيد اراه الجاحدون واننا ... نراه قريبا لا يرى الحق جاحد

اقول مقامك اى موضعك الذى انت فيه وجمع الجمع شهود الخلق قائما بالحق وعند البعض هو الاستهلاك بالكلية فى الله تعالى فناء الاحساس بما سواه عند غلبات الحقيقة واما الجمع فهو شهود الحق بلا خلق وقيل الجمع فناء الحس ويقابله الفرق وهو بقاء النفس وقيل الجمع ظهور الاسم والفرق بقاء الرسم وضمير فيه للملكوت واراد بالاكرمين الاولياء الكاملين وذوى العرفان الراسخين ويراه اى يعتقده والجاحدون المنكرون والحق الامر الثابت المطابق للواقع او الذى طابقه الواقع والمعنى ظاهر وكانه اراد بذلك وحدة الوجود التى يقول بها على ما سمعته من الشيخ علاء الدين الموصلى طاب مرقده من كلامه خواصها وتحقيقها والكلام عليها قد شاع وكثر قديما وحديثا وردها قوم قاصرون غافلون محجوبون وقبلها قوم عارفون محققون ومن ردها فانما ردها لعدم فهمها وقصور ذهنه عن معناها والقائلون بها هم اهل الكشف والبصيرة والموصوفون بحسن السيرة وصفاء السريرة كالشيخ ابن العربى وشرف الدين ابن الفارض والعفيف التلمسانى والشيخ عبد الكريم الجيلى وامثالهم قدس الله اسرارهم وضاعف انوارهم وشتان ما بين الفريقين وكم من فرق بين الفئتين كيف لا وعلوم القوم مبنية على الكشف والعيان لا على الخواطر الفكرية والاذهان وبداية طريقتهم التقوى والعمل الصالح لا مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين فى حصول المصالح ونهاية علمهم الوصول الى حضرة الحى القيوم لا تحصيل الوظائف والمناصب وجمع الحطام الذى لا يدوم فلا طريق الا طريق السادة الائمة الهداة القادة ولا اعتقاد الا وحدة

الوجود على المعنى الموافق المشهور لا على المعنى الذى يعتقده الملحدون
الذين هم للصلاة تاركون وللخمور شاربون ولكل محرم فاعلون فان
ذلك المعنى ام الخبائث وبه توصلوا الى استحلال هاتيك القبايح وقد
رأيت منهم من يقول بعد ان كان الوجود واحدا وكل العالم جسد الروح
واحدة لا فرق بين ان يدخل الانسان اصبعه فى فمه وبين ان يولج ذكره
فى فرج امه نعم المعنى الحق لوحدة الوجود الذى يبقى معه التكليف
وتنزيه الرب سبحانه الملك اللطيف مما لا يكاد يمكن الوصول اليه
على برزون الفكر بل لا بد من استطابة نجائب التقى والجوع والسهر
ولعمرى من طلب معرفة وحدة الوجود بالقال فقد غوى والى سجين
الالحاد على امر رأسه هوى ومن طلبها بالحال والاستفاضة من سحائب
رحمة الملك المتعال فذلك الذى عرف ووجد المنهل العذب فغرف
ولكن هذا اليوم اقل من الواحد فيمن تشاهد من القوم (ثم اعلم)
ان الشيخ المرئى قدس سره لم يظهر منه القول بوحدة الوجود ولعله
لا يقول بها وانما يقول كالامام الربانى بوحدة الشهود وكذلك معظم
سادتنا مشايخ النقشبندية وقد صرح الامام الربانى بانها من
الاحوال لا من المقامات فيعرض القول بها للسالك فى اثناء سيره
ويعتقد حقيقتها ومطابقتها لنفس الامر حتى اذا عرج وترقى بان له
الامر على خلاف ما كان عليه اولا وصرح ايضا بانه قد عرض له القول
بها ثم ترقى فظهر له ان الامر وراء ذلك وهذا مما لا يسلمه القائلون بها
اصلا والله تعالى اعلم ووصيتى لك ترك الخوض فى هذا البحر العجاج
خشية ان تغرق احدى الامواج ولا تزد اذا سئلت مما لا تعلم على
قولك لا اعلم واياك والوقوع فى اولياء الله تعالى فان الله يغضب لهم
واسئل الله تعالى ان يرزقك حالهم فتبصر قال الناظم

وجانبت اهل التيه والغى والعمى بنور يقين صح انك ناقد
لعلمك اهل الحال عقبى مالهم وصال واهل القال طرا اباعد

اقول جانبت اهل التيه اى تركتهم بجانب وناحية والتيه بالكسر
الضلف والكبر والضلال والغى من غوى يغوى فسد وضل والعمى

من عمى كرضى ذهب بصره كله والعمى ايضا ذهاب بصر القلب وهو المراد
ههنا واليقين ازاحة الشك كاليقين محركه وصح اى ثبت مثلها
فى قول الشاعر

صح عند الناس انى عاشق غير ان لم يعرفوا عشقى لمن

وناقد من نقدت الدراهم وانتقدتها اذا اخرجت منها الزيف والحال
كما قال القشيرى ما يرد على القلب من غير تامل ولا اجتلاب ولا تخييل
ولا اكتساب فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب الاحوال تاتى
من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود صاحب المقام متمكن فى مقامه
وصاحب الحال مترق عن حاله والاحوال كلها تزول بسرعة وانشدوا

لو لم تحل ما سميت حالا وكل ما حال فقد زالا

واشار قوم الى بقاء الاحوال ودوامها قالوا اذا المرتدم وتتوالى فهى لوائح
فاذا توالت تلك الصفة فعند ذلك يسمى حالا والواجب فى ذلك
ان يقال من اشار الى بقاء الاحوال فصحيح ما قال فقد يصير المعنى مشربا لاحد
فيترقى فيه ولكن لصاحب هذا الحال طوارق لا قدوم فوق احواله التى
صارت مشربا له فاذا دامت هذه الطوارق له كما كانت الاحوال
المتقدمة ارتقى الى احوال اخر فوق هذه فاذن يكون فى الترقى ومقدور
الحق لا نهاية لها واذا كان الحق عزيزا فالوصول اليه بالحقيقة محال
فالعبد ابدا فى ارتقاء احواله فلا معنى يصل اليه وفى مقدور الله
تعالى ما هو فوقه وعلى هذا يحمل قولهم حسنات الابرار سيئات المقربين
وانشدوا فى المعنى

طوارق انوار تلوح اذا بدت فتظهر كتمانا وتخبر عن جمع

(والعقبى) فى الصحاح والقاموس جزاء الامر وكان المراد به هنا العاقبة
تدبر والمآل من آل اليه اولا وما لا رجع والوصال مقابل
الفراق وهو عند القوم جنة المعرفة وقيل غير ذلك والقال اسم
للقول وكذا القيل واهل المقال اهل الرسوم وطرا اى جميعا
وابا عد من بعد كمنع وفرح بعدا وبعدا والبعد معلوم
وحاصل المعنى انك جانبت ما عليه اهل الضلال ممن عمى منهم

البال وتركت اهل البيته بمعزل عما انت فيه لمزيد نور يقينك الذى عرجت به الى معارج التحقيق وسلكت به سباسب التدقيق ولا تقف عند ما وقفت عنده ارباب القيل والقال واصحاب المناظرة والجدال الذى افنوا بذلك نفيس اوقاتهم وضيعوا بما هنالك مزيد لذاتهم وقفيت آثار اهل الاحوال وارباب الكمال من اكابر الرجال الذى ارتعت لهم كاسات الانس ورتعت ارواحهم فى رياض القدس اعلم ان بالختلاف حظ الفريقين وتباين نصيب الطائفتين فحظ اهل الحال الفوز بالوصال ونصيب اهل القال ما قال من قال على اجر البعد يتقلبون وفى سجين الجهالة مخلدون وانهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وبنيران يراد باهل القال الذين هم اباعد كل من اقصر على القال ولم يلتفت بالكلية الى ما يرضى الله تعالى من الاعمال فيشمل العلماء الغير العاملين والاناس الذين نظموا انفسهم فى سلك الصوفية لمجرد انهم يحفظون شيأ من عبارات فتوحات المكية مثلا او من ابيات المثنوى لمولانا جلال الدين ولا يجوز ان يراد باهل القال العلماء العاملون الذين هم على ما يرضى الله تعالى دائمون فاولئك لعمرى اولياء واذا لم تكن العالم العامل وليا فليس لله سبحانه ولى ومن احتقر اولئك الاكابر وزعم انهم اباعد فهو لا شك كافر ومن وقف على حال الناظم لم يستبعد منه ارادة الاطلاق ومثله اليوم كثير فى متصوفة الآفاق فاعلم ذلك والله تعالى يتولى هداك قال الناظم

نخوت بلاد الهند تكتسب العلا بتكميل نفس للتاله رائد
اخذت طريق النقشبندية التى بدقتها تعيى الفحول الاساود
فعادت تباهى للطريق اذ غدت لها صلة من ذا الجناب وعائد

اقول نخوت اى قصدت للطرائق وبلاجمع بلد وهو معروف والهند علم فى القاموس جيل معلوم وفى الصحاح اسم بلاد والاضافة حينئذ بيانية والمراد بقوله تكتسب اى تجمع وتحصل فرق الراغب بين الكسب والاكتساب بان الكسب يقال فيما اخذه المرء لنفسه ولغيره والاكتساب لا يقال الا فيما استفدته لنفسك فكل اكتساب كسب

ولا عكس وورد الكسب في القرآن في فعل الصالحات كما في قوله تعالى او كسبت في ايمانها خيرا والسيئات كما في قوله سبحانه اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا واما قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت فذاك قد خص الكسب فيه بالصالح والاكتساب بالسيئ وقيل المراد بالكسب فيه ما يختاره الانسان من المكاسب الاخروية وبالاكتساب ما يختاره من المكاسب الدنيوية وقيل المراد بالكسب فيه ما يفعله الانسان من فعل خير وجلب نفع الى غيره من حيث ما يجوز ولا اكتساب ما يحصله لنفسه من نفع يجوز تناوله فيه سبحانه على ان ما يفعله الانسان لغيره من نفع يوصله اليه فله الثواب به وان ما يحصله لنفسه وان كان من حيث ما يجوز فلما ينفك من ان يكون عليه اشارة الى ما قيل من اراد الدنيا فليوطن نفسه على المصائب وقوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة ونحو ذلك والكسب عند الاشاعرة مقارنة القدرة للفعل من غير تاثير لها فيه اصلا وهو معنى احد قوليهم في الكتاب ولا في السنة فتامل وبالعلى الشرف والكمال وبالتكميل التهذيب واصله التتميم والتاله التعبد والتنسك وكانه اراد بقوله رائد طالب وبقوله اخذت تلقيت واصله تناولت والنقشبندية المنسوبة الى بهاء الدين النقشبند قدس سره واسمه محمد ابن البخاري ولقب بنقشبند لان المشايخ الذين كانوا قبله يجمعون الذكر الخفي مع الذكر الجهري واشتغل بالخفي على طريق ربط نقش الذكر بلا اله الا الله في قلبه يامره الخواجه عبد الخالق الغجدواني شيخ مشايخه في معالم السير وقيل غير ذلك وقد ذكر غير واحد ان القاب هذه الطريقة مختلفة متعددة باختلاف القرون والازمان فمن حضرة الصديق رضي الله تعالى عنه الى شيخ طيفور بن عيسى الشهير بابي يزيد البسطامي تسمى صديقية ومنه الى حضرة الخواجه الشيخ عبد الباقي الغجدواني تسمى طيفورية ومنه الى حضرة امام الطريقة ذوي الفيض البخاري والنور الساري بهاء الدين محمد الاويس البخاري تسمى خواجكانيه ومنه الى حضرة الغوث الاعظم

خواجه عبيد الله احرار تسمى بنقشبنديه وربما يقال لها نقشبنديه نسبة
الى الصدر الاول ومثله مشهور ومنه الى حضرة مجمع الاسرار والمعانى
ومجدد الالف الثانى احمد الفاروقى السرهندى نقشبنديه ولحرار
ومنه الى حضرة المعلى المزكى المطهر شمس الدين حبيب الله جانان
جانان الحنفى الدهلوى المظهر تسمى مجددية ووقع الاصطلاح بين
الاخوان على تسميتها الآن بالخالديه لاتصالها بحضرة الشيخ خالد
الموحى اليه لازالت سحائب الرحمة متهلة عليه وستصل ان شاء الله
تعالى بالمهدى كما اخبر بذلك كثير من اهل الكشف فتسمى مهدويه
نفعنا الله تعالى ببركاتهم القدسيه ونفحاتهم الزكيه العليه
والدقة الغموض وتغبى اى تتعب ومن عييت بالامر اذا لم تهتد
لوجهه والفحول جمع فحل وهو الذكر من كل حيوان ويجمع على افحل
وفحالة وفحولة والمراد به هنا ذو القوة من الرجال والهمة من ارباب
الاحوال والاساود قال فى النهاية الجماعات المتفرقه يقال
مررت بنا اساود من الناس واسودات كانها جمع قلة اسواد وهو
الشخص لانه يرى من بعيد اسود وفى الحديث انه قال لعمر انظر
الى هولاء الاساود حولك انتهى مع ادنى تغيير ولا يتوهم انه
جمع اسد اذ فى القاموس ان جمع اسد آساد واسود وآسد وأسد
واسدان وماسدة ولم ترقبه هذا الجمع وكذا فى الصحاح ولو قال
بدله السيائد جمع سيد على ما قيل لكان اولى تدبر وقوله فعادت
اى صارت وتباهى اى تفاخر والصلة ما يوصل به والجناب
بالفتح الفناء وما قرب من محل القوم والجمع اجنبة وقولهم جناب
فلان جناب فيه مفخم كما فى قوله تعالى اكرمى مثواه فى قول وقوله ثم
اسم السلام عليكما فليحفظ والعائد ما يعود على الشئ والمراد بالصلة
والعائد اظهر من ان يذكر وحاصل معنى الابيات انك
قصدت بلاد الهند لكسب الشرف والسيادة وتكميل النفس
بالتنسك والعبادة لا تزور الا ذلك ولا تقصد سواه من السلوك
فى هاتيك المسالك فاخذت الطريقة النقشبنديه التى تعجز

عن ادراك غوامضها فحول البرية ولقد عادت تباهي بك كل طريقة
وتطول بحقيقتها وحقيتها على كل حقيقة كيف لا وقد نالها من ذلك
الجناب السامي والعارض الهام ما هي صلة وعائدهما من اجل الفوائد
والعوائد فبشراك بها وبشراها وهنيئا لك بها اولاك مولاك واولاها
ولنتعرض هنا لبيان مبدأ ذهاب الشيخ الى الهند واخذ الطريقة
النقشبندية وبيان احوالها وتميزها على امثالها وان ادى ذلك
الى الاطناب وخالف ما عليه عادة الكتاب فنقول لما كمل جناب
الشيخ العلوم وتضلع من دقائق المنطوق فالمفهوم لبت روحه
دعوة ابراهيم عليه السلام فذهب حالا بماله الحلال الى بيت الله
الحرام فلما وصل الى مدينة الحبيب ومحط رحل كل كئيب جعل يفتش
عمن يصلح للارشاد ويرشد للصلاح والسداد قال الشيخ
فلقيت شخصا من اليمن اثار البركة واليمن وعليه سيما الصلاح
والعلماء العاملين فاستنصحته انتصاح الجاهل المقصر من
العالم المنتصر فنصحني بامور منها ان لا اباد ربا بالانكار على ما اراه
في مكة من القاطنين كان او من الزوار وان خالف ظاهر حاله
ظاهر اقوال الرسول وافعاله فلما وصلت الى مكة الشريفة والكعبة
السامية المنيفة بكرة يوم الجمعة الى الحرم لاكون كمن قدم بدنة
من النعم فجلست مستقبل الكعبة اقرأ دلائل الخيرات اذ الصلاة
على النبي يوم الجمعة من اعظم القربات فرأيت رجلا ذا لحية
بيضاء كالثغام وعليه ذي العوام من الانام قد اسند الى
الشاذروان ظهره ووجه نحوى وجهه بل وفكره فحدثتني نفسي
ان هذا الرجل لا يتادب مع الكعبة ولا يراقب في ذلك ربه ولم
اظهر ذلك الظهير ولم يطلع عليه سوى اللطيف الخبير فقال
يا هذا اما علمت ان حرمة المؤمن عند الله فوق حرمة الحرم وكعبته فضلا
اعلا كعبا من الكعبة واعظم فلما ذا تعترض باستدباري الكعبة
وتوجهي اليك وادباري عنها واقبالي عليك فهلا حفظت النصيحة
التي القاها من في المدينة لديك وتركت الاعتراض على ما وقع بين

يديك فلم اشك بانه من الاولياء والصلحاء الاخفياء ففمت اليه وقبلت يديه وسألته ان يعفو عني ويغفر لي ما صدر مني وطلبت منه ان يدلني على الرشد فاشار الى بانه لا يكون فتوحك هنا بل في بلاد الهند فايست من تحصيل شيخ في الحرمين يرشدني الى المرام ورجعت بعد قضاء المناسك الى الشام (ثم ان الشيخ) رجع الى وطنه الشلمانية وثابر على تدريس العلوم النقلية والعقلية الى ان اتى شخص هندي فاجتمع به واظهر له مزيد تشوقه وحبه ووفور رغبته بالسلوك على يد مرشد كامل ومربي واصل فقال له ان لي شيخا كاملا عالما عاملا عارفا بمنازل السائرين الى ملك الملوك خبيرا بدقائق الارشاد والسلوك نقشبندي الطريقة علما في علم الحقيقة فسر معي حتى نرحل الى خدمته في جهان اباد وقد حققت اشارة بوصول مثلك هناك الى المراد فانتقش القول في قلبه واخذ يجامع لبه فرحل (سنة ١٢٢٤) الى بلاد الهند من طريق السري يطوي بايدي العيس بساط البيداء اسرع طي ومر بمسيره على كثير من بلاد العجم وبلاد فيها كثيرا من العلماء والزمهم والفهم قال الشيخ وبعد خروجي من بلدة يقال لها لاهور وصلت الى قصبة فيها العالم النحرير والولي الكبير اخو شيخنا في الطريقة والاثابة الى مولاه الشيخ المعمر ثناء الله النقشبندي فبت في تلك القصبة ليلة فرايت في الواقعة انه قد جذبني من خدي باسنانه المباركة يجرني اليه وانا الاجر فلما اصبحت ولقيته قال لي من غير ان اقص عليه الرؤيا اسرع على بركة الله تعالى الى خدمة اخينا وسيدنا الشيخ عبد الله مشيرا الى ان فتوحي سيكون عند الشيخ المقصود وهنالك تاخذ المواثيق والعهود وتنجز الوعود فعرفت انه قد اعمل همته القلبية ليجذبني اليه فلم يتيسر لقوة جاذبة شيخي المحول فتوحي عليه فرحلت من تلك القصبة اقطع الايخاد والاوهاد الى ان وصلت دار السلطنة الهندية وهي المعرفة بجهان اباد بمسير سنة كاملة وقد ادركتني نفحاته واشاراته قبل وصولي بنحو اربعين مرحلة وهو اخبر قبل ذلك بعض خواص اصحابه بوفودي الى اعتاب قبابه (ثم ان الشيخ) ليلة دخوله انشأ قصيدته العربية يذكر فيها وقائع السفر

ويتخلص بمدح شيخه قدس سره الانور ويستعطفه سائلا من الله القبول شاكرا له على الوصول ومطلعها

كملت مسافة كعبة الامال ... حمدا لمن قد من بالاكمال
واراح مركبي الطريح من السرى ... ومن اعتواد الحط والترحال
وازاح عني قيد حب مواطني ... وعلاقة الاحباب والاهوال
وتشاحن الاقران في رتب العلى ... وملامة الحساد والعذال
واعاذني من فرقة افاكة ... واجارني من امة جهال
اعني روافض اربيجان الاولى ... هم شنع المخاوق في الافعال
ومضلها الكاشي اسماعيل اذ ... قد حار لما شب نار جدال
سحقا له من مدع متزخرف ... بعدا له من منكر مضلال
وغلاة فرس في حديث مسند ... قد بشروا باطاعة الدجال
وتبرا اهل الطوس من سمو الرضا ... ونفوسهم سموا احبة آل

الى ان قال متخلصا

وانا التي اعلا المآرب والمنى ... اعني وصال المرشد المفضال
من نور الافاق بعد ظلامها ... وهدى الخلائق بعد طول ضلال
بحر الهدى بدر الدجى شمس التقى ... كنز الفيوض خزانة الاحوال
كالارض حلما والجبال تمكنا ... والشمس ضوءا والسما معالي
عين الشريعة معدن العرفان والا ... حسان والايقان والافضال
قطب الطريق وقدوة الاوتاد بل ... غوث الخلائق رحلة الابدال
شيخ الانام وقبلة الاسلام صد ... ر للعظام ومرجع الاشكال
هاد الى الاولى بهدي مختف ... داع الى المولى بصوت عال
محبوب رب العالمين من اهتدى ... بهداه نال السبق للاعمال
اخفاه رب العرش جل جلاله ... في قبة الاعزاز والاجلال

ومنها يخاطب لسانه

واسكن بذا الوادي المقدس خالعا ... نعلي هوى الكونين باستهال
حجر مقامك بالمقام بلا صفا ... من طوف حضرة كعبة الامال

ومنها

من شام لمعا برق ديارہ ... بمشاہد روض الشام كيف يبالى
كنت من تلقاء مدين مصرہ ... نارا تهيج البال بالبلبال
فهجرت اهلى قائلا لهم امكثوا ... ارجع بما يغنى عن الاشغال
ونويت هجران الاحبة كلهم ... وركبت متن الاجرد الصهال
فطوى منازل فى مسيرة منزل ... واها لجار سابح شملال

ومنها

سلب الهوى لبى فماق خاطرى ... غير الحبيب وشوق طيف وصال
قد حان حين تشرفى بوصاله ... من لى بشكر عطية الايصال
فكانما قضيت الهنا فى اشهر ... طلبا لبعد مسافة الاحوال
ووهبت اقواما على طى الفلا ... ونزول غور وارتقاء جبال
ورزقتنا بقبيل عتبة قبلة ... فاز المقبل منه بالاقبال
فارزق الله العالمين بحقه ... اربا يليق بذا الجناب العالى
وامدنا بلقائه وبقائه ... وعطائه ونواله المتوالى
وردنا حضورا فى حضوض قبابه اذ ... لم الورى بحماه تحت ظلال

ومنها

رزكل يوم فى فوادى وقعه ... ما دمت حيا فى جميع الحال
وامتن مرضيا لديه وراضيا ... عنه رضى يجدى مفاز مآل
فالحمد للفتاح ابواب العطا ... القادر المتقدس الفعال
ثم الصلاة على الرسول المجتبى ... خير الورى والصحب بعد الآل

وهى طويلة وهذا القدر كاف وبعد وصوله بجرد عما عنده من حوائج السفر وانفقه جميعه على المستحقين ممن حضر فاخذ الطريقة النقشبندية بعمومها وخصوصها ومفهومها ومنصوصها على شيخ مشايخ الديار الهندية ووارث المعارف والاسرار المجددية سباح بحار التوحيد سياح قفار التجريد قطب الطرائق وغوث الخلائق ومعدن الحقائق العالم الفاضل والولى الكامل العارف الاواه الشيخ عبد الله الدهلوى قدس سره وعمنا بره ولم تكمل سنة حتى صار العلم المفرد والمرشد الاوحد فاجازه بالارشاد وخلع عليه خلعة الخلافة التامة

فى الطرائق الخمسة النقشبندية والقادرية والسهروردية والكبروية والجشتية واجازه بجميع مايجوزله روايته من حديث وتفسير وتصوف واحزاب واوراد وغير ذلك وسند شيخه المومى اليه لازالت سحب الرضوان منهلة عليه فى هذه الطريقة اشهر من ان يذكر وقد اخذت ولله الحمد . هذه الطريقة الشريفة السامية المنيفه من جناب الشيخ قدس سره وعمم بره ولم يقل بخدى العذار ولا احاط ليله البهيم بصبحى ولا استدار اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا . وهى طريقة عليه سنية سميه وقد نص كثير من العلماء الاعلام ومشايخ الاسلام على فضلها وشرفها وبالغوا فى مدحها ووصفها فذكر العقد الحادى عشر العلامة الشيخ احمد بن حجر فى خاتمة فتواه ان الطريقة العلية السالمة من كدورات جهلة الصوفية هى طريقة النقشبندية وقال الشيخ على القارى فى شرح حصن الحصين عند قوله صلى الله تعالى عليه وسلم من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله تعالى له الف الف حسنه ومحى عنه الف الف سيئه ورفع له الف الف درجة مانصه ولعل وجه هذه الفضيلة بخصوص السوق لانها محل الغفلة فالذاكر فيها كالمجاهد فى الغازين وهذا دليل لما اختار السادة النقشبندية من اكابر الصوفيه حيث قالوا الخلوة فى الجلوه والعزلة فى الخلطة فالصوفى كائن باش وعريب قريب وعرشى فرشى ونحو ذلك من عباراتهم نفعنا الله تعالى ببركاتهم ومن تتبع احاديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعرف اخباره واحواله وعلم اقواله وافعاله تبين له ان هذه الطريقة هى التى اختارها صلى الله تعالى عليه وسلم بعد البعثة وحث امته على هذه الحالة وتبعه اكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم دون ما ابتدعه المبتدعة ولو كان بعضها مستحسنة فى الجملة (انتهى) وقال بعض اكابر شراح الحكم العطائية السالكون على قسمين سالك مجذوب ومجذوب سالك فالاول يشهد الاثار ولا يثبت ثم يستدل بها على الاسماء

ويستدل بالاسماء على ثبوت الاوصاف وبثبوت الاوصاف على وجود
الذات لانه محال ان يقوم الوصف بنفسه وهذا هو شأن العموم
واكثر ما في الكتاب والسنة يشير الى ذلك كقوله تعالى ان في خلق السموات
والارض الآية والثاني يشهد الذات اولا وينكشف له ما يليق باستعداد
ثم يرد الى شهود الصفات ثم يرجع الى التعلق بالاسماء ثم يرد الى شهود
الآثار عكس ما كان السالك الاول عليه فنهاية السالك المجذوب
بداية المجذوب السالك لكن لا بمعنى واحد فان مراد السالك المجذوب
شهود الاشياء بالله تعالى فالاول عامل لتحقيق الفناء والمحو والثاني
مسلوك بطريق البقاء والصحو لما كان شان الفريقين النزول في تلك
المنازل المذكورة لزم منه التقاؤهما في السير هذا في الترقي وهذا في التدلي
ومن هنا تعلم ان المجذوب السالك اعلى من السالك المجذوب لاشتراكهما
في العبور على المنازل وزيادة المجذوب بانه يشهد الاشياء بالله تعالى
كما لا يخفى وايضا ان السالك المجذوب ينتهي الى الفناء وهذا ينتهي الى
البقاء والصحو بعد الفناء وهذا اكمل من الاول لانه مقام الانبياء
وورثتهم من المرشدين المكملين اذ مقام الارشاد لا يصح ولا يصلح
الا لمن تحقق بالبقاء بعد الفناء فلا بد للقسم الاول من الرجوع الى هذا
المقام حتى يصح منه الارشاد وغالب طريقة السادة النقشبندية
الجذب اولا ثم السلوك وهذا يعرفه من ذاق طريقهم فاجتهد اتها
الاخ في تحصيلها تكن من الملوك (انتهى) وقال العارف المحقق
الشيخ محمد مراد الازبكي في مطلع رسالته ان الغاية القصوى من
سر الايجاد انما هو التحقق بكمال الايمان والاسلام والاحسان المعبر
عنه بحق اليقين المحقق لدوام العبودية على طريق الاستهلاك
المنعكس جماله من مجال المتحققين به اصطفاء واجتباء الى الكائنين
معهم والمرتبطين بهم حبا وصحبة واتباعا فلقد سبقت تلك الحسنى
من مجلاها الجامع للمحافين به انعكاسا وانضباغا وتسلسلت
بها النقشبندية خصوصا فتبنوا لها بالعمل على السنة والفرعة
وتطهروا لها بالاجتناب عن البدعة والرخصة ووفقوا لانعكاسها

على دوام الحضور وكما الاتباع وعكفوا لانضباغها فى تشرب
الانتقاء فى المجال بتمام الاقبال فتجلت لهم صباحتها وانجلت اليهم
ملاحتها فطوبى لمن استمسك بهذه العروة الوثقى ثم قال بعد
كلام اعلم ان الطريقة النقشبندية قدس الله تعالى اسرارها اليها
طريق الصحابة رضى الله تعالى عنهم عن اصلها لم يزيدوا ولم ينقصوا
وهى عبارة عن دوام العبودية ظاهرا وباطنا بكمال الالتزام بالنية
والعزيمة وتمام الاجتناب عن البدعة والرخصة فى جميع الحركات
والسكنات فى العادات والعبادات والمعاملات مع دوام الحضور
بالله تعالى على طريق الذهول والاستهلاك فهى الانضباغ والانعكاس
بكمال ارتباطهم جامع هذه المجاهدة الزكية المستورة يستوى
فى استفاضتها الشيوخ والصبيان وفى افاضتها الاحياء والاموات
ويندرج انتهاؤها فى الابتداء وابتداؤها انتهاء غيرها لما فيها من
انجذاب المحبة الذاتية مما فضل به واسطتها الصديق الاكبر
رضى الله تعالى عنه ولها اصلان اصيلان من اعطيهما اعطى كل
شئ كاتباع النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ومحبة الشيخ الكامل لكنها
ليست توجد بالتكلف بل التكلف فيها زندقة بل هى من عطاء الله
تعالى يمن على من يشاء من عباده فالصحبة بشروطها مع هذين
الاصلين كافية للانعكاس والانضباغ (انتهى) ونقل شيخ
شيخنا الشيخ عبد الله الدهلوى قدس الله تعالى اسرارهما وجعل
فى حضرة القدس قرارهما فى بعض رسائله الفارسية عن العالم
المحدث شارح المشكوة الشيخ عبد الحق الحنفى الهندى الدهلوى
القادرى ثم النقشبندى انه قال فى رسالته موصل المريد الى المراد ليس
عند المنصف لكسب حالات الفناء والبقاء طريقة احسن من الطريقة
النقشبندية الى غير ذلك مما نقلناه اهل القلم واعقب السلام
وبالجملة هى ام الطرائق ومعدن الحقائق امرها كبير وشانها خطير
قد جرى على قبولها الوفاق واقر بفضلها علماء الآفاق فهى الطريق
الاسلم الواضح والمشرب الاعذب الاصفى المصون عن قدح كل قادح

على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

سقانا الله تعالى من رحيقها المختوم ورقانا الى معارج سرها المكتوم ورحم الله امرأ عرف الحق فانصف وسلك الجادة وما تعسف

قال الناظم

بنفسي سياح الاقاليم طالبا لمرضاة مولاه بحق يجاهد

اقول قوله بنفسي اي افدي بنفسي والسياح صيغة مبالغة من السياحة بالكسر وهي كالسيوح والسيحان والسيح الذهاب في الارض للعبادة ومنه المسيح ابن مريم وهو منصوب على انه مفعول افدي الذي تعلق به الجار ويجوز ان يكون مرفوعا على انه مبتدا والجار متعلق بمقدر كما اشرنا اليه او نحوه خبره فالكلام على قوله (بابي انت وفوك الاشنب) زكانما ذر عليه الذرنب (والاقاليم جمع اقليم كقنديل وهو قطعة معلومة من الارض والاقاليم على ما ذكره الاقدمون سبعة وذلك انهم قسموا الربع المعمور لسبع قطاع مستطيلة طولها من المشرق الى المغرب بفرض سبعة خطوط مستديره او ثمانيه على موازات خط الاستواء وتسمى تلك القطاع الاقاليم السبعة وكل قطعة منها اقليما وهو قطعة من بسيط الارض منحصرة بين نصفي دائرتين متوازيتين وموازيتين لخط الاستواء اذ لم يكن احداهما وبين قوسين محصورتين بينهما من افق القسمة طولها من المشرق الى المغرب نصف دور وعرضها شئ قليل على ما بين في محله واول كل اقليم اطول من آخره فان اطول الاقاليم يتقاصر بحسب البعد عن خط الاستواء حتى يكون طول آخر الاقليم الاخير الف وستمائة وسبعة وعشرون فرسخا بالتقريب مع ان اول الاول اربعة الاف فرسخ وابتداء الاقليم الاول منه اي من خط الاستواء والنهار هناك ابدا ثنا عشر وعند الجمهور من حيث النهار الاطول من السنة بثلثة مد والعرض الشمالي يب م ووسطه اصطلاحا بالاتفاق حيث النهار الاطول يج والعرض يولز وقد وقع في الاقليم الاول بعض بلاد البربر والسودان المغرب والنوبة والحبشة كفاية معدن

الذهب من بلاد السودات ودنقله مدينة النوبة .
وجرمى دار ملك الحبشة واكثر بلاد اليمن مثل زبيد
وعدن وسحر مغا وصنعا ونسبا وظفار وقلهات
وحضرموت ومدينة الطيب ومعلا وصحار
قصبة عمان والطرف الجنوبى من ارض الحجاز وبعض
خليج فارس وجزيرة كرك وبعض البلاد الجنوبيه من
السند والهند وسواحل البحر الجنوبى وبعض ارض الصين
وفيه من الجبال والانهار العظيمة عشرون جبلا وثلاثون
نهرا وعامة اهله السود وابتداء الاقليم الثانى
وهو لامحالة اخر الاقليم الاول حيث النهار الاطول (يج به)
والعرض كز ووسطه حيث النهار كدم وفيه بعض بلاد
وبعض بلاد افريقية والصعيد الاعلى وبعض بلاد
جزيرة العرب كمدينة رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم ومكة شرفها الله والطائف وهجر
وقطيف وبحرين وفيه هرموز من كرمان ومعظم
بلاد السند منها منصوره ومعظم بلاد الهند ومنها
دهلى وبعض بلاد الصين وفيه من الجبال سبعة
وعشرون ومن الانهار مثلها وعامة اهله بين السواد
والسمره وابتداء الثالث حيث النهار يجمه والعرض
كزل ووسطه حيث النهار يد والعرض لم وفيه
بعض بلاد طنجة والبربر وافريقية وفيه السوس وقيروان
وطرابلس المغرب واسكندرية ومصر ودمياط ومدين
وبيت المقدس وطبرية ودمشق وكوفة ومداين وبغداد
وواسط والبصرة وعسكر واهواز واصفهان وفارس ويزد
وبرديسه مدينة كرمان واخبيص منه وسيستان وكيج ولبست

وزابل

وزابل وسولتان من السند وقندهار من الهند وقشمير ودار ملك اهل
الصين وفيه من الجبال ثلاث وثلاثون ومن الانهار اثنان وعشرون
وعامة اهله الشمر وابتداء الرابع حيث النهار يديه والعرض بحلوز
ووسطه حيث النهار يدل والعرض كركب وفيه طبخة وبلاد
فرغه وجزيرتا رودس وقبرس وانطاكيا وطرسوس وطرابلس
الشام وانطاكيه وحلب وملطيه وامد واردبجان ونصيبين
والموصل وسترمن راى وارميه ومراغه وتبريز وحلوان واردبيل
وشهرزور وزنجان ونهاوند وسلطانيه وصمذان وابهر وقزوين
والديلم وساوه والموت وقم وامل وكاشان وساريه وسمنان
ودامغان واستراباد وبسطام وجرجان واسفراين وشهرستان
وسيراوز وطوس ونيسابور وتون وزوزن وهراة وسرخس
ومرو وجوزجان وقارياب وغرجستان وغور وبلخ وترمذ وصفانيان
وبذخشان والنيت الداجل وجبال قشمير وبعض بلاد ختن وخطا
وشمال بلاد الصين وفيه خمسة وعشرون جبلا واثنا وعشرون
نهرا وعامة اهله بين السمرة والبياض وابتداء الخامس حيث
النهار بدمه والعرض كحند ووسطه حيث النهاريه والعرض
مابه وفيه بلاد اندلس وبعض بلاد الروم كعموريه وقونيه
واقشر وقيصريه وسينوس وارزن الروم ودبار ارضية وشروان
وخوارزم والخارى ونسف وسمرقند وكش وشاش وحدود
طراز وخجند وفرغانه وحدود كاشغر وختى وتنكث واقصى بلاد
الترك وفيه ثلاثون جبلا وخمسة عشر نهرا وعامة اهله السمرة
والبياض وابتداء السادس حيث النهار مه به والعرض مجكب
ووسطه حيث النهار به ل والعرض مه كا وفيه شمال اندلس وبلاد طائفة
من افرنجه وبعض بلاد الروم مثل قسطنطينية وبلاد الروس
والصقالبه وبلاد اسس والان وموقان وخزر واسقين ومعظم
تركستان والمالغ وبيش بالغ وقراقوم وبعض مساكن اتراك الشرق وفيه احدى عشر
جبلا واربعون نهرا والغالب على اهله الشقرة وابتداء السابع

حيث النهاريه مر والعرض مرتيب ووسطه النهاريو والعرض
محتنب وفيه بعض بلاد الصقالبه والروس وبلغار وعبانمن وجبال
ياوى اليها اتراك كالوحوش وشمال بلاد ياجوج وماجوج ونهايات
مساكن اتراك الشرق ومن الجبال والانهار كما فى السادس والوان اهله
بين الشقره والبياض كذا ذكره العلامة الجغمين ووجه تسميتها
بالاقاليم هو انها ماخوذة من القلم بمعنى القطع كانها قطع كل منها عن
الآخر وفى اختيار هذا العدد قولان احدهما انه كان ملك استولى على
البلاد كلها وكان له سبعة بنين فقسمها عليهم على هذا الوجه
وقيل قسم على الكواكب السبعة ونسب كل قسم منها الى كوكب وهذا
النسب اذ فى كل قسم منسوب الى كوكب يوجد فى اخلاق الانسان وصفاته
وغير ذلك ما يناسب ذلك الكوكب ذكر ذلك البرجندى والبحث عما
اشتملت عليه هذه الاقاليم طويل لا يسع هذا المقام ذكره من اراد
ذلك فليرجع الى نزهة المشتاق او معجم البلدان وفيه العجب العجاب
لكنى اقول قد يطلقون الاقليم على قطعة كبيرة من الارض مشتملة
على بلاد وانهر كالعراق والحجاز والشام واليمن الى غير ذلك ويسمى بالاقليم
العرفى والاقاليم العرفية كثيرة والمشهور اليوم تقسيم المعمور اعنى
الارض القارة الى خمس قطع وهى اوروبا وفيها اسلامبول واسيا
وفيها بغداد وافريقيه وفيها مصر والارقيا نوسيه وهى الجزائر البحرية
ومنها جزيرة جاوه وامريقا وهى التى تسمى بالتركية بنى دنيا اى دنيا
جديدة وهذه القطعة مضت عليها مدة طويلة وهى لسكنة غيرها
من القطع مجهولة لكن قيل ان فى كتب بعض الاقدمين اشارة اليها
ففى كتاب دريلو المسمى خزانة الكتب الشرقية ما نصه جزيرة خشك
معناها الجزيرة اليابسة او الجزيرة الارضية او الارض او البر وتسمى
خشكا اى يابسة عند المشارقة تبعا للعبرانيين وهذه
الجزيرة التى يمكن اعتبارها ارضا قارة موضوعة على قول
الجغرافيين من الاسلام وراء جبل قاف وهى ارض منفصلة عن
ارضنا الى ان قال وسماها افلاطون جزيرة الاطلنتيد وقال

هى ورد

هى ورآء جبل اطلس يعنى به جبل الدرن المسمّى عند المشارقة جبل
قاف انتهى باختصار وهل كان لها اتصال بهذه الارض ثم قطعه
البحر او لم يكن قيل كل محتمل وعلى القول بعدم الاتصال يحتمل انه كان
يذهب اليها من قديم بالسفن ثم هجرت لما فى ذلك من المخاطرة واقتحام
الشدائد حيث لم تكن السفن اذ ذاك مثلها اليوم ولم تكن الدلالة
فى البحر اذ ذاك ايضا مثلها اليوم وقال ملطرون بعد كلام طويل
لا مانع ان يقال ان امريقا فى اداب اهلها ولغاتهم ما يفهم ان بها
اثر توا صل قديم مع بلاد اسيا لكن قيل ظهور الاديان الموجودة
الآن عند اهل اسيا والا لانتقل شئ منها اليها انتهى واول
من كشفها شخص يقال له كرستف كلمب وهو جنوبزى كان فى خدمة
ملك اسپانيا وذلك انه لما كثر سفر اهل البرتوغال فى البحر وكشفوا
بعض جزائر مجهولة رغب كلمب فى نحو ما رغبوا وبجرد امعانه
النظر فى صورة الارض القديمة وانها نصف كرة جزر بانه *
لابد من وجود النصف الآخر وهو باق فى الكرة فطلب من يوحنا
الثانى ملك البرتوغال ان يرسله للكشف فابى فذهب الى ديوان
اسپانيا فطلب ذلك من الملكة ايزابيلة فاعطته ثلث
سفن فسار ورسى على الجزائر الخالدات ثم رحل منها فسار ثلاثين
يوما فوصل الى جزيرة غونهانى وهى احدى جزائر امريقا وكان
ذلك لثمانى عشرة من ذى الحجة سنة ثمانمائة وسبعة
وتسعين هجريه وقيل ان يفصل ضجر من معه حتى انهم ارادوا
ان يرموا به فى البحر ولما وصل حيوه بتحية امير البحر ونائب الملك
ولما راى اهل غونهانى السفن رعبوا وهربوا الى الجبال ولم
يتخلف منهم الا امراة فتلطف بها كلمب فاعطاها خبزا ونبيذا
وبعضا من لذائذ الطعام فاانست ثم آنس بها المستوحشين
فاستاذن من رئيسهم فى بناء حصن فاذن له فبناه من خشب
وسمى جزيرة اسپينيولة واسكن فى الحصن ثمانية وثلاثين
شخصا ممن معه ثم انه ركب وكشف مقدارا من الجزائر

وحمل معه منها مقدارا من الذهب والحيوانات الغريبة ورجع قاصدا
اوروبا من جهة الشمال الشرقي وبعد قطع نحو خمسماية فرسخ من
المحيط اعصفت الرياح وتحقق الغرق فاخذ رقا وكتب قصته وجعله
في مشمع وجعل المشمع في قرص من الشمع ووضعه في برميل واحكم
سده والقاه في البحر رجاء ان يقع في يد انسان فيوقف عليه
من ينتفع به فبعد ان صنع ما صنع سكنت الرياح واستقر البحر
فسار حتى وصل بلدة اشبونه دار سلطنة البرتوغال فاقام
خمسة ايام ثم سار حتى رسى على اسپانيه واياه سبعة
اشهر واحدى عشر يوما فلما رآه اهل اسپانيا ووقفوا على امره
عظموه وادخلوه البلد بموكب عظيم وكانت الملكة ايزابيلة مع
زوجها الملك فرديناند في بلدة برسلونه فاخبرهما بقدومه
في كتاب ارسله اليهما فاستدعياه وادخلاه بموكب عظيم ايضا
واجلساه على كرسي وقاما له فقص عليهما قصته غير مفتخر ولا
مسيح فعجبا من عقله وشجاعته ثم انهما جهزا له سبع عشرة
سفينة والفا وخمسماية نفس منهم بعض اعيان الدولة واعطوه
سائر ما يحتاج اليه في امر العمارة فسار حتى رسى على الجزيرة
السابقة فراى من تركهم من اصحابه قد هلكوا فاستفسر عن سبب
هلاكهم فاخبره اخو شيخ الجزيرة بانهم افسدوا بعده ونهبوا النساء
وفسقوا بهن فاجتمع عليهم اهل الجزيرة فوضع شيخ اهل الجزيرة
النار في الحصن فكان ما كان فاراد من معه ان ياخذ واثار اصحابهم
فابى كلمب لان ذلك خلاف المصلحة واختار محلا اخر غير بلك
الجزيرة فاختط فيه مدينة وسماها ايزابيلة باسم الملكة فبناها
وحصنها لكن على غاية التعب ثم انه جعل يطوف في البلاد ويظهر
انواع الزينة العسكرية من نشر الرايات وضرب الموسيقى
واللعب على الخيل فوقع في قلوب اهل امريقا الرعب من ذلك
وعظمت هيبته عندهم وكانوا يظنون ان الفارس وفرسه
حيوان واحد ناطق فيعجبون من ذلك غاية العجب وذهب

الى اهل سيبا وقرأى فيها الذهب يتدحرج فى الغدران والجداول
ومنه ما هو كالحصى الكبار فبنا هناك قلعة صغيرة وسماها سنت نوما
فان الناس جعلوا ايسا فرود للكشف من عند انفسهم وباموالهم
فسافر لذلك الوزير باريع سفن من غير الطريق الذى سافر فيه
كلمب فاكتشف عدة اماكن وكان ممن صحبه شخص يقال له امريق
من اعيان افلورنسه وكان عالما بالامور البحرية ذكيا نطوقا
قادرا على حسن التعبير فالف رحلة شافية لغليل المتطلعين
لمعرفة العجايب ذكر فيها من احوال هذه الارض ما يغبر وجوه الغرائب
فاستحسنها الناس وانسهم غاية الاستيناس حتى انسهم
الكاشف الاول فجعلوا يسمون تلك الارض امريقا وكان ذلك
من باب الصب للنورة والعمل للزنيخ وكان كلمب فى اول الامر يعبرها
قسما من اقليم اسيا داخلة فى اسم الهند لما بينها وبين الهند من
المناسبة فيما يتولد فيها من المعادن وافقه على ذلك كثير من
الناس فاطلقوا عليها اسم الهند الغربى وسموا اهلها هنودا
وهند بين وبعدان اظهر انها ليست من الهند فى شئ لم يجر ذلك
الاطلاق ولم تترك تلك التسمية فكم من غلط شاع ولم يتدارك امره ولم
يترك فى الآفاق ذكره ثم انها صارت بين الافرنج على التوزيع ثم
استقل امرها بين اهلها ولم يبق متوحش الا اقل قليل واولئك
المتوحشون عبدة اوثان وغيرهم نصارى وقد حدثنى بعض
الاخوان انه سمع من حضرة مولانا الشيخ قدس سره انه قال
استأذنت فى الذهاب الى بنى دنيا للارشاد فلم يؤذن لى

وكم لله من سر خفى ... يدق خفاه عن ذهن الذكى

واهلها اصحاب تلبية حسنة الخلقة تامة الصناعة وقد
اختلطوا بالافرنج غاية الاختلاط وتناكحوا فلا تكاد ترى من اهلها
الاصليين غير اولئك المتوحشين وبلادها منها جنوبية ومنها
شمالية وذكر ان منها ما لم يكشف الى الان ومنها انها ركبار عذيذ وفيها من
الغرائب ما فيها وحدود كل قطعة من هذه القطع الخمس مذكورة

فى كتب الحقائق فلا حاجة الى اطالة الكلام بذكرها وانما اطلت الكلام فى امر مرقيا لكثرة سؤال الناس عنه والمرضات مصدر رضى وكذا الرضى والرضوان ويضمان وهو ضد السخط واللام للجادة للتقوية لان طالبا يتعدى بنفسه فهو على حد فعال لما يريد والمولى تقدم معناه والحق ضد الباطل كما ان الصدق ضد الكذب وفسر غير واحد الحق والصدق بمطابقة النسبة للواقع والباطل والكذب بعدم مطابقتها له الا انه شاع الحق والباطل فى الاعتقاد والصدق والكذب فى الخبر واعتبر بعضهم فى الصدق المطابقة من جهة النسبة وفى الحق من جهة الواقع وقد يفسر الحق ههنا بالجزم ويجاهد من المجاهدة وهى بذل الوسع (وحاصل المعنى) افدى بنفسى من دابة السياحة فى الارض طولها والعرض طالبا بذلك رضاء مولاه الذى خلقه وسواه يجاهد بهمة وحزم وصدق نية وعزم لهدر نفسه ويمهد رمسه وفى هذا اشارة الى وجوب تخلية النفس من المهلكات وتحليتها بالمنجيات ولو احتاج ذلك الى الاسفار وتجشم مشاق البرارى والقفار وقد ذكروا ان ذلك فرض عين على كل من لم يرزق قلبا سليما بالجذب الالهى والعلم اللدنى وممن صرح بذلك ابن الهمام وخير الدين الرملى والحموى محشى الاشباه وامثالهم من الحنفية والعز بن عبد السلام والامام الغزالى وتاج الدين السبكى والسيوطى وشيخ الاسلام القاضى زكريا الانصارى والعلامة ابن حجر واحزابهم من الشافعية والعارف ابن ابى جمرة وناصر الدين اللقانى والمحقق احمد زورق البرلسى وغيرهم من المالكية والشيخ عبد القادر الجيلى قدس سره وشيخ الاسلام الشيخ عبد الله الانصارى الهروى والشيخ ابن النجار الفتوحى ونحوهم من الحنابلة قال العلامة ابن حجر فى التحفة فى كتاب السير ويجب على من لم يرزق قلبا سليما ان يتعلم ادوية امراض القلب من كبر وعجب ورياء ونحوها لكن كفاية تعلم علم الطب وقال الخطيب الشربينى فى شرح الغاية وتنقسم

الطهارة الى واجب ومسنون ثم الواجب ينقسم الى واجب بدنى
وقلبى فالقلبى كالحسد والعجب والرياء والكبر قال الغزالى رحمه
الله تعالى معرفة حدودها واسبابها وطبها وعلاجها فرض
انتهى ويسمى ذلك علم القلب والعلم الباطن قال علاء الدين
الحصكفى الحنفى فى الدر المختار واعلم ان تعلم العلم يكون فرض عين
وفرض كفاية ومندوبا وهو التبحر فى علوم الفقه وعلم القلب قيل اى
التبحر فى علم القلب كما يستفاد من ظ العطف واما اصل علم
القلب فهو فرض عين ولولا خوف الاطناب لاوردنا كثيرا من
النصوص على ذلك وفيما ذكرناه كفاية للمسترشد فاذا علمت
ذلك فاعلم انه قد جرت العادة وجربت بان التطهر من النجاسات
المعنوية من الاخلاق الردية لا يتيسر فى الغالب الاكثر الا
بالسلوك على يد شيخ عالم عامل عارف كامل خبير بالعلاج سالك
فى ذلك المنهاج ومطالعة الكتب لا تنفع المعلولين ولا تجدى
نفعا لهؤلاء المبتلين من غير سلوك على يد شيخ يخرجه من رعونات
النفس الامارة الخاسرة الغداره ويطهره من اخلاقها الردية
ودسائسها الخفية كما تشاهد ذلك فى كثير من المنفقة المبتلين
بذلك والتحريمات تلحق بالمغيبات فما لا يتم الواجب الا به واجب
قال الامام الشعرانى فى كتابه مشارق الانوار القدسية
فى العهود المحمدية وقد اجمع اهل الطريق على وجوب اتخاذ الانسان
له شيخا يرشده الى زوال تلك الصفات التى تمنعه من دخول
حضرة الله تعالى بقلبه لتصح صلاته من باب ما لا يتم الواجب
الا به فهو واجب ولا شك ان علاج امراض الباطن من حب
الدنيا والكبر والعجب والرياء والحسد والحقد والغل والنفاق
كله واجب كما تشهد له الاحاديث الواردة فى تحريم هذه الامور
والتوعد بالعقاب عليها فعلم ان كل من لم يتخذ له شيخا يرشده
الى الخروج عن هذه الصفات فهو عاص لله تعالى ولرسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم لانه لا يهتدى لطريق العلاج بغير

شيخ ولو حفظ الف كتاب فى العلم فهو كمن يحفظ كتاب فى الطب
ولا يعرف تنزل الدواء على الداء فكل من سمعه وهو يدرس فى الكتاب
يقول انه طبيب عظيم ومن راه حين يسأل عن اسم المرض وكيفية
ازالته قال انه جاهل فاتخذ ذلك يا اخى شيخا واقبل نصحى واياك
ان تقول طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة فانه كفر
فانها كلها اخلاق محمدية سداها ولحمتها منها انتهى وقال فى الاجوبة
المرضية كان الامام احمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يقول
عبد الله يا ولدى عليك بالحديث واياك ومجالسة هؤلاء الذين
سموا انفسهم صوفية فانهم انما كان احدهم جاهلا باحكام دينه
فلما صحب ابا حمزة البغدادى وعرف احوال القوم كان يقول لولده
عليك بمجالسة هؤلاء القوم فانهم زادوا علينا بكثرة العمل
والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة ثم قال لا يقال لو كان
علاج هذه الامراض الباطنة واجبا لوضع الائمة من الصحابة
والتابعين والمجتهدين فى ذلك كتابا مثل ذلك لانا نقول ان هذه
الامراض التى حدثت فينا لم تكن فى اهل عصرهم ولو كانت لاستنبط
المجتهدون فى ذلك ادوية وكتبا وخلصوا الناس من الرياء ومثاله
كما فعلوا ذلك فى مسائل الفقه بل ذلك كان اولى لما هم عليه من
كثرة الخشية والخوف من الله تعالى ومراعاتهم الانفاس مع الله
تعالى ولا يقول عاقل قط ان احدا من الائمة يرى فى احد كبرا وعجبا اورياء
اوحسدا ويقر عليه ابدا بل كان يستنبط له الدواء من الكتاب
والسنة ليخرجه من اثم تلك الكبائر فقد بان لك انه يجب على من غلب
عليه مرض من الامراض الباطنة من عجب اوكبر اورياء اوغير ذلك
ان يطلب له شيخا يخرجه من تلك الورطة وان لم يجده فى بلده
اواقليمه وجب عليه السفر اليه وان من رزقه الله سلامة
الباطن من الامراض كالائمة المجتهدين وكل اتباعهم لا يحتاج الى
شيخ لان هذا قد عمل بما علم على وجه الاخلاص وذلك هو حقيقة
التصوف قال الامين الامام القشيرى واول ما حدث ظهر هذه

الامراض

الامراض الباطنة اواخر المائة الثالثة من الهجرة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فمن شهد له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالخيرية فقد حاز رتبة الكمال انتهى ملخصا وللعلماء الكرام كلام طويل فى هذا المقام من اراده فليرجع اليه فى محله قال الناظم

وما عام فى بحر السلوك موحد كما عمت فيه واعترتك الشدائد

اقول عام من العوم وهو السباحة على ما فى الصحاح (والبحر) خلاف البر يقال سمى به لعمقه واتساعه والجمع بحر وبحار وبحور وكل نهر عظيم بحر قال عدى

سره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضا والسدير

يعنى الفرات (والسلوك) الدخول فى الحضرة القدسية او العمل للدخول (والموحد) من التوحيد وهو ظهور فناء الخلق بتشعشع انوار الحق وله مراتب الاولى التوحيد النظرى ان علم بالاستدلال والتقليدى ان اعتقد بمجرد تصديق المخبر الصادق وسلم القلب من الشبهة والحيرة والريبة وهو ان يعتقد ان الله منفرد بوصف الالوهية متوحد باستحقاق العبودية وبه تحقن الدماء والاموال ويتخلص من الشرك الجلى فى الاحوال (الثانية) التوحيد العملى وهو ان يصير العبد بحر وجوده من غشاوة صفاته وخلاصه من سجن ظلمات ذاته وانسلاخه عن لباس الاختيار حيران فى فضاء انوار عظمة الجبار ولها تحت مسطورات سبحات الانوار فيعرف ان الموجود الحقيقى وان المؤثر المطلق هو الله تعالى وان كل ذات فرع من نور ذاته وكل صفة من علم وقدرة وارادة وسمع وبصر عكس من انوار صفاته واثر من آثار افعاله ومنشأه نور المراقبة وهو دون المرتبة الحالية لكن مزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون وعند ذلك تبقى من الظلمة الوجودية ويرتفع بعض من الشرك الخفى (الثالث) التوحيد الحالى وهو ان يصير التوحيد وصفا لازما لذات الموحد تتلاشى ظلمات رسوم وجود الغير

الا قليلا فى غلبة اشراق نور التوحيد واستتار نور حاله فى نور علم التوحيد كاستتار نور الكواكب فى نور الشمس

فلما استبان الصبح ادرج ضوؤه باسفاره اضواء نور الكواكب واستغراقه فى مشاهدة جمال وجود الواحد بحيث لا يظهر عنده شهوده الا ذات الواحد ويرى التوحيد صفة الواحد لا صفته بل لا يرى ذلك (قال الجنيد) قدس سره التوحيد معنى تضمحل فيه الرسوم وتندرج فيه العلوم ويكون لله كما لم يزل وقال ابن عطاء التوحيد نسيان التوحيد فى مشاهدة جمال الواحد حين قيامك بالواحد لا بالتوحيد (الرابعة) التوحيد الالهى وهو ان الله كان فى الازل موصوفا بالوحدانية فى الذات والاحدية فى الصفات كان الله ولم يكن معه شئ وهو الآن على ما عليه كان كل شئ هالك الا وجهه ولم يقل يهلك لان غيره لم يتدع لغيره وجودا وللعارف الانصارى قدس سره

ما وحّد الواحد من واحدٍ ... اذ كل من وحّده جاحد
توحيد من ينطق عن نعته ... عارية ابطلها الواحد
توحيده اياه توحيده ... ونعت من ينعته لاحد

وفى التوحيد كلام كثير لا يتسع المقام لذكره وما ذكرناه زبدة ما ذكروه فليحفظ وقوله (واعترتك) اى غشيتك وكذا اعترتك (والشدائد) الامور الشديدة وفى عطف اعترتك على عمت ما يظهر بالتامل ويمكن ان يقال لا عطف وانما الواو للحال والجملة حالية بتقدير قد او بدونها فتدبر (وحاصل المعنى) انك ايها الاوحد والعلم المفرد ما عام فى بحر السلوك مثل عومك ولا سرى فهم فى حضرة القدس مثل فهمك انت الذى نلت الغاية ووصلت النهاية فلا احد يجاريك وما واحد يدانيك اذ انت فى مكان رفيع وهيهات ان يدرك الضالع شاوى الضليع وكم اعترتك الشدائد التى تعترى السالكين فى السير والسلوك الى رب العالمين فلم يتعقك عن المسير ونصدك عن اللطيف الخبير فقدس الله تعالى ثراك وجعل فى اعلى الفردوس مثواك

قال الناظم

وخضت باصناف العلوم مكملا نهاك ولم يردعك عزك حائد
ولم ترض فى علم التقشف راغبا بجوهر علم منه تبدو الفرائد

(اقول خضت) ماضى خوض الماء خوضا وخياضا (والاصناف) جمع صنف وهو النوع والضرب والصنف بالفتح لغة فيه واهل الميزان يفرقون بين الاصناف والانواع بان الانواع ما تخالفت افرادها بالذاتيات كالانسان والفرس والاصناف ما تخالفت افرادها بالعرضيات كالجاهل والعالم (والعلوم) جمع علم والمراد به المسائل الباحثة عن العوارض الذاتية لشئ واحد وحدة حقيقية او اعتبارية سواء كانت باعتبار امر ذاتى او عرضى والعلوم المتداولة كثيرة ومنها ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية ومنها ما هو حرام كما بين ذلك فى محله وذكره العلائى فى دره وغيره فى غيره والعلوم مطلقا كثيرة لا تكاد تحصى وقد ذكر نبذة منها مولانا الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى الاجوبة المرضية (والنهى) العقل سمى بذلك لانه ينهى عن القبيح وهو نور روحانى خلقه الله تعالى للعبد يدرك به الاشياء كلها وجزئيها ضرورتها ونظريها وموضعه القلب الظاهر قوله تعالى اولم يكن لهم قلوب يعقلون بها وقيل الدماغ بدليل انه اذا ضرب على ام راسه ضربة مؤلمة ذهب عقله (وقيل) فى القلب وشعاعه بالدماغ والعقل الى هذا اميل وسيأتى ان شاء الله بعض الكلام عليه (ويردعك) من ردعته عن الشئ اردعه ردعا فارتدع اى كففته فكف (عزاك) اى عن الخوض او العوم (والحائد) من حاد عن الشئ يحيد حودا وحيدودة مال عنه وعدل وصل حيدودة بتحريك الياء فسكنت لانه ليس فى الكلام فعول غير صعفوق قاله فى الصحاح واراد بعلم التقشف علوم الرسوم مما ليس فيه جدوى وكانه ماخوذ من قشف الرجل قشفا اذا لوحته الشمس او الفقر فتغير اى العلم المتغير المختلف وقيل غير ذلك (وراغبا) من رغبت بالشئ اذا اردته رغبة ورغبا بالتحريك (والفرائد)

كبار الدرر وكانها انما سميت بذلك لانها تفرد فى ظرف على حدة وفى
البيت الاول اشارة الى ان حضرة الشيخ قد تضلع من العلوم وحصل
المنطوق منها والمفهوم وهو كما اشار وبيان ذلك ان الشيخ قدس
سره ولد سنة الف ومائة وتسعين تقريبا بقصبة قوره داغ من
اكبر سناجق بابان وهى عن السليمانية نحو خمسة اميال ونشا
فيها وقرا ببعض مدارسها القران والمحرر للامام الرافعى من فقه الشافعيه
ومتن الزنجانى من الصرف وشيئا من النحو وبرع فى النثر والنظم قبل بلوغ
الحلم ثم رحل لطلب العلم الى النواحى الشاسعة وقرا فيها كثيرا من العلوم
النافعة ورجع الى نواحى وطنه فقرا فيها على العالم العامل والفاضل
الكامل السيف الهندى السيد عبد الكريم البرزنجى وعلى العالم الصالح
الملا صالح وعلى الكوكب السيارى الملا ابراهيم البيارى اخو الشيخ
عبد الكريم وعلى الفاضل الشيخ عبد الله الخزيانى ثم رحل الى نواحى
كرى وحرير وقرا شرح الجلال على تهذيب المنطق بحواشيه على العالم
النحرير الملا عبد الرحيم الزيارى المعروف بملا زاده وقراهناك على غيره
ايضا ورجع الى السليمانيه فقرا فيها وفى نواحيها الشمسيه والمطول
والحكمة والكلام وغير ذلك وقدم بغداد وقرا فيها مختصر المنتهى
فى الاصول ورجع الى محله المأهول وراوده بعض الامراء على التدريس
فابى ورحل الى سنه ح ونواحيها وقرا فيها العلوم الحسابيه والهندسيه
والاسطرلابية والفلكية على الفاضل الشيخ محمد قسيم السنندجى
وكمل عليه المادة على العاده فرجع الى وطنه وقد فاق ابناء زمنه
ما سئل عن عويصة الا وحلها ولا عن مشكلة الا وازال اشكالها وله
الصيت العظيم فى العلوم المنقول منها والمفهوم وقد مدحه علماء
عصره بذلك واقروا بفضله ولم ينكروا ماهنالك فمن جملتهم العالم
الاوحد الشيخ عثمان بن سند نزيل البصرة فقد مدحه نثرا ونظما
فمن ذلك (قوله) قسما لقد اوضح منهاج الفوائد وشرح الصدور
بمصابيح الامثال والشواهد واطلع فى ارجاء الافهام شموس الفرائد
وعنى بايضاح تحقيقات وايضاح مشكلات تدقيقات وجلا

عرائس افكار وجناغرائس انظار ورحل الى مضمار فلم يشق له غبار فهو الحقيق ان ينشد فيه اديب لم يزل يعانى قوافيه شعرا

باى بنان للعلوم يشير	فتى ماسقاه من هذا منير
احيا بنا ماذا التقاعد عن فتى	ذكاه باكسير العلوم يمير
الا فارحلوا الهوج المراقيل الاجتدا	دقائق عن نهج الرشاد تنير
وارتاع اذ واد الفهوم بمرتع	به روض احيا العلوم نضير
هو الروض رواه سحاب فكره	لقطب بحل البحث حيث يشير
وكم منهل صفاه عن كل ما قذى	ذكاء على حل العويص قدير

(ثم) قال ان كان الغزالى يفتخر فى الاحياء فانه فى منهاجه المنير يحيى وان افتخر ابن المقرى بعنوان الشرف او بروض منه ازهار تقتطف فلهذا الامام من الدرر ما ضاهاه الدره فى الصدف ومن الغرر ما هو البدر بالاسدف ثم انشد

ان كنت مكذبا ما اقول بقدره	فاسئل مآثره التى لا تحصر
ومباحثا فقهيه كشف النقاب	لها فابدت عن صحاح الجوهر
شكر النوى او التقى ذكاته	فى مبحث لولاه لم يتنور
غرر اداها فى وجوه مباحث	كالشمس لولا فكره لم تسفر
علما الى علم اضاف فقل به	ما شئت من مدح ولا تستكثر
الله يفطرة علوما ماجرت	الا جرت بجواهر فى دفتر
شتان ما مد الخضم ومده	ما جاد زفضلا كما لم يجبذر
فلكم ارانا من جواهر فقهه	ما كان حلية كل لفظ مفقر
كم حار ارباب النهى فى شكر	فابانه منه ذكاء حيد رى

الى آخر ما قال وهى قصيده طويلة وكمله ولغيره فى حضرة الشيخ من قصيد يبيد لكثرة المداد ولا يبيد وفيما ذكرنا وما نذكره كفايه والله تعالى ولى الهدايه (وفى البيت الثانى) اشارة الى ان حضرة الشيخ يجاهد نفسه فيحصل له العلم الذى ما دنسته يد الافكار ولا اختلفت فيه بصائر ذوى الابصار مما يمنحه الله تعالى لاحبائه وافراد من خليقته واوليائه وكثر من العلماء بعد تضلعهم من العلوم واريتوا منهم

من ضيا المنطوق والمفهوم تجرد والتحصيل العلوم الدنيه والرى
من صهباء المعارف القدسيه كما نقل عن بعض العلماء انه قال رايت
الغزالى فى البرية وعليه مرقعه وبيده عكاز وركوة فقلت له يا امام
اليس تدريس ببغداد افضل من هذا فنظر الى شزرا وقال لما بزغ
بدر السعادة فى فلك الارادة وضحت شمس اصول الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزلى ... وعدت الى مصحوب اول منزل
ونادت بى الاشواق مهلا فهذه ... منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم اجد ... لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة (وحاصل معنى البيتين ظاهر فليفهم)

(قال الناظم)

وما ظاهر يختاره ذو فطانة ... على باطن الاجهول معاند
وما القشر مثل اللب يدرك كنهه ... اخو اللب لا من خطه متقاعد

(اقول اراد بالظاهر) العلم الظاهر وهو ما بايدى الفقهاء ونحوهم
على ما يدعيه البعض (ويختاره) اى يفضله (والفطانة) بالفتح
الحذاقة من فطن كفرح ونصر وكرم فطنا مثلثة وبالتحريك وبضمتين
وفطونة وفطانية مفتوحتين فهو فاطن وفطون وفطين وفطن
كندس وفطن كعدل جمعه فطن بالضم وهى فطنه وفاطنه فى الكلام
اوجعه والتفطين التفهيم قاله فى القاموس وفسر فيه الذكاء
بسرعة الفطنة وقال العلامة السالكوتى الذكاء بالنسبة الى
اكتساب الآراء والافكار والفطنة بالقياس الى فهم كلام الغير
فهما متباينان وليس بينهما عموم وخصوص كما قيل واراد بالباطن
العلم الباطن وهو ما فى قلوب ارباب القلوب على ما هو الشايع ومثل
له شارح المحرر بقوله كالعلم بامراض القلب من الحسد والحقد والبخل
وما يتولد منها والعلم بحدودها وعلاجها والعلم بتحصيل اضدادها
من الرضا بالقضاء والقناعة وتحقير النفس والاخلاص والتواضع
والصفا والسخا واراد (بالقشر) علم الظاهر (وباللب) علم
الباطن كما يفهمه السوق وقال بعضهم القشر كل علم يصون فساد

عين المحقق لما يتجلى له الحق بالتجليات المتعالية المزدحمة وذلك قبل رسوخه فى الاعتدال وهذا العلم المسمى بالقشر هو علم الطريقة ومعرفة مواقع الزيغ والفساد وسمى بالقشر لأنه صاين للسنة واللب صاين من العلوم الدنية عن القلوب المتعلقة بالكون ولب اللب مادة النور الالهى انتهى (ويدرك) يفهم (والكنه) الحقيقة (ولخو اللب) صاحبه (واللب) العقل والجمع الباب والب والبب ولم يفرد فى القرآن العظيم بهذا اللفظ وافرد بلفظ الحجى (والحظ) قال فى القاموس النصيب والجد او خاص بالنصيب من الخير او الفضل جمعه احظ وأحاظ وحظاظ وحظاء بكسرهما وحظ وحظوظ وحظوظة بضمتين ورجل حظ وحظيظ وحظى ومحظوظ مجدود وقد حظظت بالكسر فى الامر حظا والحظظ بضمتين وكصرد صمغ كالصبر والحظ صار ذا حظ انتهى (والمتقاعد) الغير الناهض (وحاصل معنى البيت) انه فرق باين بين علمى الظاهر والباطن ومن له فكر يميز بين اللب والقشر وشتان بين ما يوخذ من ميت عن ميت وما يوخذ من الحى الذى لا يموت فهل يقاس الدر بالحصا والسيف بالعصا والسهى بشمس الضحى ولا يعرف حقيقة ذلك الا ذو فكر نقاد وعقل وقاد لا من مال الى سجين الهوى وجال على شفا جرف الجهال فهوى وتقاعد حظه عن اللحاق بارباب النفوس القدسيه والهمم العلية والعلوم اللدنية ولم ينهض للتشبث باذيالهم والاسترشاد باحوالهم فاختار فيه المختار وظن انه الواصل ولم يدر انه هو المختار فهو الجهول المعاند والمحروم المتقاعد هذا ما اظن ان الناظم اراده بل يتعين بمقتضى اطلاعنا ان هذا مراده الذى انعم به فواده وفى كلامه هذا نوع اشارة الى ان عندنا باطنا وظاهرا وانه فرق بينهما وهو بحث يحتاج الى بسط الكلام وارخاء اعنة الاقلام ليكشف اللثام ويتضح المرام (فنقول) قد اثبت علم الباطن كثير من العلماء قال الامام الغزالى فى الاحياء ان علم الآخرة قسمان علم مكاشفه وعلم معاملة اما علم المكاشفة فهو علم الباطن وذلك غاية العلوم

قال وهو علم الصديقين والمقربين فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهره وتزكيه من الصفات المذمومة ينكشف في ذلك ما كان يسمع من قبل اسمائها ويتوهم لنا معان مجملة غير متضحة اذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقة بذاته تعالى او بصفاته التامة او بافعاله وبحكمته في خلق الدنيا والاخرة انتهى وقال العلامة محمد شيخ الاسلام الحنفي في جواهر الفقه واما علم القلب فهو علم ذوقي ووجداني لا يضبط تحت السنة الاقلام ولا تحيط به الدفاتر والاوهام وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر والشرف للشجرة ولكن لا انتفاع الا بالثمر انتهى وكثير من القوم من يعبر عن العلم الباطن بالعلم اللدني المسمى بعلم المكاشفة وعلم الموهبة وعلم الاسرار والعلم المكنون وعلم الوراثة وعلم الحقيقة وقد قسم العارف ابن عربي العلوم ثلاثة مراتب علم العقل وهو كل علم يحصل ضرورة او عقب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل (الثاني) علم الاحوال ولا سبيل له الا بالذوق فلا يمكن غافل وجدانه ولا اقامة دليل على معرفته كالعلم بحلاوة العسل ومرارة الصبر ولذة الجماع والوجد والشوق فهذه علوم لا يعلمها الا من اتصف بها وذاقها (الثالث) علم الاسرار وهو فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروع ويختص به النبي والولي وهو نوعان والعالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها وليس اصحاب تلك العلوم كذلك انتهى لكن وقع من بعض القوم نفي علم الباطن قال الامام العارف الرباني الشيخ عبد الوهاب الشعراني وهو العمدة في امثال هذه المقامات في كتابه المسمى بالدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة ما نصه واما زبدة علم التصوف الذي وضع القوم فيه رسائلهم فهو نتيجة العمل بالكتاب والسنة فمن عمل بما علم تكلم كما تكلموا وصار جميع ما قالوه بعض ما عنده لانه كلما ترقى العبد في باب الادب مع الله تعالى دق كلامه على الافهام

حتى قال بعضهم لشيخه انكلامك لخى فلان يدق على فهمى فقال لان
لك قميصين وله قميص واحد فهو اعلى مرتبة منك وهذا هو الذى
دعى الفقهاء ونحوهم من اهل الحجاب الى تسميتهم علم الصوفية بعلم
الباطن وليس ذلك بباطن اذ الباطن انما هو علم الله تعالى واما
جميع ما علمه الخلق على اختلاف طبقاتهم فهو من علم الظاهر لانه
ظهر للخلق فاعلم ذلك (انتهى) وبهذا القول اقول لانه مما تستحسنه
العقول وينشهد له المعقول والمنقول وعليه فيقال تسميته بعلم
الباطن مجرد اصطلاح لانه باطن بالنسبة الى كثير من الناس
والعلم الواحد قد يكون ظاهرا عند قوم باطنا عند آخرين كعلم النحو
مثلا فانه علم ظاهر لدى اربابه غير ظاهر عند من لم يعلمه بل هكذا
سائر العلوم لكن لما كان علم القوم خفيا على الاكثر كان احرى بهذا
الاسم من غيره اذا تحققت ما ذكرناه فاعلم انه ما يسمى بالعلم
الباطن عند البعض لا يخالف العلم الظاهر فلا يحل ما يحرمه
ولا يحرم ما يحلله كما يزعمه كثير من الجهلة ولا حجة لهم بقصة الخضر
عليه السلام اما على قول الاكثرين من انه نبى فيقال ان الله تعالى
قد اوحى اليه بذلك ويؤيده وما فعلته عن امرى بل عن امر الله واما
على القول بانه ولى وانه فعل ذلك بطريق الالهام فيمكن ان يكون
الالهام حجة فى زمنه واما فى زماننا فالالهام ليس بحجة اما ان
وافق فالحجة فيهما لا فيه واما ان خالفهما فظن انه ليس بالهام
لان ملك الالهام لا يخالف ما اتى به الشرع قال الامام الشعرانى
فى كتابه المسمى بالجواهر والدرر وقد رايت فى كلام الشيخ محيى الدين
ما نصه اعلم ان لا نعنى بملك الالهام حيث اطلقناه الا القوة
المبثة من الارواح الملكية لا نفس الملائكة فان الملك لا ينزل
بوحى على غير قلب نبى اصلا ولا بامر الهى جديد فان الشرع قد تم
وتبين الفرض والواجب وغيرهما فانقطع الامر الالهى بانقطاع
النبوة والرسالة وما بقى احد يامره تعالى بامر يكون شرعا مستقلا
يتعبد به ابدا لانه ان امره بفرض كان الشارع قد امره وان

امر بمباح فلا يخلو اما ان يكون ذلك المباح المأمور به صار واجبا
او مندوبا في حقه فهذا عين نسخ الشرع الذي هو عليه حيث صير
المباح الشرعي واجبا او مندوبا وان ابقاه مباحا كما كان فاي فائدة
للامر الذي جاء به ملك الالهام لهذا المدعي فان قال لم يحتني ملك
الالهام بذلك وانما امرني الله تعالى من غير واسطة قلنا لا يصدق
في مثل ذلك وهو تلبيس من النفس فان ادعى ان الله تعالى كلمه
كما كلم موسى عليه السلام فلا قائل به ثم انه تعالى لو كلمه ما كان
يلقي اليه في كلامه الا علوما واخبارا لا احكاما وشرعا ولا يامره
اصلا انتهى (ثم) لو فرضنا ان الالهام في زمنه غير حجة ايضا
فالانبياء في زمنه موجودون فلعل الاذن في ذلك جاء اليه على
يد احدهم وممن صرح بانه لا مخالفة بين العلمين حجة الاسلام
الغزالي قال في الاحياء من قال ان الباطن يخالف الظاهر فهو الى
الكفر اقرب منه الى الايمان (انتهى) وقال السري السقطي
الصوفي اسم لمن فيه ثلث معان وهو ان التصوف اسم
لثلاثة معان وهو لا يطفئ نور معرفته نور ورعه ولا يتكلم
بسر باطن علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ولا تحمله الكرامات
على هتك محارم الله وقال ايضا من ادعى باطن علم ينقضه ظاهر حكم فهو
غالط وقال العلم الرباني والمعارف الصمداني سيدي عبد القادر
الكيلاني جميع الاولياء لا يستمدون الا من كلام الله ورسوله
ولا ياخذون ويعملون الا بظاهرها (وقال) ابو العباس احمد
الدينوري لسان الظاهر لا يغير حكم الباطن وقال ابو سعيد
الجزار كل فيض باطن يخالفه ظاهر فهو باطل الى غير ذلك مما ذكره
القشيري في رسالته وغيره في غيرها فعلى هذا من زعم ان له
مع الله تعالى حالا يخرجه من حد العلم الشرعي فهو ضال عن الحق
بل قال الغزالي من زعم ان له مع الله تعالى حالا اسقط عنه نحو
الصلاة او تحريم شرب الخمر وجب قتله واذا كان في الحكم بخلوده
في النار نظر وقتل مثله افضل من قتل مائة كافر ان كان ضرره اكثر انتهى

وقال العلامة ابن حجر في تحفته بعد نقله ذلك لا نظر في خلوده لانه مرتد باستحلاله ما علمت حرمته او نفيه ووجوب ما علم وجوبه ضرورة فيهما ومن ثم جزم في الانوار بخلوده وقد اطال العلامة المذكور الكلام في هذا المقام فان اردته فارجع اليه فعلى هذا لا فرق بين مذهب الصوفية وما عليه الفقهاء سوى ان الصوفية ياخذون لانفسهم بالاحوط والاوثق فيما اختلف وهم مع الاجماع مهما امكن وهذا شاق على النفس فيكون افضل لان الاجر على قدر النصيب فعلم الباطن على هذا ثمرة علم الظاهر وقد اسلفنا ذلك وقد فرضنا تطبيق ما في كلام الناظم على ما حققناه وادخاله في دائرة ما ذكرناه وحررناه الى ذهنك السليم وفكرك المستقيم والله تعالى المعين على التطبيق والموفق للتحقيق ولكني اقول كما قيل

راحت مشرقة ورحن مغربا ... شتان بين مشرق ومغرب

ثم الى عود فاقول ان كثيرا من جهلة المتصوفة يطلقون القشر على علم الشريعة امتهانا له والب على علم التصوف الباحث عن المقامات والاحوال والمحبة والعشق وما اشبه ذلك تعظيما له وانت تعلم ان امتهان علم الشريعة كفر ومنهم من يطلق ذلك عليه غير قاصد الامتهان بل سمعه من احد اخوانه يقوله فجعل يقوله ظانا انه اسم من اسماء علم الشريعة مثلا وامر هذا ليس بامر المتهنين ومن الناس من يطلق ذلك عليه باعتبار انه علم يصون عن الزيغ والغشاوة ويحفظ العالم به عن القيام به في كل واد وباعتبار معنى آخر ليس فيه امتهان ايضا فهذا مع ما ذكر من سوء الادب لم يسلم حيث اطلق على علم المرسلين ما يشعر بالذم وفي مكتوبات الامام الرباني قدس سره تشنيع عظيم على من يطلق هذا اللفظ على ذلك ورحمة الله تعالى عليه ما كان اغيره على الشريعة المطهرة وقد كان حماها محفوظا من فساد جهلة المتصوفة منه بقشورة وعلى قدمه كان حضرة مولانا قدس

وعمرنا بسره قال الناظم

لحى الله خبا خامر الوهم عقله بليد جنان في الطبيعة جامد
تعرض للانكار فينا بجهله ولم يجده ما قال والحق شاهد

(اقول لحى الله) اي قبح ولعن (والخب) قال في القاموس الخداع الجريز وهو بفتح الخاء المعجمة وقد يكسر (وخامر) اي خالط (والوهم) بسكون الهاء اراد به الغلط (والعقل) تقدم معناه قال الامام والعقل الذي هو مناط التكليف غريزة يلزم بها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات وقد يطلقه الحكما على جوهر مجرد ليس بحال ولا محل ولا مركب ولا مدبر وعلى النفس الناطقة التي يشير اليها كل احد بقوله انا وهي جوهر مجرد عن المادة مقارن لها في قوته ولها قوتان احداهما قوة تتوجه بها النفس الى ادراك الحقائق الموجودات والاحاطة باصناف المعقولات وتسمى عقلا نظريا والاخرى قوة تتصرف بالمرئي والرؤية في موضوعات المادية وتستنبط منها صناعة بها ينتظم امر المعاش والمعاد وتسمى عقليا عمليا وفي كلام بعض الصوفية رحمهم الله تعالى انه جوهر فطري يتميز به الصلاح من الفساد والخير من الشر فان تعلق بالخالق فهو عقل الهداية وان تعلق بالخلق فهو عقل المعاش وله عند الحكماء مراتب اربع (الاولى) العقل الهيولاني وهو الاستعداد المحض (الثانية) العقل بالملكة وهو العلم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات منها (الثالثة) العقل بالفعل وهو ملكة استنباط النظريات من الضروريات اي ضرورة الشخص بحيث متى شاء استحضر الضروريات واستنتج منها النظريات وقيل انه حصول النظريات بحيث يستحضرها متى شاء (الرابعة) العقل المستفاد وهو ان يحضر عنده النظريات بحيث لا تغيب عنه والكلام في هذا البحث طويل (والبليد) من بلد كفرح وكرم اراد به قاصر الفهم (والجنان) القلب (والطبيعة) كالطبع والطباع بالكسر السجية التي جبل الانسان عليها (وجامد) من جمد الماء وكل شيء سائل كنصر

وكرم جمدا وجمودا اضذاب واراد به غير متصرف (وتعرض) اى
تصدى ومنه تعرضوا لنفحات الله واراد (بالانكار) عدم الاعتراف
والتسليم (والجهل) خلاف العلم (ولم يجده) اى لم يفقده ولم ينفعه
واراد بقوله (ما قال) اى الذى قاله وذكره فى الانكار (والحق) اسم
من اسمائه تعالى اى الثابت الذى لا يغنى (وشاهد) اى مطلع على
صحة ما نحن عليه ومطلع على حال هذا المنكر (وحاصل المعنى) فتح
الله تعالى لخذاعا كثر غلطه وكبر شططه سقيم الجنان عديم العرفان
ذا طبيعة جامدة وسجية خامدة هامدة وقريحة قريحة وفكرة
قبيحة ورؤية ردية ودراية غير مرضية قد زاد جهله وصاحبا لوهم
عقله تعرض للاعتراض علينا والانكار لما بين يديا مع كثرة جهله وقلة
عقله ولم يزجره ان الحق شاهد عليه وان ما قاله لم يعد بالنفع اليه فلعنه
الله ما اجسره وقبحه الله ما اخسره فافهم ولا تغفل وجاز هذا
الدعاء على المنكر لانه من اعظم المصائب واقبح الغوائل وقد ذكره العلماء
الاعلام وائمة الاسلام ان الانكار على السادة الصوفية نفعنا الله
تعالى بنفحاتهم القدسية امر شنيع وفعل فضيع وقد ورد به الوعيد
الشديد وهو علامة كل طريد ويخشى على فاعله سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى
ولا يصدر غالبا الا من بعض المنافقين القاصرين لا من الفقهاء
العارفين المنصفين وكان شيخ الاسلام المخزومى رحمه الله تعالى
يقول لا يجوز لاحد من العلماء الانكار على الصوفية الا ان سلك
طريقهم ورأى افعالهم واقوالهم مخالفة للكتاب والسنة واما
بالاشاعة فلا يجوز الانكار عليهم ولا سبهم فاطال فى ذلك ثم قال
وبالجملة فاول ما يحق على المنكر حتى يسوغ له الانكار على اقوالهم او على
افعالهم او على احوالهم ان يعرف سبعين امرا ثم بعد ذلك يسوغ
له الانكار منها غوصه او فى معرفة معجزات الرسل عليهم الصلاة
والسلام على اختلاف طبقاتهم وكرامات الاولياء على اختلاف طبقاتهم ويؤيده
بها ويعتقد ان الاولياء يرثون الانبياء فى جميع معجزاتهم الا
ما استثنى منها ومنها اطلاعه على تفسير القرآن سلفا وخلفا ليعرفوا

اسرار الكتاب والسنة ومنازع الائمة المجتهدين ويعرف التفسير
والتاويل وشرائطه ويتجر في لغات العرب في مجازاتها واستعاراتها
حتى يبلغ النهاية ومنها كثرة الاطلاع على مقامات السلف والخلف
في معنى ايات الصفات واخبارها ومن اخذ بالظاهر ومن اول
ومن دليل ارجح من الاخر ومنها شجرة في علم الاصوليين ومعرفة منازع
ائمة الكلام ومنها وهو اهمها معرفة الاصطلاح القوم فيما عبروا
عنه من التجلي الذاتي والصوري وما هو الذات وذوات الذوات ومعرفة
حضرة الاسماء والصفات والفرق بين الحضرات والفرق بين
الاحدية والواحدية ومعرفة الظهور والبطون والازل والابد
وعالم الكون والشهادة والشؤن وعالم الماهية والهوية والسكر
والمحبة ومن هو الصادق في السكر حتى يسامح ومن هو الكاذب
حتى يؤخذ وغير ذلك فمن لم يعرف مرادهم كيف يحل كلامهم او ينكر
عليهم بما هو ليس بمرادهم وقال العقل الحادي عشر العلامة ابن حجر
في تحفته من كتاب الردة لهي قطع الاسلام بنيته وقول كفر صدر
عن قصد ورؤية فلا اثر لسبق لسان او اكراه او جماد وحكاية
كفر وشطح ولي حال غيبته اوتاويله بما هو مصطلح عليه بينهم
وان جهله غيرهم اذ اللفظ المصطلح عليه حقيقة عند اهله فلا يعترض
عليهم بمخالفته لاصطلاح غيرهم كما حققه ائمة الكلام وغيرهم
ومن ثم ذل كثيرون في التهور على محققي الصوفية بما هم بريئون منه
(انتهى) وقال خير الدين الرملي في فتاواه وحقيقة ما عليه الصوفية
لا ينكرها الا كل نفس جاهلة غبيه (انتهى) وقال سيدي الشيخ احمد
زروق المالكي في النصيحة الكافية لمن خصصه الله تعالى بالعافية
واما الفقراء فيسلم في كل ما لا يقتضي العلم انكاره وما
وجب انكاره ينكر عليهم مع اعتقاد كمالهم اذ لا يبعد ان يكون
للولي الهفوة والهفوات والذلة والذلات اذ الاولياء محفوظون
والحفظ يجوز معه الوقوع في المعصية الا انه لا يجوز معه الاصرار
عليها وقد سئل الجنيد قدس سره ايزني العارف فقال وكان

امر الله قدرا مقدورا قال ابن عطاء الله لو قيل له استعلق همة العارف بغير الله تعالى لقال لا ولا ينكر على الفقراء الا محرما مجمعا على تحريمه (انتهى) وللشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه الاجوبة المرضية في هذا المقام ما يشفي العليل ويطفي الغليل مما لا اظن ان يبقى معه انكار عند من طالعه مع الانصاف وترك الاعتساف واذا تحققت ذلك فاعلم ان حضرة الشيخ قد شهد كل من له رؤية بانه من اكبر السادة الصوفية ومن انكر عليه رجع كيده اليه وقد الف بعض من المنكرين رسالة في الطعن صدرة من مزيد الاخر وظهره من فرقتها سهام اخبار المخلصين وسودت وجهها اقلام العلماء العارفين فمن ذلك الفها الشيخ معروف البرزنجي وقد ردها الملا محمد امين افندي مفتي الحلة والعالم الذي تدرع من العلم اجمل حلة وبرسالة الفها عثمان بيك الموصلي وقد ردها الملا محمد امين افندي السويدي المدرس بالآصفية الذي حاز ما حاز من العلوم النقلية والعقلية ولله در الشيخ عثمان البصري حيث يقول مخاطبا بعض من الف في الطعن عليه

امولف فيه رسالة مكره ... سحقا فما انصفت يوم تؤلف
اردت حقدك في مها وعيونها ... نارا ولكن لا اخالك تنصف
ابعاد تقربي وتخلو ان ذا ... بغي به عن هدى ربك تجنف
صدقا عن النهج السوي هوة ... ملئت ضلالا والشقاوة تصدف
اصبحت ذا لحن ودخل في امرء ... برئ وطلعته يثوب المسرف
افلا ارعويت عن الغواية للهدى ... فلسوف تعلم ما اقول وتاسف
او مثله ترمي بما هو بالسرى ... فض والملا حدة الاخا بث عرف
هذا الضلال وانت موقد نارها ... فلسوف تصلاها وعينك تذرف

وقال ايضا

ان نور الاله لا يطفوه ... زبرج قد برزته احن
كل من قد دس في تاليفه ... فيه دون سواه لمن
كل من امن قد احسن من ... ذمه فهو بهذا احسن
لا تطع ما قاله في عارف ... ذو هوى تعمى جاه الفتن

كر على ذى بصر ازرى عم ... وعلى من صح غاب الزمن
سنة الله بارباب التقى ... ان يعادوا نعم هذا السنن
غير انى لا ارى مبغضهم ... غير من حشو حشا الدمن
ايها القائل فيه زروة ... انبح التزوير منك الدخن
انه شمس فهل انت عم ... امر عرى رايك فيه الافن

ولقد احسن الناظم فى الدعاء على المعترضين للانكار المنكرين للشمس فى رابعة النهار لانه انكار على السادة الصوفية والطائفة المصطفوية الذين كرعوا من بحار الشريعة وكرهوا كل شنيعة لكن فى القلب شئ من ادخال الناظم نفسه فى سلك اوليك السادة الذين هم الى كل خير قاده والله مع الصادقين ولعنة الله على الكاذبين (قال الناظم)

الا اصلح الله العباد وشانهم ... وانجههم فى الصدق ما دار زائد
فقد بهرت آراونا فيلك مثلما ... بك انتشرت بين الانام المحامد

(اقول الا) للاستفتاح (واصلح) من الاصلاح ضد الافساد والاصلاح هو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة ويقابله الفساد اى خروج الشئ عن ان يكون منتفعا به والجملة دعائية وكانه عدل الى الخبر نا سيا بحاله صلى الله تعالى عليه وسلم حيث يقول (اللهم) اهد قومى فانهم لا يعلمون وهو على كبا من حال نوح عليه السلام حيث يقول لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والظاهر ان الدعاء بالخير من اثار غلبة الجمال والدعاء بالشر من اثار غلبة الجلال وتجلياته تعالى متفاوتة فافهم ولا تغفل (والعباد) جمع عبد وهو الانسان حرا كان او رقيقا ويجمع ايضا على عبدون وعبيد واعبد وعبدان وعبدان واعبدان بكسرتين مشددة الدال ومعبده كمشيخه ومعابد وعبدآد وعبدى وعبد بضمتين وعبيد كندس ومعبودآد وجمع الجمع اعابد كذا قاله فى القاموس وللقاضى عياض

ومما زادنى عجبا وتيها ... وكدت باخمصى اطال الثريا
دخولى تحت قولك يا عبادى ... وقد صيرت احمد لى نبيا

(وشانهم)

(وشأنهم) اى امرهم والجمع شئون وشئين (وانجحهم) اى اسلكهم
(والصدق) بالكسر والفتح ضد الكذب كالصدقة اوبالفتح مصدر
وبالكسر اسم وفسروا الصدق بمطابقة النسبة للواقع والكذب
بعدمها وقيل مطابقتها ان لاعتقاد وعدم مطابقتها ان لم يعتقد
الكاذبون وردبان المعنى لكاذبون فى الشهادة اوفى تسميتها اوفى الشهادة
على زعمهم اومن شأنهم الكذب وان لم يكن فى هذا الخبر اوغيره ذلك
(وقيل) مطابقتها لهما معا بدليل افترى على الله كذبا ام به جنة
وردبان المعنى تعمد الكذب اولم يتعمده كالمجنون وتفصيل ذلك
يطلب من المطلوب وحواشيه (وقيل) قول الحق فى مواطن
الهلكة (وزاد) من الزود وهو الدفع ويطلق على السوق والطرد
(والزائد) الدفع او الرجل المحامى الحقيقة (وانبهرت) من
البهر بمعنى الغلبة او التكلف فوق الطاقة واراد بقوله (لداؤنا)
عقولنا وفى القاموس الرأى الاعتقاد جمعه اراء وآراء (ومثل)
اى شبه (وما) مصدرية (وبك) اى بسببك متعلق بانتشرت
(وانتشرت) اى اذاعت (وبين) تقدم الكلام عليه (والانام)
كسحاب الخلق اوالجن اوالانس وجميع ما على وجه الارض ومثله
الانام كسباط والانيم كامير واراد (بالمحامد) جمع محمدة وهى
الصفة الجميلة وقيل غير ذلك (وحاصل معنى البيت الاول)
اللهم اصلح امر عبادك وامنحهم بهداياتك وارشادك واسلكهم
فى سبل الصدق حتى يستوجبوا سترهم وعلانيتهم ويحسن بدايتهم
ونهايتهم فنسلم من شرهم ونامن من مكرهم ويحفظوا من حربك
الموعود لمن عادى احدا من اوليائك وحزبك فقد اخرج البخارى
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
تعالى قال من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب (وفى رواية)
وانى لاغضب لاوليائى كما يغضب الليث الحرور والولى الذى
لا يجوز عداوته قيل هو من يتولى عبادة الله وطاعته ويتوالى
عليها وكلا الوصفين شرط فى الولاية كما قاله القشيرى

وقال الغزالى الولى من كوشف ببعض المغيبات ولم يؤمر باصلاح
الناس وقال الولى من كان آتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل
بالاعمال الشرعية والتركيب يدل على التقريب فكانه قريب منه
تعالى لاستغراقه فى نور معرفته وجمال جلالته وتحقيقه ان يقال
هو من يتولى الله له امره فلا ينصرف بداية اصلا اذ لا وجود له ولا ذات ولا
فعل ولا وصف فهو الفانى بيد المغنى يفعل به ما يشاء حتى يمحو رسمه
واسمه ويمحو عينه واثره ويحييه بحياته ويبقيه ببقائه فموالاة
مثل هذا غنيمة ومعاداته بلية جسيمه وانشدوا

اولياء الله غوث للبرايا ... لهم قدر عظيم بالكرامة
فمن والاهم حقا وصدقا ... كرامته الشفاعة فى القيامة

(وحاصل معنى البيت الثانى) ان عقولنا قد تكلفت فوق الطاقة
مع ما فيها من التباهه والحذاقه حيث رأت فيك ما لا يحصى من
الصفات الحميدة ولا يستقصى من الاخلاق العديدة وذلك
مثل ما انتشرت بسببك المحامد بين الانام وشاعت المآثر بارشادك
بين الخاص والعام فانت الواسطة فى عصرك الاكتساب الفضائل
والفواضل وتهذيب الانفس البشرية من النقائص والرذائل
فرحمك الله تعالى ما ارشدك لعباده وانفعك فى بلاده (قال الناظم

دعوت الى الذكر الخفى وانه ... لافضل ذكر الله فيه المقاصد

(اقول) اراد بقوله (دعوت) ناديت وارشدت (والذكر) معلوم
وتقدم بعض الكلام فيه (والخفى) المكتوم وفى الصحاح شئ
خفى اى خاف ويجمع على خفايا وفيه ايضا الاصمعى خفيت الشئ
اخفيه كتمته وخفيته ايضا اظهرته وهو من الاضداد وابو عبيدة
مثله يقال خفى المطر الفار اذا خرج من انفاقهن اى من جحرهن
قال الشاعر يصف فرسا

خفاهن من انفاقهن كانما ... يخفاهن ودق من سحاب مركب

انتهى المراد) منه وانه الواو للحال والضمير للذكر الخفى (وافضل)
اكثر فضلا والفضل والفضيلة خلاف النقص والنقيصة (والمقاصد

المطالب وهذا البيت كالعلة لما قبله (وحاصل معناه) انك كيف لاتتصف بما اتصفت به وانت الذى دعوت الناس الى الذكر القلبى الخفى الذى هو بحصول المطالب حقيق وانه لاكثر فضلا واكبر نحلا كم هطلت المواهب من سحابه وبدت للطالب من تحت نقابه وجليت به التجليات وجذبت باغنيته الجذبات كيف لا وهو من مصون ودر فى صدف السرائر مكنون لايطلع عليه ملائكة الرحمن ولا تكتبه الحفظة فى ديوان وكونه افضل من الذكر الغير الخفى هو الذى نص عليه الكثير من العلماء الراسخين والكمل العارفين لقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفى الصحاح عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال قال الله تعالى انا عند ظن عبدى وانا معه اذا ذكرنى فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه رواه البخارى وغيره وعن عائشة رضى الله تعالى عنها وعن ابيها قالت قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يفضل الذكر على الذكر بسبعين ضعفا اذا كان يوم القيامة رجع الله الخلائق الى حسابه وجاءت الحفظة بما حفظوا وكتبوا قال الله تعالى انظروا هل بقى من شئ فيقولون ما تركنا شيئا مما علمناه وحفظناه الا وقد احصيناه وكتبناه فيقول الله تعالى ان لك عندى حسنا وانا اجزيك به وهو الذكر الخفى قال العلامة الشيخ على القارى فى شرحه على المشكاة بعد ذكره هذا الحديث وما يقاربه ما نصه فالحديثان حجتان ظاهرتان للسادة النقشبندية زبدة القادة الصوفية قدس الله تعالى اسرارهم العلية انتهى وفى الجامع الصغير خير الذكر الخفى وخير الرزق ما يكفى والاحاديث فى ذلك كثيرة وقال القاضى عياض رحمه الله تعالى ذكر الله تعالى ضربان ذكر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان احدهما وهو ارفع الاذكار واجلها التفكر فى عظمة الله تعالى وجبروته وملكوته وآياته فى ارضه وسمواته وفى كتاب الاذكار للنووى قدس سره الذكر

يكون بالقلب وباللسان والافضل منهما كان بهما فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل (انتهى) وعلى هذا لايخفى ما في كلام الناظم ولعله مال الى غيره فليفهم وكان الشبلي كثيرا ما ينشد في مجلسه

ذكرتك لا اني نسيتك نحسة ... وايسر ما في الذكر ذكر لساني
فلما رأى الوجد انك حاضري ... شهدتك موجودا بكل مكان
فخاطبت موجودا بغير تكلم ... ولاحظت معلوما بغير عيان

وكان ابو علي الدقاق ينشد ايضا لبعضهم

ما ان ذكرتك الا هم يغلبني ... قلبي وسري وروحي عند ذكراكا
حتى كان رقيبا منك يهتف بي ... ياك ويحك والتذكار اياكا

(وانا اقول) الذكر ريحانة القلب وبه يحصل الانس بالمحبوب قال تعالى وتطمئن قلوبهم بذكر الله الابذكر الله تطمئن القلوب وقال ابو سعيد الخراز رحمه الله تعالى اذا اراد الله تعالى ان يوالي عبدا من عبيده فتح له باب ذكره فاذا استلذ الذكر فتح له باب القرب ثم رفعه الى مجالس الانس ثم اجلسه على كرسي التوحيد ثم رفع عنه الحجاب وادخله دار الفردانية وكشف له حجاب الجلال والعظمة واذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلاهو فحينئذ صار العبد زمنا فانيا فوقع في حفظه سبحانه وتعالى وبرئ من دعاوي نفسه والقلب موضع الايمان ومعدن العرفان ومهبط الانوار الالهية ومعترك الاسرار الربانية فكيف وقد خصه الله تعالى بالايمان والخشية والانابة والذكرى والتقوى والسلامة فقال كتب في قلوبهم الايمان وحبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم فينبغي تطهيره بكثرة الانكار وتحريه بالمداومة عليها عن الاغيار لايدخل الملك بيتا فيه صورة او تمثال فكيف تدخل شواهد الحق قلبا فيه اوصاف غير الملك المتعال وبالذكر القلبي تنقشع الغياهب وتحصل المطالب وترتفع الحجب ونزول الغفلة عن رب الارباب قال الحارث رحمه الله بليتما العبد تعطيل القلب عن الله فحينئذ تحدث الغفلة

في القلب وقد قال الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واما الذكر باللسان فهو قليل الجدوى وكثيرا ما لا يسلم من البلوى بل اذا تأملت وتحققت وانصفت تعلم ان الذكر باللسان بدون قلب لا فائدة فيه بالكلية ولا يوجب القرب من الحضرة القدسية فقول الامام والنووي فان اقتصر على احدهما فالقلب افضل اراه من قبيل الناقص والاشبه اعد لابني مروان وقوله تعالى حكاية عن لوط هؤلاء بناتي هن اطهر لكم وقوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة (نعم) الذكر بالقلب واللسان افضل من الذكر بالقلب وحده اذا لاجر على قدر النصب وهذا امن من السمعة والرياء ولكن المريد في حال البداية لا يمكنه الجمع بين الذكرين فكان الاولى بشأنه الذكر القلبي بلا امتراء ولا مين واذا امتلا القلب ففح عن اللسان فاشمل على سائر الجوارح والاركان فاعتن بهذا التحقيق فانه بالاعتناء حقيق وفي كلام كثير من العلماء ما يوزره ويؤيده وينصره فافهم ولا تغفل قال الناظم

لسيدنا عثمان اصلك بينتي فاكرم به اصلا نمته الاماجد

(اقول السيد) الكبير وهو فعيل عند قوم وفعل عند اخرين وجمع على سادة وسيائد وتقول العرب ان من نعت السيد ان يكون لحيما ضخم الهامة جهير الصوت اذا خطا ابعد واذا تأمل ملأ العين مهابة لان حقه ان يكون في صدر مجلس او ذروة منبر او منفردا في موكب ويقولون في نعته يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال ادعل

فاذا لمسته صدرته وتنحيت له في الحاشيه
واذا سايرته قدمته وتاخرت مع المستانيه
واذا سامرته صادقته سلس الخلق سليم الناحيه
واذا عاشرته صادقته شرس الراي ابتداهيه
فاحمد الله على صحبته وسل الرحمن عنه العافيه

ويؤيد هذا قول الفرزدق

يقلبها ما لم يكن رأس سيد وعينا له حولاء باد عيوبها

وقال رجل لعمر رضي الله عنه من السيد قال الجواد حين يقال

الحليم الصفدي يخاطبه بالكريم المجالسة الحسن الخلق لمجاوره قال الصفدي والذي اظنه ان السيد عند العرب من ساد قومه او غيرهم بصفاته المحمودة ولا يتوقف في ذلك على الصالة ولا النسب كما يعلم من قول القائل

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الباس والاقداما

وقال عامر بن الطفيل

فما سودتني عامر عن كلالة ابى الله ان اسمو بام ولا اب
ولكنني احمي حماها واتقي اذاها وارمي من رماها بمقتب

ويقول الصفدي اقول ويقابل السيد مذكرا السيدة مؤنثة وما احسن قول الامام ابي الفضل طاهر بن التقصير في المحدث

اشارت الى بعنابة مخضبة من ذوالافئده
وقالت على العهد يا سيدي فقلت الى الحشر يا سيده

وقول الناس ليست من كلام العرب بل هو مولد وما احسن قول البهاء زهير

بنفسي من اسميها بسعدى فرمقني النجاة بعين مقت
يرون بانني قد قلت كفرا وكيف وانني لزهير وقتي
وقد ملكت جهاتي لست حقا فلا عجبا اذا ما قلت ستي

وعني (بعثمان) ثالث الخلفاء ابا عبد الله بن عفان بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي اسلم في اول الاسلام على يد الصديق روى له عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مائة حديث وستة واربعون حديثا اخرج البخاري منها احدى عشر استخلف اول يوم من المحرم سنة اربع وعشرين بمبايعة اكابر الصحابة حتى علي رضي الله تعالى عنهم اجمعين ولم يزل اسمه في الجاهلية والاسلام عثمان ويكنى ابا عمرو وابا عبد الله وله فضائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى (فمنها) انه يجتمع بنسبه بجنس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في عبد مناف (ومنها) انه كان من السابقين الاولين صلى الى القبلتين وهاجر الهجرتين وهو اول من هاجر الى الحبشة فارا بدينه ومعه زوجته رقية بنت سيد الاولين والاخرين (ومنها) ان رسول الله صلى الله

تعالى

تعالى عليه وسلم دعا له بخصوصه غير مرة فاثرى وكثر ماله ومن
دعائه اللهم انى قد رضيت عن عثمان فارض عنه ثلاث مرات
ودعا له مرة اخرى فقال غفر الله لك يا عثمان ما قدمت وما اخرت وما اسررت
وما اعلنت وما اخفيت وما هو كائن الى يوم القيامة (ومنها) انه اشترى بير رومة
ارضا وجعلها للمسلمين (ومنها) انه اشترى ارضا وزادها فى مسجد رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم (ومنها) انه جهز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرا وتم
الالف بخمسين فرسا وجيش العسرة كان فى غزوة تبوك وقيل
حمل فى جيش العسرة على الف بعير وسبعين فرسا وقد اقر بصحة
التجهيز بل والذين قبله الموالف والمخالف حتى الرافضة وحمله على
الرياء والسمعة مما يكذبه الرأى والسمع وله من الفضائل ما يعجز
عنه البيان ويقصر عنه البنان حصر رضى الله عنه فى داره وقتل
مظلوما والذى تولى قتله جماعة من الخوارج من اهل مصر وغيرهم
واختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل رومان بن مرجان وقيل
جبلة بن الاهيم وقيل الاسود النجيبى وبه جزم الكرمانى وقيل سيار
ابن عياض وقيل غير ذلك واختلف فى اليوم الذى قتل فيه فقيل
يوم الاربعاء بعد العصر ودفن يوم السبت قبل الظهر وقيل يوم
الجمعة وكان قتله فى وسط ايام التشريق بالمدينة المنورة وقيل
كان يوم التروية وقيل غير ذلك وقتل سنة خمس وثلاثين بعد الهجرة
وكانت ولايته اثنتى عشر سنة منه الى اثنتى عشر ليلة وفيه يقول
ايمن ابن خزيم بن فاتك الاسدى

تعاقد الذئاب على عثمان ضاحية ... فاى ذبح حرام ويحهم ذبحوا
ضحوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم ... يخشوا على مطرح الكفن الذى طمحوا
فاى سنة كفر سن اولهم ... وباب شر على سلطانهم فتحوا
ما اخذ اراد وا اضل الله سعيهم ... يسقك ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا
ان الذين تولوا قتله سفها ... لقوا اثاما وخسرانا وما ربحوا

وانشد حسان

قتلتم وليا لله فى جوف داره ... وحلتم بامر جائر غير مهتدى

فلا ظهرت ايمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد

وانشد كعب بن مالك

يا للرجال لامر هاج بي حزنا ... لقد عجبت لمن يبكي على الدمن
اني رايت قتيل الله مسطهرا ... عثمان يهدى الى الاحداث في كفن
يا قاتل الله قوما كان امرهم ... قتل الامام الزكي الطيب الورن
ما قاتلوه على ذنب الم به ... الا الذي نطقوا زورا ولم يكن

(وزعم) بعض الناس ان العلي رضي الله تعالى عنه رضي بقتله وبه يعرض الوليد بن عقبة بقوله

الا ما لليلى لا تفور كواكبه ... اذا غاب نجم لاح نجم يراقبه
بني هاشم ردوا سلاح ابن اختكم ... ولا تنهبوه لا تحل مناهبه
بني هاشم لا تحملونا فانه ... سواء علينا قاتلوه وسالبه
واناوايا كم وما كان منكم ... كصدع الصفا لا يرأب الصدع شاعبه
بني هاشم كيف التقاعد بيننا ... وعند على سيفه وحرائبه
لعمرك لا انسى ابن اروى وقتله ... وهل يستبين الماء ما عاش شاربه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه ... كما فعلت يوما بكسرى حهرازبه

وحاشا علي رضي الله تعالى عنه من ذلك قال شداد بن اوس لما اشتد الحصار بعثمان يوم الدار رايت عليا رضي الله تعالى عنه خارجا من منزله متعمما بعمامة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا بسيفه امامه الحسن وعبد الله بن عمر في نفر من المهاجرين والانصار حتى دخلوا على الناس وفرقهم ثم دخلوا على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال له السلام عليك يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يحكم هذا الامر حتى قاتل بالمقيل المدبر واني لا ارى القوم الا قاتليك فمرنا نقاتل فقال انشد الله رجلا راى لله حقا واقران لي عليه حقا ان يهريق في سبيل الله محجمة من دم ويهريق دمه في فاعاد عليه القول فاجابه بمثل ما اجاب ومنعه ان يقاتل قال فرايت عليا خارجا من الباب وهو يقول اللهم انك تعلم اني قد بذلت المجهود ثم دخل المسجد وحضرت الصلاة فقالوا

يا ابا الحسن تقدم فصل بالناس فقال لا اصلي بكم والامام محصور ولكن اصلي وحدي فصلى وحده وانصرف وكذا جمع من الصحابة الكرام بذلوا جهدهم ويابى الله الا ما يشاء ولله در من قال

فكف يديه ثم اغلق بابه ... وايقن ان الله ليس بغافل
وقالوا لاهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن ذنب امرء لم يقاتل
فكيف رايت الله القى عليهم الـ ... ـعداوة والبغضاء بعد التواصل
وكيف رايت الخير اد بر بعده ... عن الناس ادبار النعام الكوافل

والكلام في هذا المقام طويل جدا لا يتسع له مثل هذا الكتاب على ان الكرم مشهور وهو في كتب التواريخ مسطور وينبغي للناظر فيه ان ينتبه ولا يقبل الا ما رواه الثقات وليحمل ذلك على محامل حسنات والا يزل قدمه ويندم حيث لا ينفعه ندمه واراد بقوله (اصلك) نسبك (وينتمي) اي ينتسب من انتمى اليه اذا انتسب واراد بقوله (اكرم به) التعجب على حد قوله تعالى اسمع بهم وابصر وقولك احسن بزيد ومعظم النحويين ان افعل فعل ماض جئ به على صيغة الامر فهو مبني على فتح مقدر على اخره منع من ظهوره مجيئه على صيغة الامر والباء بعده زائدة ومجرورها مرفوع المحل على الفاعلية وقيل غير ذلك (واصلا) تمييز (ونمته) رفعته (والاماجد) اهل الشرف والمجد (وحاصل معنى البيت) انك قد بلغت ما بلغت من فضلك وفقت على من فقت في اصلك اما فضلك فقد ذكرناه وحررنا منه ما حررناه واما اصلك فقد اقروا لك ومعاديك انه يتصل بالسيد الكبير والخليفة الشهير من تستحي منه ملائكة الرحمن امير المؤمنين عثمان بن عفان فيا له من نسب سامي واصل بالمكارم هامي

نسب كان عليه من شمس الضحى ... نورا ومن فلق الصباح عمودا

وكونه نسبه يتصل بحضرة الامير امر معلوم من غير نكير فقد ذكر الثقات انه نسبه من جهة ابيه واسمه احمد يتصل بالولي الكامل والمرشد الواصل بسير مبكال صاحب النسب المشهور بين الاكراد بشش انكشت يعني ست اصابع بأن خلق اصابعه

كانت كذلك وهذا الولى معروف الانتساب الى الخليفة الثالث منبع الحياء والايمان ذى النورين عثمان بن عفان (وقد انشد) عثمان بن سند مشيرا الى ذلك

ما ان يضر الشمس ان اسفرت ... ان لا يرى الاعور والاعمى
ياحاسديه دونكم اوحدا ... سوددده كالذرة العصما
يتيمة الدهر ولو انه ... ريحانة الزهر اذا شما
وسلموا للشرف العود قد ... اشرقت الشمس ولا اظلما

وفى كلام الناظم اطلاق السيد على غير الله وهو جائز كما اطلاقه عليه سبحانه وتعالى والمولى مثله فيهما وقد لا يجوز ذلك لامر خارج كما اذا اطلقا على كافر بقصد التعظيم وقد صرحوا بانه يكره اطلاق المولى على فاسق المؤمنين واستانسوا فى ذلك بقوله تعالى فان الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والظاهر ان اطلاق السيد على الفاسق ايضا مكروه والامر فيه نضا والله تعالى اعلم وها هنا فائدة لا بأس بالتنبيه عليها وهو انه غلب على كتاب الحكم ان يقول سيدنا ومولانا قاضى القضاة فيما يكتبونه من السجلات وغيرها والصواب فيه تقديم مولانا على سيدنا لان كتاب الانشاء هم الاصل فى هذه الصناعة وهم اول ما يقولون المولى الامير ويأتون بالسيد فى الالقاب ولان العرب كذا قالوا فقد قالت الخنساء فى اخيها صخر

وان صخرا لمولانا وسيدنا ... وان صخرا اذا شتوا لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به ... كانه علم فى راسه نار
حامى الحقيقة محمود الطريقة مه ... دى الخليقة نفاع وضرار

ولان البلاغة ان يذكر الاعم ثم الاخص كقوله تعالى فاكهة ونخل ورمان وقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته وجبريل وميكال والمولى اعم من السيد لان المولى يطلق على معان والبلاغة ان تقول ياصاحبى يا اخى ياحبيبى لان الاصحاب كثيرون والاخوة اقل منهم والحبيب لا يكون الا واحدا ذكر ذلك العلامة الصفدى فى كتابه تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون فتامل ففى القلب منه شى (قال الناظم)

هو الحسب الوضاح والشرف الذى فضائل ذى النورين فيه شواهد

(اقول هو) اى هذا الحسب الذى ذكرناه (والحسب) كما فى القاموس ما تعده من مفاخر ابائك (والوضاح) البين الظاهر (والشرف) قال فى القاموس المجد ولا يكون الا بالاباء او علو الحسب (والفضائل) المناقب والمآثر (وذى النورين) هو لقب لعثمان رضى الله تعالى عنه واختلف العلماء فى سبب تلقيبه بذلك على اقوال احدها انه اذا دخل الجنة برقت له برقتين الثانى انه كان يختم القرآن فى الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور الثالث انه كان ذا سخائين احدهما قبل الاسلام والثانى فيه الرابع انه ذو كنيتين يكنى اباعمرو واباعبد الله الخامس انه تزوج بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية فماتت عنده ثم ام كلثوم ولا يعلم احد تزوج بنتى نبى ولا شك انه صلى الله عليه وسلم نور اولاده وبناته وجميع اولاده كانوا كذلك لكن قال الصفدى يراد بهذا الكلام فى الاسلام والا فقد تزوج يعقوب عليه السلام ابنتى خاله لابان وهما لايا وراحيل ثم اعلم ان جمهور الرافضة انكروا كون رقية وام كلثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقة قالوا وانما هما ابنتا اخت خديجة ماتت ابوهما وهما طفلتان عند خالتهما خديجة فربياهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره بعد دخوله بخديجة وتنسبوا اليه على عادة العرب يومئذ ان من ربى يتيما نسب اليه كما فى قصة زيد التى حكاها الله تعالى فى كتابه ثم قالوا على تسليم انهما ابنتاه صلى الله عليه وسلم حقيقة لا فضيلة لعثمان فى تزويج الرسول صلى الله عليه وسلم له بهما وقد زوجهما قبله كافرين لان رقية كانت تحت عتبة بن ابى لهب واختها ام كلثوم تحت اخيه عتيبه وقولهم هذا مردود لان كونهما ابنتيه صلى الله عليه وسلم حقيقة مقطوع به لصريح نص الكتاب قال الله تعالى يا ايها النبى قل لازواجك وبناتك ولما ذكر فى نهج البلاغة ان عليا قال لعثمان بطريق العتاب على تغييره سيرة الشيخين قد بلغت من صهره ما لم ينالا يعنى ابا بكر وعمر

ولما روى ابو جعفر فى التهذيب عن جعفر الصادق انه كان يقول
فى دعائه اللهم صل على رقية بنت نبيك وبما روى الكلبى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة
فولد له عنها قبل مبعثه القاسم ورقية وزينب وام كلثوم وبعد
المبعث الطيب والطاهر الى غير ذلك من النصوص وكتب التواريخ
المعتبرة صارحة بذلك ثم ما ذكروا من انه بعد التسليم لا فضيلة
فى ذلك فيه ان الفضيلة اظهر من ان تنكر كيف لا وقد صار ختن
النبى صلى الله عليه وسلم بامر الله مرتين كما نطقت بذلك الاخبار
وشهدت به الاثار وتزويجهما قبله يا بنى ابى لهب لا ينافى الفضيلة
لان ذلك كان قبل المبعث ومع ذلك لم يدخلا بهما لانهما كانا قد
عقدا عليهما وقيل ان يدخلا نزلت تبت يدا ابى لهب فقال
لهما ابوهما رأسى من رأسكما حرام ان لم تفارقا ابنتى محمد ففارقاهما
ولم يكونا دخلا بهما وكيف لا يكون فى ذلك فضيلة وقد ساوى
كثير من العلماء بين فاطمة وام كلثوم (وحاصل معنى البيت) ان
حسبك هذا هو الحسب الواضح الذى ليس فيه مطمح لقدح قادح
والشرف الذى شهدت به فضائل ذى النورين وزوج الابنتين
وصاحب الهجرتين والثالث فى الفضيلة بعد الاثنين الذى ذهب
معظم الخير بعد فقده فكان الخير الحد معه فى لحده ولله در من قال

لعمرابيك فلا تكذبن لقد ذهب الخير الا قليلا
لقد سفه الناس فى دينهم وخلف ابن عفان شرا طويلا

ثم اعلم ان جودة النسب امر مطلوب وشئ محبوب وهى معتبرة عرفا
وشرعا فى باب الكفاءة والامامة وغير ذلك كما بين فى علم الفقه
لكن لا ينبغى الاعتماد على النسب وترك العمل فليحذر كل غافل
غاية الحذر من ان يتكل على شرف نفسه وفضيلة اباءه ويقصر
فى العمل فان ذلك يورث النقص والانحطاط عن معاليهم ونهاية
الامر الحسرة والندامة عن التخلف عن كمالهم ومن ثم كان التفاخر
بالاباء من اخلاق الجاهلية قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ

ولا

ولا يتساءلون وقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان قد اذهب عنكم عيبية الجاهلية وفخرها بالآباء الناس رجلان بر تقي كريم على الله عز وجل وفاجر شقي هين على الله تعالى عز وجل كلهم بنو آدم وخلق الله آدم من تراب وقال اثتوني باعمالكم لا تاتوني بانسابكم وقال لمن لا يعلم الانساب علم لا ينفع وجهالة لا تضر وقال عمر رضي الله تعالى عنه تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم على ان التفاخر بالآباء غاية العداوة واذكل يظهر مثالب الآخر فيؤدي الى الهجر والفساد ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه فالفخر كالفخر للمتقين الذين هم في طاعة الله متسارعين وعما سواه معرضين فما انتفع كنعان بنسبه ولا تضرر سلمان بابيه

وما الفخر بالعظم الرميم وانما ... فخار الذي يبقى الفخار بنفسه

ولله در من قال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان ابي

وفي رواية الصحيحين لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين قال صلى الله تعالى عليه وسلم يا معشر قريش يا بني المطلب يا عباس يا صفية عمة رسول الله اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شيئا وفي رواية ان اولياءي منكم المتقون لا يا تون الناس بالاعمال وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم والاحاديث في هذا الباب كثيرة فالشهم الكريم من شاده اباؤه في طاعة الله تعالى المولى العظيم ولم يتكل في خلاصه على العظم الرميم ولله در القائل الذي هو في ظلال المكارم قائل

لسنا وان كرمت محاتدنا ... يوما على الانساب نتكل

نبني كما كانت اوائلنا ... تبني ونفعل فوق ما فعلوا

قال الناظم

لباذخ هذا الفضل لقبك الورى ... بحق ضياء الدين والاسم خالد

ومن اجل ذا كنيت ام ابو الهما ... بهذا صفت للسالكين الموارد

يا فاطمة بنت رسول الله ص

(اقول الباذخ) بالباء الموحدة والذال والخاء المعجمتين العالى
واضافته الى ما بعده من اضافة الصفة الى الموصوف (والفضل
ضد النقص لغة والمراد به ما ينطوى عليه الانسان من المزايا التى
يفضل بها على غيره فالفاضل خلاف الناقص كانه فى انسانيته
زائد عن الجاهل (ولقبك) من التلقيب اى وضع اللقب وهو
النبز كما فى القاموس وعند النحويين ما اشعر برفعة المسمى
كزين العابدين او بضعته كقفة (والورى) كغنى الخلق (والحق
الصدق على ما قيل ويحتاج الى اعتبار نسبته ليكون وصفا لها
وقيل اراد بالحق الاستحقاق او ما يقرب منه معنى والباء على القولين
للملابسة والجار والمجرور فى موضع الحال من الورى على الاول
ومن ضمير المخاطب على الثانى وقيل الباء سببيه متعلقة
بلقبك اى لقبك الورى ضياء الدين بسبب حق لك فتدبر
(والضياء والدين) تقدم ما يعلم منه معناهما (والاسم) قال
فى القاموس اسم الشئ بالضم والكسر وسمه وسماه مثلثين
علامته واللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتميز جمعه اسماء
واسماوات وجمع الجمع اسامى واسام (انتهى) وقال
النحويون هو ما ليس بكنية ولا لقب وهو اما منقول كزيد
وخالد وهو الاكثر واما مرتجل كسعاد واد وهو قليل والمنقول
ما سبق له استعمال فى غير العلمية والمرتجل بخلافه وكانه
ماخوذ من الرجولية بمعنى القوة فهو لعدم نقله كانه ذو قوة
وفى الاسم لغات ونظم البعض منها فقيل* اسم بضم اول والكسر
بهمزة ودونها والقصر* وهل اصله وسم او سمو فيه خلاف
مشهور وان لم يكن بلغك فاطلبه من محله واراد بقوله ،
(من اجل ذا) اى سبب هذا الفضل (كنيت) اى وضعت
لك كنية وهى ما بدئت باب وام او ابن او بنت ايضا وترتيب
هذه الثلاثة اعنى الاسم والكنية واللقب عند اجتماعهما ،
او اثنين منها يطلب من علم النحو وقد اشبعنا الكلام على ذلك

فى حواشينا النحوية مع دفع الايرادات ورد الشبهات (وشم)
قال فى القاموس بالفتح اسم يشار به بمعنى هناك للمكان
البعيد ظرف لا يتصرف فقول من اعربه مفعولا لرايت فى اذا رايت
ثم رؤهم (انتهى والبها الاتضاح) وكانه اراد بقوله (بهذا) اى اليها
(وصفت) من الصفا وهو كالصفو نقيض الكدر (والسالكين)
تقدم معناه (والموارد) جمع مورد وهو مكان الورود (وحاصل
المعنى) انه لعلو فضلك وسمو اصلك الذى شهدت به فضائل
ذى النورين وصاحب الهجرتين لقبك الامام ضياء الدين وقد
صدق حيث اوضحت احكامه للمسلمين وكنوك بينهم بالبهاء
حيث لا يخفى حسنك الاعلى مقلة عمياء وكل ذلك من اثار ذى
النورين الفائز بالدعوتين وبهائك وفضلك صفت الموارد
للسالكين وحلت الشرائع عن الكدر للواردين واعلم ان
التلقيب بما يشعر بالمدح جائز فقد ورد لقبوا اولادكم
الحديث وفى الرجال كثير كالصديق وذى النورين والعيسوب
وفى النساء قليل كالزهراء والحميراء وكذا التكنى بغير ابى القاسم
على تفصيل يذكر جائز بلا خلاف وان لم يكن للمكنى ابن يسمى
بذلك وقد كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تكنى بام عبد
الرحمن ولم يكن ابنها حقيقة والمستحب اذا خاطب اهل الفضل
ومن قاربهم ان يخاطبهم بالكنية وكذا اذا كتب رسالة الى
شخص اوروى عنه وقد اختلف العلماء بالتكنى بابى القاسم فذهب
امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه واهل الظاهر الى انه
لا يحل لاحد سواء كان اسمه محمدا ام لا وسواء كان فى زمنه
صلى الله تعالى عليه وسلم ام لا لعموم تسموا باسمى ولا تكنوا
بكنيتى حتى منع قوم من هؤلاء تسمية الولد بالقاسم كيلا
يكون سببا لتكنية والده بابى القاسم ويؤيد هذا قوله
فى الحديث انما انا قاسم فاخبر بالمعنى الذى اختصاصه بهذه
الكنية وذهب الامام مالك واختاره النووى الى جواز

التكنى به بعد زمانه وجعل النهى مختصا بحياته صلى الله تعالى
عليه وسلم قال لان الحديث ورد على سبب وهو ان اليهود فى زمانه
تكنوا بهذه الكنية وكانوا اذا راوا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
ينادون يا ابا القاسم فيلتفت صلى الله تعالى عليه وسلم فيقولون
لم نعنيك اظهارا للايذاء قال وقد زال ذلك المعنى وانما المرنه عن
التسمية باسمه مع وجود الايذاء بالنداء كالتكنى بكنيته لانه
كان لا ينادى به غالبا ولو نودى به لم يجب الا للضرورة قاله
القاضى زكريا وذهب بعضهم واختاره الرافعى الى انه لا يجوز لمن
اسمه محمد ويجوز لغيره قال الاسنوى انه الصواب لما فيه من
الجمع بين الخبرين الصحيحين المذكور الذى رواه ابو هريرة وخبر
من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن تكنى بكنيتى فلا يتسمى
باسمى الذى رواه ابن حبان وصححه ولا يشكل على هذا القول تكنية
سيدنا على ولده محمد بن الحنفية بابى القاسم لان رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم اذن له بذلك من قبل كما قاله الشافعى واصحابه
فقد روى فى سنن ابى داود ان عليا قال يا رسول الله ان ولد من
بعدك ولد اسميه باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وقال احمد بن عبد
ثلاثة تكنوا بابى القاسم رخص لهم محمد بن الحنفية ومحمد بن ابى بكر
ومحمد بن طلحة بن عبيد الله قاله ابن الملقن ولا يشكل ايضا ما رواه
ابو داود عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت جاءت امراة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انى قد ولدت
غلاما فسميته محمدا وكنيته ابا القاسم فذكر لى انك تكره ذلك
فقال ما الذى احل اسمى وحرم كنيتى او ما الذى حرم كنيتى واحل
اسمى لان ذلك ان صح كما قال شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر
يشبه ان يكون قبل النهى والمتاخر نسخه (واعلم) انه نقل عن
الامام مالك انه كان يتحرج من ان يلقب احدا بنحو نور الدين
او ضياء الدين او بهاء الدين على معنى ان الملقب اكسب الدين
نورا او ضياء او بهاء ونحو ذلك على اعتبار ان الاضافة من

اضافة

اضافة المسبب الى السبب اى ان هذا الملقب غدا نورا مثلا بسبب الدين
فتامل هذا وبقيت فى هذا المقام ابحاث لا يتسع الكتاب لذكرها (قال الناظم
اجاد يراعى فى الرثاء وانى السجواد ولا يرقى لما انا واجد
يكاك بعين الرفق كل موحد لانك فرد فى الكرامة واحد
(اقول اجاد) اى اتى بالجيد وهو كما يس ضد الردي واراد (بالیراع)
قصبة القلم (والرثاء) بكسر الراء مصدر رثيت الميت رثيا ورثاية
اذا عددت محاسنه (والجواد) السخي او هو الذكر من خيل اجياد ويجوز فيه وهو
الظاهر واشار به الناظم الى اسمه الذى اشتهر به بين الناس فهو مشهور
بالسيد جواد السيالوشى وهو سيد صحيح النسب على ما يقول احباؤه واعداؤه
ومن بيت علم وفضل (ولا يرقى) اى يصعد مبنيا للمفعول واراد بقوله
(واجد) مدرك ومحصل (ويكاك) اى بكى عليك والبكاء معلوم وكذا
(العين) وهى مؤنثة ومثلها على ما قيل وقد قرر ما فيه اول الكتاب كل عضو مكرر
فى الانسان كالكف والقدم واليد والاصبع وتجمع على اعيان واعين وعيون
وجمع الجمع اعينات وللعين معان كثيرة تقارب الثلاثين او تزيد (والرفق)
بكسر الراء اللطف وفى الكلام ما لا يخفى من الاستعارة (والفرد) نصف
الزوج (والكرامة) من الكرم ضد اللؤم ويبعد ارادة المعنى الاصطلاحى
وهو ما يظهر على يد الولى من الخوارق وهو حيض الرجال الا اذا تضمنت
مصلحة دينية ومن كلامهم من اغتر بالكرامات بالكرى مات وهى على التصحيح
تكون للولى حيا وميتا وفى فعل الله تعالى ولا حجر عليه سبحانه واراد (بالواحد)
المنفرد والواحد ايضا اول عدد الحساب واختلفوا فيه هل هو عدد او لا
فمن فسره بما يقع فى العد جعله منه ومن فسره بما ساوى نصف مجموع حاشيتيه
يجعله منه وقال هو كالجوهر الفرد يتركب منه الجسم وليس بجسم فافهم
(وحاصل المعنى) انى اتيت بالشئ المستحسن والشعر الخالى عن كل
مستهجن عند تعداد محاسنك الشريفه واوصافك السامية المنيفه
حتى يستضاء بانوارك ويهتدي باثارك وتتشنف اسماع الاخبار
بلثالى بجدك وتفوق بقاع الاثار بازهار جدك وانى الجواد المجيد
والسابق الوحيد الراقى الى ذروة الفخر السامى الى الغاية القصوى

فى النظم والنثر وهيهات ان يبلى احد اما وعيت او يرقى الى ما رقيت

انا الذي نظر الاعمى الى ادبى ... واسمعت كلماتى من به صمم

هذا والحق ان شعر هذا الناظم دون الوسط وكان مكثرا لا يبالى بالسقط ولا يستحى اذا سقط وان هذه القصيده انما شرفت بثرآئها لحضرة افخر علمآء الأمة واوليآئها وكانه الى هنا انتهى المقصود منها ثم اخذ فى مقدمة ابيات التاريخ فقال بكاك الخ (وحاصل المعنى) بكى عليك بعين الرأفة جميع المسلمين وسائر المؤمنين الموحدين ولا بدع فى بكاهم لشدة مآثرهم وعظم ما اعتراهم لانك العالم الاوحد والعلم المفرد لم تشنك صفة اللئام ولم تشبك وصمة الملام وكفى بهذا فخرا بين الخاص والعام

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ... فكل رداء يرتديه جميل

ولعمرى لقد بكته الكبار والصغار والعبيد والاحرار

شقت عليه يد الاسى ... ثوب الدموع الى الذيول

وكيف لا يبكى دما على من بكت عليه الارض والسمآء فرحم الله زكى تربته واعاننا على عظيم مصيبته والبكآء على الميت جآء فقد بكى صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال ان العين لتدمع الحديث وفى قوله فى البيت الأول اجاد يراعى الخ تحدث بالنعمه ومدح الشخص نفسه لذلك لا للفخر جائز قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وقال يوسف عليه السلام اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقالت الملائكة ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك الى غير ذلك مما لا يحصى وكان فى قوله ولا يرقى لها انا واجد تعريضا ببعض ادبآء عصره وتبلاء مصره ممن رقى حضرة الموحالية لازالت مزن الرضوان منهلة عليه وقد رثاه غير واحد ولكن كما قيل

وما كل روض ينبت الزهر طيب ... ولا كل محل للنواظر انشد

واحسن ما رأيت قصيدة للشاعر الاريب والاديب اللبيب ذى الخلق اللطيف والطبع الشريف صاحبنا عبد اللطيف المشهور بابن الجاد رحمى لطف الله تعالى به وهى على روى هذه القصيدة ومن بحرها لكن الاتحاد فى البحر لا يوجب الفخر فهذا الصدف متحد امع الدر فى بحره وشتان ما بين الصدف ودره وهذا على ما يزعمه المنتصرون للناظم من شاعر وعالم والحق

ان قصيدة عبد اللطيف احسن من هذه القصيدة بمراتب لا يكاد يحسبها حاسب ولكن اشتهرت هذه دونها

هو الحظ حتى تفضل العين اختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

هذا والرثاء شائع جاهلية واسلاما وقد رثى صلى الله عليه وسلم بما هو مذكور في السير وصح ان فاطمة رضي الله تعالى عنها انشدت يوم دفنه عليه الصلاة والسلام

ماذا على من شم تربة احمد ان لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو انها صبت على الايام صرن لياليا

(ومما) ينسب لعلي كرم الله وجهه يوم دفن الزهراء رضي الله عنها

ولقد قفرتك وادا صرفت مودعا بابي ونفسي ذلك المقبور
اما القبور فانهن اوانس بجوار قبرك والديار قبور

واكثر الناس من مراثي الحسين رضي الله تعالى عنه ومنها للمتقدمين والمتاخرين قصائد انهلت منها عيون البلاغة والفصاحة بما معين ولولا ان تكون سببا لمحو كتابي بوابل الاماقي لاثبت بعضها تبركا في هذه الاوراق والمراثي الجيدة غير ذلك ايضا كثيرة ولا تنقب القلم باثبات شيء منها لانها شهيرة (ثم اعلم) ان الشيخ انتقل من دار الفناء الى دار البقاء في دمشق الشام ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء ثالث عشر ذي القعدة الحرام سنة الف وماءتين واثنين واربعين بعد هجرة سيد الانام عليه من الله افضل الصلاة واكمل السلام وكان آخر كلامه من الدنيا قوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي الله حق ثلاث مرات ورثاه ايضا من رثاه من العلماء الاعلام المشار اليهم بالبنانة في دمشق الشام ولما جاء نعيه الى بغداد اظلمت بسحائب الاحزان افاق قلوبها فاليها الايجاد واما انا فقد اغرقتني احزاني ودهشت فلم ادر اين مكاني

نعم كيدي لا وحنتي قد لطمتها وعيني عليه لا ثنياني شققتها

فان المصاب به عظيم والخطب بفقده جسيم

لقد جل حتى كل واجد لوعة اذا جئ فيها ليس يوجد عاذله

وكان آخر كلامنا ما يقوله المؤمن المصاب المحزون انا لله وانا اليه راجعون

وقد نظم الناظم في هذه القصيدة لوفاته ثمانية تواريخ كما تقدم لك ذلك مسطورا في اول الكتاب لكن البعض منها ناقص عن سنة الوفاة بسنة وبعضها زائد بسنة وبعضها بسنتين وبعضها باكثر والبعض فيه تعمية والبعض الآخر خال عنها ولذلك مع ظهور معناها اعرضنا عن شرحها وتركناها وفيها تاريخ واحد مطابق للمقصود عار عن التعمية والعرو عنها يزيد غاليا التاريخ حسنا وان كانت التعمية لا بأس بها عند ارباب هذا الشان وربما يكون فيها لطافة تزيد على لطافة العاري عنها كقول بعضهم مؤرخا في وفاة رجل اسمه خضر من خضرنا حقا فقد ما الحياة وقول الآخر مؤرخا بناء مسبلة ماء تاريخه بغير حد عافية لمن شرب الى غير ذلك ولنقتصر عليه ولا نظم شيئا اليه (قال الناظم)

ولما هويت الحق قلت مؤرخا هوى للقا الحق في القدس خالد

(اقول لما) اي حين (وهويت) احببت (والحق) هو الله جل جلاله ولعل الكلام على حذف مضاف كما يدل عليه شطر التاريخ (ومؤرخا) اي مبينا لتاريخ وهو تعريف الوقت والتوريخ مثله وارخت الكتاب بوم كذا وورخته بمعنى (وهوى) اي احب واللام في اللقا سيف خطيب (واللقا) بالمد مصدر لقي وكذا اللقي بالضم والقصر ولقيا بالتشديد ولقيانا (والحق) هنا هو الحق هناك (وفي القدس) الحضرة القدس (وخالد) اسم المرئي وهو فاعل هوى وقصد التورية فيه بعيد (وحاصل المعنى) انك حين احببت لقا الحق وكرهت البقا مع الخلق فاحبت الله لقاك فدعاك اليه وتوفاك لانه ورد في الحديث الصحيح من احب لقا الله احب الله لقاه قلت معرفا سنة وفاته مشيرا للاسم الذي ذكره قبيل هو فاته هوى للقا الحق في القدس خالد فالها بخمسة والواو بستة والياء بعشرة ولا عبرة بكونها تقرأ القابل العبرة بصورة كتابتها لان حرف التاريخ معتبرة عوضا عن كتابة الارقام فهو رقم حرفي فالهذا يحسبون التا القصيرة الموقوف عليها بالها بخمسة كالها لانها تكتب بصورة الها وهذا راي الجمهور ومن الناس من زعم انها تحسب بار بعماية كالتا (ومنهم) من فصل فقال ان كانت في كلمة وقعت اخر الكلام حسبت بخمسة لانها حينئذ يوقف عليها بالها فهي ها لفظا

وكتابة وان كانت فى كلمة وقعت اثناء الكلام غير موقوف عليها حسبت باربعماية كالتاء فنحو لرحمة الله نائله تاء رحمة فيه تحسب باربعماية لانها تاء فى اللفظ وتاء نائله تحسب بخمسة لانها هاء لفظا والحق انها تحسب بخمسة مطلقا (نعم) اذا كتبت طويلة كما تفعل الاتراك فى شوكة ورفعت وطلعت وعزت الى غير ذلك مما يسمونه مخلصا اى لقبا تحسب باربعماية (والحاصل) ان المدار على صورة المكتوب لا الملفوظ (نعم) قد يكتب ما لا يحسب حسبما كتب نحو الهمزة فى قائل وسائل ومؤذى فانها فى ذلك ونحوه لا تحسب اصلا وانما يحسب كرسيها وهو الواو والياء فليحفظ واللامان من اللقاء بستين اذ كل لام ثلاثون واللقاف بمايه والالف بواحد وكذا الهمزة التى بعدها وكذا الف الحق ولامه وقافه والحاء بثمانيه والفا بثمانين والياء المتصلة بها بعشرة والف القدس ولامه وقافه مثلها تقدم والدال باربعة والسين بستين والخاء المعجمة من خالد بستماية والالف واللام والدال معلومة فالمجموع الف ومائتان واثنان واربعون والمراد بها سنون هجريه كما هو المعروف المصطلح عليه فيما بينهم فكانه قال توفى سنة الف ومائتين واثنين واربعين بعد الهجره (واعلم ان التواريخ) كثيره واشهرها اربعه هى اصولها وهى العربى والرومى والفارسى والقبطى ولنتكلم على ذلك بوجه الاختصار (فنقول) اما العربى فاعلم ان الله تعالى يوم خلق السموات والارض وضع اثنى عشر شهرا وسماها باسمائها كما يدل على ذلك قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا الآيه ثم انزل ذلك فى كتبه المنزله وبقيت على ترتيبها الى ان جاء ابراهيم عليه السلام ورسم الحج فى عاشر ذى الحجة وكانت العرب بعده تحج كذلك وكان الحج يأتى فى الفصول كلها واهل مكه على ما هم عليه من الضيق والخصاصة فان جاءت العرب فى غير وقت الخصب وادراك الغلات قل ما معهم من البضايع والازواد وكثرة الجوع والقحط بمكه فوقعت المشورى بين العرب فى ذلك فاشار لهم خطيبهم ورئيسهم بان يعين لهم فى السنة وقتا واحدا لا يتغير يحجون فيه وهو وقت ادراك الغلات وكثرة المياه فتقصدهم العرب بما معها من الخيرات فيصيبون منها ويدخرون

فوافقوه على ذلك فلما كان وقت الحج اقبلت العرب من كل مكان فقام فيهم خطيبهم فشكى ضيق اهل مكة وقال انى انسا لكم فى هذه السنة شهرا اى ازيد فيها وكذلك افعل فى ثلاث سنين حتى يأتى تحكم فى اطيب وقت من كل سنة فوافقوه فنسأ شهر المحرم وآخر المحرم القديم الى صفر وصفرا الى الربيع وهكذا الى اخرها فوقع فى السنة الثانية عشر المحرم محله وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين او وعشرون سنة وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وهى العاشرة من الهجرة فاتفق فيها رجوع الحج الى عشر ذى الحجة فحج النبى صلى الله عليه وسلم فيها فى المسلمين وقال عليه الصلاة والسلام فى جملة ما خطب به الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والارض يعنى رجوع الحج الى الوضع الأول ثم تلى قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنى عشر شهرا فامر بابطال الزيادة ورجوع الحج والشهور الى الوضع الاول وفى هذه السنة ايضا عاد الميدان الذى الى نقطة الاعتدال الربيعى فسلم من الحديث انه يوم الخلق كذلك وعن بعض ائمة اهل البيت ان السيارات كانت يوم الخلق فى بيوتها المعروفة عند المنجمين وما تعدد بيته كرخل فان له بيتين الدلو والحوت كان فى اول بيته فما ادرى يوم حجة الوداع كيف كان وضع السيارات فيحتاج معرفة ذلك مراجعة كتب الزيج وتقويم الكواكب فليفعل ذلك من اراد وحج ابو بكر رضى الله تعالى عنه فى التاسعة بالناس وكانت فى عشر ذى القعدة من السنة الثالثة من تلك الثلاث سنين (واما التاريخ) فقد كان للعرب فى اليمن والحجاز تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفا عن سلف فلما هاجر صلى الله تعالى عليه وسلم اتخذت هجرته مبدأ التاريخ وتناسب ما قبله وسمت كل سنة اتت عليها باسم حادثة وقعت فيها وكان اسم السنة الاولى سنة الاذن اى بالرحيل الى المدينة والسنة الثانية سنة الامر والثالثة الابتلاء والرابعة الترفية وهى من الزلزال والسادسة الاستيناس والسابعة الاستغلاب والثامنة الاسوداد والتاسعة البراءة والعاشرة الوداع وعلى هذا المنوال الى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه فسأله بعض الصحابة فى ذلك فقال هذا يطول وربما يقع فى بعض السنين اختلاف وغلط فقيل لان للعجم حسابا يسمى ماه دون معناه حساب الشهور والايام وقال له بعض مسلمى اليهود لنا حساب مثله

نسنده الى الاسكندر فقال رضى الله تعالى عنه نحن العرب لا نسند حسابنا
الى الاكاسرة ولا الى الاسكندر بل نسنده الى مبدأ السنة التى هاجر فيها نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم من غير تسمية السنين بما وقع فيها فامتثلت الصحابة
رأيه واستعملته فى وجوه التصرفات وافاد السهيلى رحمه الله تعالى ان
الصحابة اخذوا تاريخ الهجرة من قوله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم واول سنة الهجرة عند يونس الحاكى المصرى يوم الخميس وهو المعتمد
وان بالرؤية حسبما حرره ابن الشاط يوم الجمعة بمكة المشرفة (واما
التاريخ الرومى) ويسمى ايضا بالسريانى والعجمى فيستعمله اهل الكتاب
واليونانيون والروم وقيل لا يستعملونه وان كان مشهورا بهم والجمهور
ينسبونه الى الاسكندر الثانى ذى القرنين بن فيلبقس المقدونى الرومى
المعروف بالبنا واتفقوا على ان مبدأه فى الايام شروق يوم الاثنين واختلفوا
فى السنين ففى المنهاج لابن البناء وغيره انه من اول سنة من سنى ولايته
وفى زيج الصوفى انه من اول السنة السابعة من ابتداء ملكه وذلك عند خروجه
لتملك البلاد وفى المبادى والغايات انه من اول السنة التى مات فيها ومن المحققين
من نسبه الى سولوقس بن الطيوخوس الذى امر ببنا انطاكيه وملك الشام
والعراق وبعض الهند والصين على ما نقله الحكماء ففى كتاب التفهيم لابى
الريحان وهو تاريخ اليونانيين من اول السنة التى تفرد فيها سولوقس
ملك انطاكيه بالملك وان كان يعرف بالاسكندر (انتهى) وفى تاج الازياج
لابن ابى الشكر مثله وصححه ونقله عن غير واحد من مؤرخى الحكماء بعد ان
ذكر ان جماعة من المؤرخين نسبوه للاسكندر وليس كما ظنوا لان بطليموس
ارخ بعض ارصاده فى المجسطى لاول سنة ممات الاسكندر الذى هو اول
(سنة) اربعماية وخمس وعشرين لبخت نصر والتاريخ الموضوع للاسكندر
وكان اول السنة الثالثة عشر من وفاته وتلك السنة (سنة) اربعماية
وسبعة وثلاثين لبخت نصر وعلى زعمهم تكون الولاية بعد الممات وهو
محال وبهذا القول جزم السلطان الغ بيك فى زيجه متوقفا عن نسبة
الى احد الملكين لتعارض الدليلين فقال هو بعد وفاته باثنتى عشرة
سنة شمسية اصطلاحية ولكون زيج السلطان سلطان الازياج

اعتمده العلامة محمد بن محمد بن سليمان المغربي حيث حكى القول الاول ثم انتقل اليه بقوله في منظومته اوله شروق يوم الاثنين غرته عام موت ذي القرنين بل بعده بست سنين شمسيه وقيل هجرة بطلب وفيه وهو سابق على الهجرة بتسعماية واثنين وثلاثين سنة شمسيه كما اشار اليه بقوله طلب وبقي (زفير ٦٨٧) زيادة ايام قيل هي (حبير ١٣٨) وقيل لاجل قصد الاختصار سكت عنها والشهور عند الروم معلومة وتختلف بالزياده والنقص ويجمعها قولك قلب غافل قد خيل والمبدأ من تشرين الاول لكل شهر حرف على التوالي فذوات الحروف المنقوطة عددها احد وثلاثون وذوات الغير المنقوطة ثلاثون الا الالف فان شهره هو شباط اصغر الشهور وكلها كالالف هذه (رجل ٦٨) وقد نظمها بعضهم في اربعة ابيات من الهزج فقال

شهور الروم الوان ... زيادات ونقصان
فتشرينهم الثاني ... وايلول ونيسان
ثلاثون ثلاثون ... سواه والحزيران
شباط خص بالنقص ... وذاك النقص يومان

(وللمغاربة والافرنج) ممن يستعمل هذا التاريخ شهور اخر مخالفة لهذه في الاسماء والمبدا فقط ويسمونها عجمية قد اتاها من يناير وهو كانون الثاني الذي هو رابع تلك وتشرين اول الذي هو تلك هو اكتوبر عاشورهذه والاسماء هي اكتوبر نوبرد جنبر يناير فراير مارس ابريل مايه يونيه ايليه اغشته ششنبر لكن الافرنج يؤخرون من مولد المسيح عليه السلام وهو بعد مبدا هذا التاريخ رشي سنة شمسيه ويصيب من الايام واسماؤها يونيه فبريه مارت وهي شهر الشتاء ابريل مايه يونيه وهي شهر الربيع يوليه اغطس سبطمبر وهي شهور الصيف اقطبر نوفمبر دقمبر وهي شهور الخريف (واما التاريخ القبطي) ويسمى ايضا تاريخ الشهداء فقد ذكرنا القبط في قديم الزمان كانت تورخ لبخت نصر البابلي الاول وعليه اعتمد بطليموس في مجسطيه في تاريخ اوساط الكواكب السياره وفي الثانية يؤرخ بتاريخ انطيبس ملك الروم في زمانه واما المحدثون من القبط فقد قال النبيروني في تاريخهم باغشطس اول القماصره قال

ويوجد فى كتب النجوم تاريخ وقلطيانوس بالطاء او بالدال يدل له ملك الروم
وهو اخر كفرتهم ثم تنصر بعده ملوكهم ومبدأ هذا التاريخ شروق يوم الجمعة غرة
توت اول شهر من السنة التى غلب فيها دقلطيانوس على اهل مصر وكل شهر من
شهورهم ثلاثون واسماؤها توت بابه هتور كيهك طوبه امشير برمهات
برموده بشنس بؤنه ابيب مسرى وهذا التاريخ يتقدم على التاريخ
الهجرى بثلثمائة سنة شمسية وثلثة وثلثين يوما (واما التاريخ الفارسى) فهو
اثنان قديم وجديد اما القديم فالقوم ينسبونه الى يزدجرين شهريار بن كرى
انوشروان المعروف بالعادل ومبداه شروق يوم الثلاثا فاتح سنة جلوس
يزدجرد على كرسى ملك الفرس بالمدائن وكانت الفرس قبله يؤرخ بايام الملك
القائم فيهم فاذا مات ارخوا بايام القائم بعده الى ان قام يزدجرد فارخوا
به وبقى تاريخه الى الآن بعد ذهاب دولة الفرس على يده وانتقلت الى العرب
فى خلافة عثمان رضى الله تعالى عنه وقت محاربة العرب له وانهزم بين
ايديهم وقبض فى بيت طحان بمرو فقتل وعند ذلك انتقلت الاعاجم الى
الاسلام فكل شهر من شهورهم ثلاثون يوما واسماؤها فروردين ماه
اودى بهشتماه خرداد ماه تيرماه مرداد ماه شهريور ماه مهرماه
ابان ماه اذرماه دى ماه بهمن ماه اسفندار مذماه ولكل يوم من
الشهر اسم يخصه وهى على الترتيب هرمز بهمن اردى بهشت شهريور
اسفندار مزدار مزداد ديباذر آذر ابان خور ماه تير جوش ديمهر
مهر سروش دشن فروردين بهرام دام باذ ذينبذين دين آذر اشناه
اسمان دامباذ مهر اسفندارمذ وعندهم خمسة ايام منكسره
على الشهور يسمونها اللواحق والمسترقة وهى اهنوذ اشنوذ اسفندمذ هوجشت دهشتواشت (واما الفارسى الجديد) ويسمى بالتاريخ
الملكى والجلالى نسبة الى السلطان جلال الدين شاه بن الب ارسلان
السلجوقى فمبداه يوم الجمعة عاشر شهر رمضان سنة اربعمائة واحد
وسبعين هجرية وقيل الاحد الخامس من شعبان سنة والاول هو المعتمد واول
السنة عندهم من نصف نهار يوم الذى تكون فيه الشمس باول برج ذلك الشهر واسماء الشهور
عندهم كاسمائها فى القديم واتفق فى المطولات وبين التاريخ الملكى واول سنة الطوفان

اربعة الف ومايتو وثمانون سنة شمسيه ومن مبدا العالم الى اول سنة قران نوح الذل على الطوفان
مايتو الالف وثمانون الف سنة شمسيه حكاه السلطان عن اصحاب الاحكام وبقى من التواريخ
المشهوره تاريخ بنى اسرائيل وتاريخ الخطا والايغور (اما تاريخ بنى اسرائيل) فهو تاريخ آدم
عليه السلام ويسمونه تاريخ الخليقة يزعمون ان الله تعالى اوجد العالم يوم الاحد ونفخ فى آدم
يوم الجمعة السادس من المبدا وكان اجتماع النيرين فى الثالثة من درج الميزان آخر الساعة
الرابعة عشر من ليلة الجمعة وذلك وقت خلق الهلال فاراد وا ان يجعلوه مبدا تاريخهم
فقالوا لا يجوز ان يجعل هذا الاجتماع الواقع فى يوم الجمعة اول التاريخ لفوات الخمسة
الايام قبله ولا يجوز ان يجعله يوم الاحد لخلوه عن الاجتماع فتوهموا قبل الخمسة من
الايام تمامها لسنة قمرية وسموها سنة وهمية لانه لم يكن مبدا العالم سوى خمسة
ايام منها فكان مبدا الايام المتوهمة يوم الاثنين فجعلوه مبدا التاريخ ويزعمون
ان بينه وبين مولد موسى عليه السلام الفين وثلاثمائة وثمانية وستين سنة
شمسيه ومنه الى غرق فرعون ثمانون سنة ثم منه الى تاريخ الاسكندر يزعمهم الف
سنة منه اربعمايه وثمانون من غرق فرعون الى مجئ بنى اسرائيل بيت المقدس وعمارته ثم
قام عامر اماية وثلاثين ثم خربه بخت نصر واقام خرابا سبعين ثم عمره العزير واقام
عامرا اربعمايه وعشرين سنة ثم اتاهم الاسكندر فكان من زمن آدم الى الاسكندر
على زعمهم ثلاثة آلاف واربعمايه وثمانية واربعين فاذا زيد عليه الماضى من تاريخ
الاسكندر حصل تاريخ آدم لوقتك (واما تاريخ الخطا والايغور) فيحكى من بعض
سخافاتهم على سبيل السخرية والضحك ما ترجمه ابو الريحان من اللغة الهندية الى
العربية فى القانون المسعودى وغيره من تصانيفه ونقله عنه بعض الكلام على
ذلك العلامة محمد بن محمد بن سليمان المغربى ولولا خوف الاطناب لذكرناه ومن اراده
فليرجع اليه وبالجملة الكلام كثير فى هذا المقام فدافرده بالتاليف جماعة من العلماء
الاعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لاتينا بما يسر الناظر ويبهج الخاطر ولكل
مقام مقال وان الجواب على طبق السؤال والله تعالى ولى التوفيق وهو الهادى الى سواء
الطريق ولنختم هذا الشرح بخاتمة تكون لكاسه ختاما ولمبتغى درسه مداما نسال
الله تعالى ان يحسن ختامنا فى سائر الامور ويرحمنا اذا بعثر ما فى القبور وحصل
ما فى الصدور (فنقول) ان حضرة الشيخ قدس سره قد نال مرتبة الشهادة (اما الاول)
فلغربته لانه توفى فى الشام ولم يولد فيها (واما الثانى) فلكون وفاته يوم الجمعة ومشهور

ماورد فى كل من ذينك الامرين (واما ثالثا) فلانه توفى وهو مشغول بالعلم (واما رابعا) فلانه توفى بالطاعون ولما كان اهل العراق فى هذه السنة اعنى سنة الاربعة والاربعين (بعد الالف والمايتين) يحدثون بقرب حدوث الطاعون ببغداد لما ان العادة قبل ذلك جارية بانه اذا حدث فى الموصل فى سنة يحدث فى ثانيها او ثالثها ببغداد وقد حدث فى السنة الثالثة والاربعين فيها وافنى غالب اهليها وكثير من الموتى لم يتهيأ دفنهم حتى كثرت الجيف بالبيوت والطرقات والمساجد والرباطات فامر الحاكم وكان اذ ذاك عبد الرحمن باشا بن محمد باشا عبد الجليل زاده بان ترمى الجثة بدجل فرمى فيها شئ كثير حتى انا شربنا الماء ببغداد وفيه زهومته ومن العجائب انا اخذنا التبريده بانواع الحيل ولم يبرد وكثير من الناس كان يقول ان ذلك بسبب ما التى فيه من الاموات احببنا ان نذكر حكم الميت بالطاعون وحكم من مات فى زمنه صابرا محتسبا وحكم الفرار منه وغير ذلك فاعلم انه قد روى فى الحديث ان الطاعون شهادة للمؤمنين ورحمة لهم ورجز على الكافرين وعن انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون شهادة لكل مسلم وهذا صريح فى كونه للعاصى المرتكب للكبيرة ايضا وهو الذى يقتضيه القياس على قتيل المعركة فعلى هذا تكفر ذنوبه سوى التبعات (نعم) درجات الشهداء متفاوتة فرق بين العاصى اذا استشهد وغير العاصى وان اشتركا فى اسم الشهادة وكذا من مات صابرا فى ايامه (قال العلامة ابن حجر) وهو يقتضى ان اجر الشهيد يكون لمن لا يخرج من البلد الذى وقع فيه الطاعون فى حال اقامته قاصدا ثواب الله واحيا موعده عارفا بان ما يقع له فهو بتقدير الله تعالى وما يصرفه عنه فهو بتقديره غير متضجر بوقوعه معتمدا على ربه فى كل حال فمن اتصف بهذه الصفات مات بغير الطاعون فظاهر الحديث ان اجر الشهيد يحصل له ويؤيده رواية من مات فى الطاعون فهو شهيد حيث لم يقل بالطاعون ثم قال لو وجدت فى شخص هذه الصفات ثم مات بعد انقضاء زمن الطاعون فظاهر الحديث انه يكون شهيدا وبنية المؤمن خير من عمله الى ان قال ومما يستفاد من هذا الحديث ان الصابر فى الطاعون المتصف بالصفات المذكورة يامن فتنة القبر لانه نظير المرابط فى سبيل الله تعالى وقد صح ذلك فى المرابط كما فى حديث مسلم وغيره (ثم لا يخفى) ان الذى يشتغل بوجوه من الحيل فى دفعه كالرقى والخواتم والتعويذات وغير ذلك خارج عن مضمون هذا الحديث فلا يثبت له هذا الفضل العظيم والاجر الجسيم (نعم) هو دون الفار .

واختلف العلماء في الفرار فقال بعضهم حرام وحملوا النهي على التحريم في قوله صلى الله تعالى
عليه وسلم على ما رواه اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه الطاعون رجز ارسل على طائفة من
بني اسرائيل فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا منها فرارا
منه ويؤيد ذلك ما روى عن عائشة رضي الله تعالى عنها انه صلى الله تعالى عليه وسلم
قال الفار من الطاعون كالفار من الزحف واخرج ابن خزيمة في صحيحه ان الفرار من الكبائر والله
تعالى يعفو عليه ان لم يعف وهذا ما عليه اكثر الشافعية كما قال التاج السبكي وقال
بعضهم هو مكروه لاحرام الخروج كثير من الصحابة كابي موسى الاشعري وغيره
والصحيح المقول عليه عندهم الاول ولعل خروج من خرج لشغل عرض غير الفرار وهو
جائز اتفاقا وفي الفرار خسارة عظيمة وحرمان مثوبة جسيمة بل نقل ابو الحسن
المدايني عن ابيه انه قال فيما فر احد من الطاعون فسلم قال التاج السبكي وقد
جرب ذلك وليس ببعيد ان يجعل الله الفرار منه سببا للقصر العمر كما قد يستنبط
ذلك من قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون
الا قليلا (واختلف) في الدعاء برفعه فقال المنبجي يكره لان معاذا امتنع عنه
واعتل بان الطاعون شهادة ورحمة ودعوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم على ما روي
عن عبد الله بن رافع ان عبيدة بن الجراح لما اصيب في طاعون عمواس استخلف معاذا واشتد
الامر لمعاذ ادع الله يرفع هذا الرجز فقال انه ليس برجز ولكنه دعوة نبيكم وموت الصالحين
قبلكم وشهادة يختص الله تعالى بها من يشاء منكم (اللهم) ان اهل معاذ نصيبهم
الاوفر من هذه الرحمة فهذا القول من معاذ صريح بان الدعاء برفعه غير مشروع وقد
صح ان معاذا اعلم الامة بالحلال والحرام وانه امام الفقهاء يوم القيامة فلو كان
مشروعا لفعله وعنى بقوله ولكنه دعوة نبيكم ما روي من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم اجعل فناء امتي بالطعن والطاعون وبالصالحين قبلكم بني اسرائيل والاشكال احد فوع
بما لا اظنه يخفى وقال بعضهم ان الدعاء مشروع وتمسكوا بقول بعض الفقهاء ان القنوت
في الصلاة كلها مشروع عند النوازل وان الاجتماع والدعاء لعموم الامراض جائز وقالوا ان
تصريحهم بالمرض العام بمنزلة التصريح بالوباء الذي يشمل الطاعون وهو ايضا من اشد النوازل
واجيب بان كلا من الوباء والنوازل وان كان عاما يشمل الطاعون الا ان الطاعون اخص
بكونه شهادة ورحمة ودعوة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم بخلاف الوباء والنوازل ويؤيد
ذلك ورود النهي عن الفرار منه دونها فعلى هذا لا يقنت مطلقا وبه قال صاحب

الفروع من الحنابلة ومال بعضهم الى القنوت فرادى وصرح بان الاجتماع للدعاء يرفعه
كما فى الاستسقاء بدعة حدثت بدمشق فى الطاعون الكبير (سنة) تسعه
واربعين وسبعمايه ولم يفد شيأ بل ازداد الامر شدة ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم
واختار هذا القول العلامة ابن حجر الهيتمى وقال هو الاوجه (تنبيه) فى سبب حدوث
الطاعون قيل الحدوثه سببان شرعى وطبى اما الشرعى فمنه ما رواه ابن ماجه فى سننه من حديث
عبيد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله صلى
الله تعالى عليه وسلم فاقبل علينا بوجهه فقال يا معاشر المهاجرين خمس خصال واعوذ
بالله ان تدركوهن ما ظهرت الفاحشة فى قوم الا ابتلوا بالطاعون والاوجاع التى لم
تكن فى اسلافهم الذين مضوا الحديث ومن حديث عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود
رضى الله عنهما عن ابيه قال اذا ظهر الزنا والربا فى قرية عجل الله هلاكها الى غير ذلك من الاحاديث
(واما الطبى) فهو فساد الهواء الذى هو مادة الروح على مذهب الحكماء قال ابن النفيس فى الموجز
الوباء فساد يعرض لجوهر الهواء بأسباب سماويه وارضيه كالمأ الآسن المتغير والجيف الكثيرة
واذا كثرت الشهب والرجوم فى اخر الصيف وفى الخريف فاهب للوباء وكذلك اذا كثرت
الجنوب والصبا فى الكانونين واذا كثرت علامات المطر فلم تمطر فمزاج الشتاء
فاسد وكثرة الحشرات والضفادع دليل الوباء والمشهور انه وخز الجن ويمكن
الجمع بين الاقوال كما لا يخفى (انتهى) ولعل وجه الجمع انه يمكن ان يتعلق ببعض
اجزائه الهواء الفاسد ارواح خبيثة فيكون المجموع عجنا وما الجن الا الارواح المتعلقه
بابدان ما رجية وما ذكره من المشهور هو الذى ورد به الخبر فقد جاء من رواية الطبرانى الطاعون
وخز اعدائكم الجن وضعف غير واحد رواية اخوانكم بل قالوا انها لم تثبت وعلى تقدير ثبوتها
(قيل) فى الجمع ان الاخوة الدينية لا تنافى العداوة الطبيعية (وقيل) يخز المؤمن كافر
الجن والكافر مؤمنهم ومن الاطباء من قال سبب الطاعون دم ردى مائل للعفونة والفساد
يستحيل الى جوهر سمى يفسد العضو ويؤدى الى القلب كيفية ردية فيحدث ما يحدث وبينه وبين الوباء عموم وخصوص فكل طاعون وباء ولا عكس وهذا الابناسب
ايضا ما تقدم يجوز ان يفسد ويتكون منه جن فمن جسد من شاء الله تعالى فيفسد
دمه باذن الله عز وجل ويكون ما يكون (وابطل ابن القيم) كونه شيأ من فساد الهواء بانه لو كان
كذلك لعم الناس والحيوانات وفيه غفلة عن ان تاثير الفاعل مشروط بوجود القابل الا ترى
ان النار لا تحرق الرطب فيحتمل ان يمنع من العموم قوة طبيعية من لم يقدر عليه

وعدم استعدادها للفساد فتمنع عن نفسها باذن الله تعالى والذى تحقق فى هذه
الاعصار عن اطباء الافرنج وفلاسفتهم انه من حيوان ضعيف جدا اضعف من الذر بكثير
لايكاد يدرك الا بالات معمولة لادراك الاشياء الدقيقة يلصق بالجسد المستعد فيفسده
لما فيه من السمية وانه يهلك اذا بلغت حرارة الهواء سبعا وعشرين درجة وكذا يهلك من
بعض الروائح والعقاقير اذا دخرها ولم يرو فى التحفظ منه مثل الغزلة والتدخين باشياء
مخصوصة ولا ارى باسا فى هذا التحفظ مع اعتقاد ان الله تعالى فعال لما
يريد وفى سنن ابى داود مرفوعا ان من القرف التلف قال ابن قتيبة القرف مداناة المرض
وقد تزوج النبى صلى الله تعالى عليه وسلم امراة فلما اراد الدخول عليها وجد بكشحها بياضا فقال
الحقى باهلك ونضر غير واحد من الشافعية على ان الامر اولى بالحضانة مالم تكن جدة وبرصى
وحديث الاعدوى محمول على نفى التاثير بالذات جسما كانت العرب تزعم ذلك دون كون
المخالطة سببا عاديا كسائر الاسباب لسائر المسببات ونفع ذلك التحفظ الذى شاع
فى بلاد الروم والافرنج مشاهد وانكاره مكابرة محضة (نعم) هو فى الحقيقة
مربوط باذن الله تعالى وقد سعى الافرنج فى رفعه عن بلادهم تكون فيها يا سبب
طيبة وتابعهم فى ذلك كثير من المسلمين كاهل مصر فارتفع باذن الله تعالى بعد ان كاد يحدث
عندهم كثيرا ويوشك ان يرتفع من الارض اذا تعاطاها تيك الاسباب فيها ولا يدع فى ذلك
فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم اول رحمة ترفع من الارض الطاعون وهو نعيم ما اذا كان الرفع
يتعاطى سببا والرفع بدونه (ثم ان صح انه) تاثير دوبيات حسبما وصفوا لا يبعد ان يقال
اطلق عليها اسم الجن امالانها صنف منه او على سبيل التشبيه وهذا كما يتسمى الحبة الدقيقة
الخفيفة شيطانا وجانا على التشبيه كما قال ابن الاثير ومتى صح تسمية الشئ
الذميم شيطانا كما فى خبر الحسد شيطان والغضب شيطان (وقول الشاعر)
ما ليلة الفقر الا شيطان فليصح تسميته جانا واى ذميم يشبه ما يكون سببا للهلاك
وهو تلك الدويبة ولا ارى ايضا باسا بالخروج من محل هو فيه لكن مع اعتقاد ان
ما شاء الله كان ومالم يشا لم يكن وان كل شئ بقضاء وقدر وقد ذكر كل من ذكر من العلماء
اشياء تنفع باذن الله تعالى فى الحفظ من اصابة الطاعون (منها) كثرة الصلاة على
النبى صلى الله تعالى عليه وسلم (ومنها) الصدقة لاسيما على ذوى الارحام
(ومنها) كثرة الدعاء والابتهال والتضرع الى الله فقد صح ان النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم انه قال لا يغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل

وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيضلجان الى يوم القيامة رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد الى غير ذلك من الاحاديث وروى ابن السني في كتابه عن بعض ازواج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قالت دخل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وقد خرج في اصبعي بثرة فقال عندك ذريرة فوضعها عليها وقال قولي (اللهم) مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بي فطفئت الدريرة فتات قصب الطيب يجاء به من الهند وقد ذكر الاطباء المتقدمون شيأ كثيرا ايضا قال ابن النفيس ما حاصله ان الوباء ينفع منه ان ينفى البدن ويعدل مزاجه ويقلل الفاكهة والشراب والمرق ويقتصر على المجففات والحوامض كلها جيده والتبخير بما يصلح كيفية الهواء بالادوية التي لها في ذلك خاصية كالكافور والسعد والصندل والمسك والعود والعنبر والاترج والطرفا وورق الغار وورش البيت بخل الورد وماء الخلاف وتقريب الفواكه العطرة كالتفاح والسفرجل والكمثرى والزعرور (وقال ابن سينا) ويعالج الطاعون في المبدأ بما يقبض ويبرد وبا سفيذجة في ماء ورد وخل ودهن الورد او دهن النعناع او دهن الاس هذا في الابتداء ويعالج بالشرط ان امكن وبسيل ما فيه ولا يترك الى ان يجمد فتزداد سميته فان احتاج الى محجمة يمص بلطف (وقال ايضا) يعالج بالاستفراغ او بالفصد على ما يحتمل الوقت والمزاج ويجب ان يخرج الخلط العفن وان يقبل على القلب بالحفظ والتقوية بما فيه تبريد وعطرية مثل حماض الاترج والليمون وربوب التفاح والسفرجل ومثل الرمان الحامض وشم مثل الورد والكافور والصندل والغذاء مثل العدس بالخل ويجب ان يجعل على فراش العليل ورق الخلاف والبنفسج والورد والنيلوفر ونحوه ويجعل على القلب اطلية مبردة مقوية الى غير ذلك مما هو مذكور في كتابه القانون وذكروا ان الياقوت بسائر انواعه اذا تختم به دفع الطاعون وكذا الطين المختوم ينفع من الطاعون شربا وحمل الزئبق في تحويق صغير وتعليقه على القلب نافع ايضا الى غير ذلك وانا اقول

* ان الطبيب له طب ومعرفة * ما دام في اجل الانسان تاخير * حتى اذا ما دنت منه منيته * حار الطبيب وخانته العقاقير * ومع هذا اقول اعقل وتوكل والله تعالى الحافظ (واعلم) ان شهيد الطاعون كشهيد المعركة لخبر يدل عليه وهو فعيل بمعنى مفعول لانه مشهود له بالجنة او بالامان من النار او بحسن الخاتمة من الله تعالى او ملائكة عليهم السلام واما بمعنى فاعل لانه روحه شهدت دار السلام اولانه يشهد عند الموت الكرامة ولانه يشهد يوم القيامة بابلاغ الرسل عليهم السلام وليس الشهيد منحصرا في شهيد المعركة وشهيد الطاعون بل الشهداء كثيرون منهم الغريق مطلقا كما هو الاصح

عندى او بشرط ان يكون عارفا بانساب وصاحب ذات الجنب والمبطون ويم المستسقى وصاحب الاسهال
وصاحب القولنج والحريق والميت بهدم والتى تموت بالولادة الفت الولد اولا لكن كانت اولا والغريب
ومن لدغته هامة اوافترسه سبع والشريق بماء يباح له شربه والمتردى من جبل ومن قتل دون ماله اودمه
اودينه اواهله ومن قتل دون مظلمة والميت فى حبس ظلما والميت فى طلب العلم ومن مات مرابطا ومن عشق فعف
وكتم والميت من ركوب البحر وماعراه فيه من القىء ومن قرأ حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث ايات لخر سورة الحشر ومات فى يومه اوحين يمسى ومات فى ليلته ومن مات
عن وصية ومن مات وهو على وضوء ومن صلى الضحى وصام ثلاثة ايام من كل شهر ولم يترك الوتر
فى حضر ولا سفر ومن مات ليلة الجمعة اويومها ومن مات عقب رمضان اوعمرة اوحج ومن سأل
الله الشهادة بصدق ولم نصبه ومن مات وقد قرأ فى ليلته سورة قل يا ايها الكافرون ومن
مات وقد قرأ فى مرضه التى مات فيه سورة الاخلاص ومن قال (اللهم) اشهدان لا اله الا انت وحدك
لاشريك لك وان محمدا عبدك ورسولك ابوء لك بنعمتك على وابوء لك بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر
الذنوب غيرك حين يصبح ومات فى يومه وحين يمسى ومات فى ليلته الى غير ذلك مما ذكره الجلال
السيوطى فى بعض رسائله ومن تعددت فيه اسباب الشهادة كانت كرامته ازيد ممن لم تتعدد فيه
والكل على خير كثير ومنه ان يغفر له كل ذنب الا الدين وسائر تبعات الآدمى فى معناه وخير
يغفر لشهيد البحر الذنوب والدين ضعيف لكن ان يبعد ان يرضى الله تعالى الخصوم فاذا رضى
سبحانه ارضى ورضوان من الله اكبر نسأل الله تعالى بحرمة حبيبه الاعظم صلى الله تعالى عليه وسلم
ان يرضى اجمعين ويرضى خصومنا يوم الدين هذا ما وفق الله تعالى لنا فى شرح هذه المرثية
مع انفاس الرؤية فى احوال هموم ردية والذى شجعنى على الاقدام على الشرح قوة ظنى انه سيكون
سبب الفتح ووسيلة للمنح وقد صادق الاتمام غرة محرم الحرام مفتتح السنة الخامسة
والاربعين بعد المايتين والالف من هجرة نبى لاتصل الى كعبه وان طالت بردة المدح والوصف

وعلى تفنن واصفيه بوصفه يفنى الزمان وفيه مالم يوصف

وكانت مدة اشتغالى فى ذلك نحو اربعين يوما نعم قد اعطيتها من الليالى سهما فلم تذق
عيناى من لذة المنام طعما وكنت اعد ذلك من القيام واعتقد ان اجره لا ينقص عن اجر الصلاة
والصيام * وما على اذا ما قلت معتقدى * دع الجهول يظن السوء وانا *

ويعد ان تم الشرح وانقطع من القلم الرشح سميته بالفيض الوارد على روض مرثية مولانا
خالد والحمد لله حمدا غضا والصلاة والسلام على نبيه النبيه حتى يرضى وعلى آله وصحبه وجنده
وحزبه وقد تم هذا الكتاب على ذمة ملتزميه الهمام الشيخ حسين الخشاب والهمام الشيخ محمد اسماعيل

طبع بالمحروسة بالمطبعة الكستلية سنة ١٢٧٨

١٢٥١
١٢٧٨